هذا كتاب المقابسات

لأبي حيان التوحيدي

المتوفى سنة ٤٠٠

هجرية

وقد اهتم على طبعه لندرة وجوده الذي جمع المكارم واجتنب المناهي الميرزا محمد ملك الكتاب الشيرازي دام علاه

آمين



اللهم اليك نرغب فيما انت اهله ومظنته ومعروف به ونلتمس منك ما انت واجده وقادر عليه وما هو لي فيما
فهب لي بجودك ومجدك روح القلب بنور العقل وسكون البال ببصيرة النفس ورخاء العيش بادرار
الرزق وصلاح الحال بفايض الخير وصواب الفصل بثبات العقل وبلوغ الغاية بصحة العزم ونيل
المراد بدوام الصبر وبعد الصيت بحسن السيرة وبشايع برضى الطريقة وثانى الدعة برانب الحمد و
سلامة العاقبة بحيازة الفوز واكفنا من اللسان فلتته ومن الهوى فتنته ومن الشر خطرته ومن الرأي
غلطته ومن الظن خبطته ومن الطباع سورته ومن النقد علوته ومن الامر روغته ومن العدو
سطوته وجنبنا معاندة الحق ومجانبة الصدق وشراسة الخلق ومذمة الخلق والتحير بالعلم والبهت
بالجهل والاستعانة باللجاج والاخلاد الى العاجلة والخفوق مع كل ريح واتباع كل ناعق حتى نوحدك
بسراير سليمة من الشرك ونقدس لك بالسنة نقية من الهجر ونتوجه اليك بقلوب صافية من الدغل
ونعبدك عبادة بريئة من الريا خالصة باليقين ونستجيب لك في كل سهل وعسير ونستريح اليك
في كل قليل وكثير ونحتمل فيك الاذى من كل صغير وكبير وحتى ان ما حرمتنا من المال والثروة تخفيف
عنا وما رزقتنا من الحكمة تشريف لنا وحتى نعتقد انك لم تسند الى احد من خلقك الا ما هو لايق بالاحتياط
والا ما هو اخذ باوفر الانصباء من غامر جودك وسابغ نعمتك وحاضر صنعتك انك الله العزيز الحكيم
الجواد الكريم الرؤف الرحيم اطال الله حياتك واعز قدرك واكرم مثواك وقرن النجح بسعيك وضاعف
منائحه قبلك وادامها لك وذب عنها ما يكدرها عليك لم يذهب علي خطي في البدار الى رسمك والشروع
الى طاعتك فيما اشرت اليه وحضضت عليه من تصنيف اشياء من الفلسفة وبينها لك ونشرتها عليك
وخطبت بها رغبتك فيها ونشاطك لاقتنايها واضافتنا اشياء اخر تجري معها وتدخل في طرازها وتقوي
عمدها وتدل على شرف جوهرها وانا افتحلها عن مشايخ العصر الذي ادركته والزمان الذي
لحقتهم فيه والله ما الومت على جمعها في كتاب واهدايها اليك في اقرب وقت على الاتيان وجه الاعتبارات
هذه الدنيا واختلاف احوال اهلها وتقلب ظلالها وافيايها وخب نجومها وانوايها وقلة يقظة ابنايها

وابنائها

وابتذالها وانحطاطها بعد رتبتها باهلها وفساد حال بعد حال على المتعلقين بحبلها الحالبين لضرعها النادّين في عراتها فقد اصبحنا في هذه الدار كانما هي قاع املس او بلد امرت لم يبق من يرضى هديه ويقتبس علمه ويخطب عرفه ويقتفى جوده او يقتدح زنده او يستفاد لفظه ويتوخى مكانه او يعرف حلوه بادب من الآداب عليه او يباش بوجه من الوجوه اليه وما ذلك الا لنغل القلوب ودخل الاعراق وخلو تلك الذين وغلبة القحة ولرتفاع المراقبة وسقوط الهيبة ورفض السياسة والتبجح بالفحشاء والمنكر ولعمري ما زالت الدنيا على سجيتها المعروفة وعاداتها المالوفة ولكن اشتدت مؤنتها وتضاعفت زينتها اليوم بفقد السايس الصارم وبعدم العابد العالم وبانقراض اهل الحياء والتكرم وبتصالح الناس على التعادي والتظالم ولله جلّ وجهه وتقدس اسمه في هذا الخلق غيب لا يعرف مآبه ولا يفتح بابه ولا يقع القياس عليه ولا يهتدى الاحساس اليه ومن اجله سقط الاعتراض ووجب التسليم والانقياد ودع هذا فهو سلم طويل وفضاء عريض بل ما اخرجت حاجتك الى هذه الغاية مع تقاضيك بالتعريض والتصريح والماحك بالغلاة والعشى وتلطفك بالشفيع بعد الشفيع الا لظنك بانها تزيف على نقدك وتبهرج بتقليبك وبيد عوارها لعينك ويتجه عليها وعليّ من يمنك من اجلها ما شئت من طعنتك ولا تمتك في السكوت ابقاك الله امان من هذا كله وليس القلم كاللسان ولا الخط كالبيان ولا ماين هب مع الانفاس كما يبقى ورسمه بين الناس فهذا واشباهه يقص جناح العزم ويغض طرف النشاط ويغطى وجه الهمة ويكذب رايد الطمع ويلجاج لسان الراى الى ان قال لى بعض من اثق بخلته واستنير بمشورته واستقبل مقاصدى برايه ينبغى ان تعلم ما آملك فلان له وشوقك به وتحف الى مراده وتعلم ان ايثارك لامره رشد واثرة وجمال وزينة وليس في نقل فضائل هؤلاء المشايخ ونقل كلامهم عليك مؤنة ولا مشقة فادحة ولا كلفة شديدة ان لم تبلغ فيها ذروة الخاصة لم تقع منها الى حضيض العامة بل ان لم تزد ما تحكيه عنهم رونق لفظ وبهاء وصف وتقريب بعيد وايضاح مشكل لم تبخسه حظه من الحقيقة التى اليها انتهت المطالبة وعليها وقفت الارادة فخفض عليك وخفف عنك فما بالامر كل هذه الصعوبة ولا بك كل هذا التبرم وقال ايضا قد علم الصغير والكبير ان كل انسان يتنفس برئته وينشق بانفه ويبتاع بساعده ويسبق الى غايته ويعمل على شاكلته ويجرى على قدر علمه ونيته واجتهاده فوهب هذا قوة ولكن مدخولة واوفاء على نشاطا ولكن ضعيفا فاقبلت على ما عرفتك من حالى وضيق صدرى وفقد انسى وانسداد مذهبى اتالف ما شرد منها وانظر الى ما انتثر عنها وارقع بجهدي وطاقتى شملها واحلّي بوسعى واستطاعتى عطلها ومن بذل لك مجهوده فقد حرم عليك ذمه ومن سعى الى مرادك شوطه فقد استحق منك ثوابه هذا في اوايل التعارف وفواتح التناصف وارجو ان لا احبس بين ارادتى الخير لك واشتمالك بالكرم على ان شاء الله عز وجل

مقايسة

سمعت ابا سليمان المنطقى يقول بالاعتبار تظهر الاسرار وبتقديم الاختبار يصح الاختيار ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تنظف الآنية من وسخ ما جاورها ولابسها وضر ما خالطها ودفنها لتشرب فيها ولتنظر اليها وتستصحبها

وتحفظها ولتكون غنيا بها ولا تزيدها الا طاهرة نقية مجلوة ومتى لم تجدها كذلك عفتها وكرهتها و نفرت وطرحتها لان طبيعتك لا تساعدك عليها ونفرتك لا تزول منها واباؤك لا يفارقك من اجلها وتشعر بك لا تذهب من شناعة منظرها وكذلك فاعلم انك لا تتصل الى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية ذاتك الا بتنقيتها من درن بدنك وصفايها من لدرجاتك وصرفها عن جملة هواك وفطامها عن ارتضاع شهوتك وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك وردها عن سلوك الطريق الى هلكتك وتلفك وثبورك واضمحلالك فاسعد ايها الانسان بما تسمع وتحس وتعقل فقد اردت لحال نفيسة ودعيت الى غاية شريفة وهيئت لدرجة رفيعة وحليت بحلية رايعة وتوجت بكلمة جامعة ونوديت من ناحية قريبة

مقايسة أخرى

هذه مقايسة دارت في مجلس ابي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وعنده ابو زكريا الصيمري والنوشجاني ابو الفتح والعروضي ابو محمد المقدسي والقومسي وغلام زحل وكل واحد من هؤلاء امام في شانه وفرد في صناعته سوى طائفة دون هؤلاء في الرتبة وهم احيا بعد فاستخلصتها جهدي ورسمتها في هذا الموضع وقد كادت تضيع في جملة تعليق كثير ضاع استعضت منه الحسرة والاسى ومن حق العلم وحرمة الادب وذمام الحكمة ان يتحمل كل مشق دونها ويصبر على كل شديد في اقتنايها وتحصيلها ولا انسب فضلا الى واحد منهم بعينه لان الكلام بينهم كان يلتف ويلتبس وكانت الباهاة والمناسبة يد خلان فيه ويظهران عليه وينالان منه وهذا من ذوي الطبايع المختلفة معروف ومن اصحاب التنافس معتاد ولو استثنيت القول بين سائل ومسؤول لحكيت الحال مقربا ومبعدا ومصوبا ومصعدا ولكن الامر على ما عرفتك فكن عاذري عند خلل تراه أبيت ان تكون شاكري عند صواب تظهر عليه ان شاء الله تعالى **قيل** لم يخل علم النجوم من الفايدة والثمرة وليس علم من العلوم كذلك فان الطب ليس على هذا ابدا الناظر والشادي منه و الكامل من اهله يقصد بالطب استدامة الصحة ما دامت الصحة موجودة وصرف العلة اذا كانت العلة عارضة وكذلك النحو الذي قصد به الماهر فتق المعاني وصحة الالفاظ وتوخي الاعراب و اعتياد الصواب ومجانبة اللحن على حدود ما في غرايز العرب وطبايعها وسلايقها وكذلك الفقه الذي قصد به صاحبه اصابة الحكم واقتضاب الفتيا وايجاب الحق ورفع الخلاف واقماع الخصم وحسم مواد التنازع ورد اهله الى الرضى والتسليم وكذلك الشعر الذي منتهاه قايم في نفس صاحبه ثابت في قريحته يجيش به صدره ويجود به طبعه ويصح عليه ذوقه من مدح مامول وترقيق غزل وهجو مسيئ واستنزال كريم وتوشية لفظ وتحلية وزن وتقريب مراد واحضار خدعة واستمالة غريب وضرب مثل واختراع معنى وانتزاع تشبيه مع تصرف في الاعاريض بين وقيام بالقوافي ظاهر وحصوله حاظر وفايدته عامة ونتيجته منجدة وثمرته دانية وغبه محمود وجدواه موجوة وبر صحت المعاملة وقامت الدولة وحرس الملك وجبي المال وامن الغبن وقام الديوان وقوي السلطان وقرت الرعية واستفاضت السيرة واستمرت القضية هذا الى اسرار فيه عجيبة وغوامض ترجع اليه شريفة وخواص لا توجد لغيره غريبة وكذلك البلاغة التي قد علم صاحبها وطالبها ما

ينتهي اليه ويقف عليه من تنميق لفظ وترويق غرض وتغطية مكشوف وتعمية معروف واحضار بينة واظهار بصيرة واختصارات و
تقليل بات وتالف شارد وتسكين مارد وهداية متحير وارشاد متسلع واقامة حجة وارادة برهان واستعادة مزيد وتلطيف
قول في عتب وتسهيل طريق في اعتاب وتهنية مسرور وتسلية محزون وتلهية عاشق وتزهيد راغب ونصح عن غرض وحسم
مادة مناطع وقلب حال عن حال حتى تضم بها امور منتشرة وتندمل بها صدور منفطرة وتستبق بالاحوال متعاندة وتستدرك بها حسرات فائتة
ويتهيا بها امور ملتهبة وكالصناعات كلها كالهندسة في شرفها والهيئة في علو رتبتها وحدود هذه العلوم بعيدة وفوايدها جمة وليس هذا
القدر اتيا على حقايقها ولكنه مشير الى موضع المسألة والبحث عنها فقد وضح لكل ذي حس مفيد وعقل متأيد ورأي صحيح وذكاء صحيح ان
هذه العلوم كثيرة المنافع عامة المصالح حاضرة المرافق وان الناس لو خلوا منها وعروا عنها لتبدد نظامهم وانقطع قوامهم وكانوا نهبا
للكايد وحيارى طول الابد وليس علم النجوم كذلك فان صاحبه وان استقصى وبلغ الحد الاقصى في معرفة الكواكب وتحصيل سيرها واقترانها
ورجوعها ومقابلتها وتربيعها وتثليثها وتسديسها وضروب مزاجها في مواضعها من بروجها واشكالها ومقاطعها ومطالعها ومشارقها
ومغاربها ومطارحها حتى اذا حكم اصاب واذا اصاب فانما حقق واذا حقق جزم واذا جزم ختم فانه لا يستطيع البتة قلب عين شيء ولا صرف امر الى امر
ولا تغيير حال قد دنت ولا نفي ملمة قد كتبت ولا دفع سعادة قد اجمت واظلت اعني انه لا يقدر على ان يجعل الاقامة سفرا ولا الهزيمة
ظفرا ولا العقد حلا ولا الابرام نقضا ولا الاياس رجاء ولا الاخفاق دركا ولا العدو صديقا ولا الولي عدوا ولا البعيد قريبا ولا
القريب بعيدا وهذا باب طويل والحديث فيه ذو شجون وكان العالم الحاذق فيه المتناهي في حقايقه بعد هذا التعب والنصب
وبعد هذا الكد والدأب وبعد هذه الكلفة الشديدة والمؤونة الغليظة مستسلم للمقدار ومستخذى بما ياتي به الليل والنهار
وعادت حاله مع علمه الكبير وبصيرته النافذة الى حال الجاهل بهذا العلم الذي انقياده كانقياده واعتباره كاعتباره ولعل توكل
الجاهل به احسن من توكل العالم ورجاؤه في الخير المتوقع والشر المتوقى اقوى وارسخ من رجاء هذا المدل بزيجه وحسابه وتقويمه
واسطرلابه قالوا ولهذا روي ان الطالعون ابن الثوري لقي ماشاء الله فقال له انت تخاف زحل وانا اخاف رب زحل وانت ترجو
المشتري وانا ارجو رب المشتري وانت تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة فكم بيننا **قال** وهذا انوشروان و
كان من العقلاء الافاضل روي عنه انه كان لا يزيغ بالنجوم فقيل له في ذلك فقال صوابه شبيه بالحدس وخطاؤه شديد على
النفس هكذا ترجم وهو كما ترى قال فمتى افضى هذا الفاضل النحرير والحاذق البصير الى هذا الحد والغاية كان علمه عاريا
من الثمرة خاليا من الفايدة عاطلا عن النتيجة لا عايدة ولا مرجوع وان امرا اوله على ما قررنا وآخره على ما ذكرنا لحري بان لا يشتغل
الزمان به ولا يوهب العمر له ولا يعار الفهم والكد ولا يعاد عليه بوجه ولا سبب هذا اذا كانت الاحكام صحيحة ومدركة محققة و
مضامينها ملحقة ومعروفة محضة ولم يكن المذهب ما زعم ارباب الكلام والذين يابون تاثير هذه الاجرام العالية في هذه الاجسام
السافلة وينفون الوسائط والوسائل ويدفعون الفواعل والقوابل فحصلت حفظك الله المسألة بعد تشذب الكلام فيها و
وعيتها بجهدي من اولها الى اخرها بطولها وعرضها ودخلها ومخرجها ولا اشك في اطراف زلت مني عند اختلانها واقتباسها
وقد ثقفت الجواب عنها على اوجز ما اجتهد في الاعراب عنها في هذا الموضع بمبلغ وسعي فاني بين فائتة لا علم لي بها وبين
زيادة لا يطيق متن الكلام لها وكلتاهما خطة صعبة لولا كلف النفس بالعلم ومحبتها للفايدة لكان الاضراب عنها اذهب
عن العرض واصون للقدر وابعد من استدعاء اللائمة ممن لعله لو اتى بهذا المقدار لكان عنده عظيم المنة حقيقا
بالشكر والمحمدة فاول ما قيل في ضد هذا الكلام هذه العلوم والمعارف كلها من اثار هذه الاجرام العلوية ونتايج الخواطر
السريعة والبطيئة والمتوسطة على اشكال صحيحة دائبة واسباب على الطبيعة جارية ثم رجع الى الجواب فقال   عن هذا لا

المسئلة على هذا التهويل جوابان مختلفان من وجهين مختلفين احدهما هو زجر عن النظر فيه لئلا يكون هذا الانسان مع ضعف
مخيلته واضطراب غريزته وانفتات طينته وانبتات مريرته عن ربه مجاثيا متكبرا على عباده ظانا بانه ماق في شانه قائم بحيلة و
قدرته وحوله وقوته وتشميره وتقليصه وتحبيره وتجريبه فان هذا النمط يحجز الانسان عن الخشوع لخالقه والاذعان
لربوبيته عن التسليم لمدبره ويحول بينه وبين طرح الكاهل بين يدي من هو املك له واولى به واما الجواب الاخر فهو
بشرى عظيمة على نعمة جسيمة لمن حصل له هذا العلم وذلك عجيب لو اطلع عليه وتمر لو وصل اليه لكان ما يجده الانسان فيه من الروح
والراحة والخير في العاجلة والاجلة يكفيه مؤونة هذا الخطب الفادح ويهيبه عن تجشم هذا الكد الكادح فاجعل ايها المفكر في
هذا العلم بدلا غيبك ما يخفى عنك خفيه وسكونه تذللا لله تقدس اسمه فيما استبان لك معلومه وصح عندك مظنونه
ثم قال اعلم ان العلم حق ولكن الاصابة بعيدة ولا كل صواب معروفا ولا كل محال موصوفا وانما كان العلم حقا والاجتهاد في طلبه
مبلغا والقياس فيه صوابا والسعي به ونه محمودا لامتثال هذا العالم السفلي بذلك العالم العلوي واتصال هذه الاجسام
القابلة بتلك الاجرام الفاعلة واستحالة هذه الصور بحركات تلك المتحركات المتشاكلة بالوحدة واذا صح الاتصال والتشابك
وهذه الحبائك والربط صح التاثير من السفلي بالمواصلات الشعاعية والمذانبات والاحوال الخفية والجلية واذا صح
التاثير من المؤثر وقبوله من القابل صح الاعتبار واستتب القياس وصدق الرصد وثبت الالف واستحكمت العادة
وانكشفت الحدود وانثالت العلل وتعاضدت الشواهد وصار الصواب غامرا والخطأ مغمورا والعلم جوهرا راسخا
والظن عرضا زائلا ثم تشعق الكلام في وجوه مختلفة حتى كاد لا يحصل منه ما يكون تلو المسئلة والجواب ولم ازل ازقي و
انفث واغزل وانكث حتى نظمت هذا الذي يمر بك في هذا المكان على تاو كثير وتعاند شديد وبين اول واخر
وصد وعجز وسلامة ودخل واقباس واقتباس ضمن جملة ذلك وجرمنه لمن قيل هل تصح الاحكام ام لا تصح لكان من
محصول الجواب قال قايل الاحكام لا تصح باسرها ولا تبطل من اصلها وتلك ليست بالهوينا اذا انعم النظر وبسط
للانصاف وصمد نحو الفائدة بغير متابعة الهوى وايثار التعصب لان الامور الموجودة على ضربين ضرب له الوجود
الحق فالامور الموجودة بالحق قد اعطيت الباقية نسبة من جهة الوجود وانحجبت منها حقيقة ذلك فلما كربها عيانا
الفاحص عن هذه الاسرار ان اصاب فبنسبة الوجود الذي لهذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي وان
اخطأ فيما فات هذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي والاصابة في هذه الامور السيالة المتبدلة عرض والاصابة
في امور الفلك جوهر وقد يكون هناك ما هو كالخطاء ولكن بالعرض لا بالذات كما قد يكون ههنا ما هو كالصواب في الحق
ولكن بالعرض لا بالذات فبهذا صح بعض الاحكام وبطل بعض الاحكام وما يكون ايا ان الهنا الفصل وشاهدا قويا ان هذا العالم
السفلي مع تبدله في كل حال واستحالته في كل طرف ولمح متقبل لذلك العالم العلوي شوقا الى كماله وعشقا بجماله وطلبا
للتشبه وتحقيقا بكل ما امكن من شكله فهو بحق التقبل يعطي هذا العالم السفلي ما يكون مشابها للعالم العلوي
ومن هذا الباب يقبل الانسان الكامل من البشر من الملك ويقبل الملك من الباري وكذلك تقبل الطبيعة للنفس
النفس للعقل والعقل للباري **قال** اخر وانما وجب هذا التقبل والتشبه لان وجود هذا العالم وجود متهافت
مستحيل لا صورة له ثابتة ولا شكل دائم ولا هيئة معروفة وكان من هذا الوجه فقيرا الى ما يمله ويشده واما سنخه
وسوسه فهو موجود ثابت مقابل لذلك العالم الموجود الثابت وانما عرض ما عرض لان احدهما مؤثر والاخر
قابل فبحق هذه المرتبة ما وجد التباين وبحق تلك الرتبة ما وجد التواصل و**قال** اخر وقد يغفل مع هذا

كله المنجم بحث اعتبار حركات كثيرة من اجرام مختلفة لانه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها وتفصيل احوالها
وتحصيل خواصها مع بعد حركة بعضها وقرب حركة بعضها وبطئها وسرعتها والتفات صورها والتباس مقاطعها و
تداخل اشكالها ومن الحكمة في هذه الاعتقال ان الله تقدس اسمه يميز بذلك القدر الفصل والقليل الذي لا يؤبه
له والكثير الذي لا يحاول البحث عنه امر الركين في حساب الخلق ولا سيما علموا فيه القياس واختلط بالتقدير والتوهم **قال** و
لهذا حكم هذا الحاذق في صناعته لهذا الملك وهذا الماهر في علمه لهذا الملك ثم يلتقيان فتكون الدائرة على احدهما
مع شدة الدفاع وصدق المصاع هذا وقد حكم له بالغلب والظفر قال في هذا الموضع النوشجاني انا بوحي احد الحاكمين
لاحد الملكين لا من جهة غلط في الحساب ولا قلة مهارة في العمل ولكن يكون في طالع ان يصيب ذلك الحكم ويكون في
طالع ذلك الملك لا يصيب منجمه في تلك الحرب فيقتضي حاله وحال صاحبه يحول بينه وبين الصواب ويكون الآخر مع
صحة حسابه وحسن ادراكه قد وجب في طالع نفسه وطالع صاحبه ضد ذلك فيقع الامر الواجب ويبطل الآخر الذي ليس بواجب
وقد كان النجمان من جهة العلم والحساب اعطيا الصناعة حقها وقاما عليها ووقفا موقفا واحدا على غير مزية بينة
ولا علة قائمة **قال** ابو سليمان ما احسن هذا وطال ما يسكت عن هذه المسألة فانقضت عن جوابها قالوا ولولا هذه
المشيئة النافذة والغاية المستترة التي استاثر الله بها لكان لا يعرض هذا الخطأ مع صحة الحساب ودقة النظر وشدة الغوص
وتوخي المطلوب وتبع غلبة الهوى والميل الى المحكوم له وهذه البقية دائرة في امور هذا الخلق فاضلهم وناقصهم وسطهم و[illegible]
وفي دقيقها وجليلها وصعبها وذلولها ومن كان له من نفسه باعث على التصفح والنظر والتمييز والاعتبار وتنبه على ما
او مأتت اليه عن كثب وسلم من غير منكد ولا متعب ثم قيل وللحكمة جليلة ضرب الله دون هذه العلل بالاسداد وطوى
حقايقه عن اكثر العباد وذلك ان العالم بما سيكون ويحدث ويستقبل علم خلق للنفس واقع عند العقل فلا احد الا و
هو يتمنى ان يعلم الغيب ويطلع عليه ويدرك ما سوف يكون في غد ويجد سبيلا اليه ولو دل السبيل الى هذا الفن لرأيت
الناس يهرعون اليه ولا يؤثرون سبيلا اخر عليه لحلاوة هذا العلم عند الروح ولصوقه بالنفس وغرام كل احد به و
فتنة كل انسان فيه فضيحة من الله لم يصح هذا الباب ولا انكشف من دونه الغطاء حتى يرتجي كل احد ويضر ويلزم محله و
يرغب فيما هو اجرى عليه واتقع له اما عاجلا فقد علمت ان علم ما يكون احب الى جميع الناس من كل فقه وكلام وادب و
هندسة وشعر وحساب وطب لان هذه رتبة الاهية وهي الفاضلة الكبرى فطوى ، الله عن الخلق حقايق الغيب
فنثر لهم نبذا منه وشيئا يسيرا يتعللون به ليكون هذا العلم محروصا عليه كسائر العلوم ولا يكون مانعا عن غيره **قال**
ولولا هذه البقية التي فضحت الكاملين واعجزت القادرين لكان تعجب الخلق من غرائب الاحاديث وعجائب الضروب
وطرائف الاحوال عبثا وسفها وتوكلهم على الله لهوا ولعبا **ثم قيل** وهذا يتوضح بمثال وليكن ذلك المثال ملكا في زمانك
وبلادك واسع الملك عظيم الشان بعيد الصيت شائع الذكر معروفا بالحكمة مشهورا بالحزامة متصل اليقظة قد صح عنه
انه يضع الخير في موضعه ويوقع الشر في موضعه عند جزاء كل سيئة وثواب كل حسنة قد رتب لبريده واصلح للاولياء
له وكذلك نصب لجباية اموالها اقوم الناس به وكذلك لعمارة الارض انهض الناس بها وانصحهم فيها وشرف اخر بكتابته
لحضرته واخر بخلافته ووزارته في حضره وسفره اذا نظرت الى ملكه وجدته موزونا بسداد الراي ومحمود التدبير و
اوليائه وحواليه وحاشيته بين يديه ولا يخف الى ما هو منوط به ويستقصي لما قد ترفيه ويبذل ويسعد وبه والملك
يامر وينهى ويصل ويورد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد ويبرق ويرعد ويقدم ويؤخر ويخلع ويهب

ويعاقب ويثيب ويفقر ويغني ويحسن ويسيء وقد نام صغيرا وليا سوكبيرهم ووضيع رعاياه وشريفهم ونبيه الناس و
خاملهم ان الراي الذي يطلق بامره كذا وكذا اصدره من الملك الى كاتبه لانه من جنس الكتابة وعلايقها او ايدخل في شرايطها و
وثائقها والراي الاخر صدره الى صاحب بريده لانه من احكام البريد وفنونه وما يجري في كليته والامر الاخر القي الى صاحب المعونة
لانه من جنس ما هو مرتب له ومنصوب من اجله والحديث الاخر صدره الى القاضي لانه من باب الدين والحكم والقضاء في كل
هذا مسلم اليه ومعصوم لا يفتات عليه في شيء ولا يستبد بشيء دونه فالاحوال على هذا كلها جارية على اذلالها وقواعدها في
مجاريها لا يزل منها شيء الى غير شكله ولا يرتقي الى ما ليس من خليقته وهكذا ما عدا جميع ملحه تاه باسمه وحكيناه برسمه فلو وقف رجل له من الحزم
نصيب من الفطنة قسط على هذا الملك العظيم او على هذا الملك الجسيم وسلط فكره وبدنه وجمه وصرف هنه وتصفح كلا فكلا وحسب
شيئا شيئا وقدر امرا امرا وتامل بابا بابا وتخلل شيئا شيئا ورفع سجفا سجفا وتقفى وجها وجها لا امكنه ان يعلم ما يتم له هذا النظر
ويكسره هذا القياس ويصله هذا الحدس ويقع عليه هذا الامكان لما يستعمله هذا الملك غدا او يسلبه بعد غد وما يتعلق
به الى شهر وما يكاد يكون منه الى سنة وسنين لانه على الاحوال ملما ويحلوها حلوا ويقايس بينها قياسا ويلتقط من الناس لفظا
لفظا ويحفظ لحظا لحظا ويقول في بعضها يترك كذا وكذا او يفعل كذا وكذا وهذا يدل على كذا او كذا واعلم هذه الجراة على هذا الحكم
والبت لانه قد ملك لحظ الملك ولفظه وحركته وسكونه وتعريضه وتصريحه وجده وهزله وسجيته وتجعله واسترساله و
وجومه وتشاله وانقباضه وانبساطه وغضبه ورضاه ونادره ومعتاده وسفره وحضره وبشره وقطوبه ثم يهجس في
نفس هذا الملك يوما هاجس ويخطر بالخاطر فيقول اريد ان اعمل عملا واوثر اثرا واحدث حالا لا يقف عليها اوليائي
ولا المطيفون بي ولا المختصون بقربي ولا المتعلقون بحبالي ولا احد من اعدائي والمتبعين لامري والمحصين لانفاسي
والمترقبين لمطاسي ونعاسي ولا ادري كيف اقترحه لاني متى تقدمت في ذلك بشيء الى كل من يلوذ بي ويطيف بنا حتى
كان الامر في ذلك نظير جميع اموري وهذا هو الفساد الذي يلزمني تجنبه ويجب علي التيقظ فيه فيقدح له الفكر الثاقب
والذكاء اللاهب انه ينبغي ان يتاهب للصيد ذات يوم ليتقدم بذلك وينذيعه ويطالب بدنيا خذ اصحابه وخاصته
في اهبة ذلك واعداد الالة فاذا تكامل ذلك له اصحر للصيد وتشوف له وتطلب في البيداء وصمم على بعض ما يلوح له وامعن
قبله وركض خلفه جواده وشدد في طلبه بلاده ونهى من معه ان يتبعه حتى اذا اوغل في تلك الفجاج الخاوية والمدارج
المتنائية وتباعد من متن الجادة وواضح المحجة صادف انسانا فوقف عليه وحاوره وفاوضه فوجده حصيفا محصلا
يتقد فهما ويتقد ذهنا فقال له افيك خير فقال نعم وهل الخير الا فيّ وعندي والا معي الى ما بدا لك وخلني وذاك
فقال له ان الواقف عليك والمكلم لك ملك هذا الاقليم فلا ترع واهدأ ولا تقلق فيتنكر له عند سماع هذا او يتولاه السعادة
فيضمنني لك والجد لطالعك علي فيقول له الملك اني اريد ان اصطفيك لارب في نفسي وابلغ بك ان بلغت ذلك لي واريد
منك ان تكون عينا على نفسك زكية وصاحبا لي نصوحا فقم لي بذلك بجهدك ووسعك والموسري عن مسامح ذوي
فضلا عما خلا ذلك فاذا بلغ منه غاية الوثيقة والتوكيد القى اليه بجرته وبجرته وبعثه على السعي والنصح ويحري الرضى وصام
بما احب واحكمه وازاح علته في جميع ما يتعلق المراد به ولا يتم الا بخصوصه ثم ثنى عنان دابته الى وجه عسكره واوليائه و
لحق بهم وتعلل بقية النهار في قضاء وطره من صيده ثم عاد الى سريره في داره ومقره في ملكه وليس عند احد من
رهطه وبطانته وغاشيته وحاشيته وخاصته وعامته علم بما تداعيه الى ذلك الكهل الصحراوي وبما عاهده فيه
الناس على سكناتهم وغفلاتهم حتى اصبحوا ذات يوم عن حادث عظيم وامر جسيم وشان هائل وعارض محير وكل

قوياً

عند ذلك يقول ما اعجب هذا امن فعل هذا امتى تهيأ هذا امن لم تصد لهذا امن انتصب لهذا وكيف تم هذا صاحب البريد
ليس عنده منه اثر وهذا صاحب المعونة وهو عن الخبرة بمعزل وهذا الوزير الاكبر وهو متحير وهذا القاضي وهو متفكر وهذا
حاجب وهو ذاهل وكلهم عن الامر الذي دهم مشدوه وهو بينهم معجب وقد قضى الملك مآربه وادرك حاجته واصاب طلبته وبلغ
غايته وانفذ ارادته ونال اربه كذلك ينظر هذا المنجم الى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر والى البروج وتبدلها
والراس والذنب وتقاطعهما والهيلاج والكدخداه والجميع ما دون هذا او قارب وكان له فيه نتيجة وثمرة فيحسب ويزيج ويركب
وينقلب عنده اشياء كثيرة من ساير الكواكب التي لها حركات بطيئة واثار مطوية فينبعث بما اغفله واهمله واضرب عنه ولم يقع له ما
يملك عليه حسه وعقله وفكره ورويته حتى لا يدري من حيث اتى ولا من اين دهي وكيف امتزج عليه الامر واشتد دونه الطلب
وفاته المطلوب وغرب عنه الراي هذا ولا خطأ في الحساب ولا تقصير في الحق وهذا كله يلاذ بالله عز وجل في الامور ويعلم انه ما الله
الله هو مدبر الخلائق وصاحب الدواعي والعوايد والعالم على كل نفس والقائم عند كل نفس انه اذا شاء نفع واذا شاء ضر و
اذا شاء عافى وانه اذا شاء اسقم واذا شاء اغنى واذا شاء افقر واذا شاء احيا واذا شاء امات وانه كاشف الكربة والمونس في الغربة
المبلي النعمة وصارف الازمة ليس فوق يده يد وهو الاحد الصمد على الابد والسرمد وكنت سمعت الحراني الصوفي يقول قديما
بمكة وكان شاهد شيئا من الحكمة وعرف نزرا من حديث الاوايل فقال هذه الامور وان كانت منوطة بهذه العلويات مربوطة بالفلكيات
عنها تحدث ومن جهتها تنبعث فان في عرضها ما لا يستحق ان ينسب الى شيء منها الا على وجه التقريب تمثال ومثال ذلك ملك له سلطان واسع
ونعمة جمة ويفرد كل احد بما هو لايق به وما هو ناهض فيه فيولي مثلا بيت المال خازنا امينا كافيا شهما يفرق على يده ويجمع على يده ثم ان
هذا الملك قد يضع في هذه الخزانة شيئا لا علم للخازن به وقد يخرج منها شيئا لا يقف الخازن عليه ويكون هذا امره دليلا على ملكه
واستبداده وعلى تصرفه وقدرته الى ههنا كان كلام الحراني ومثله هذا وان كان نظير المثل الاول فانه شاهد له وجار معه وقيل
ايضا في عرض الانسان الذي كان بين اولئك المشايخ ما هو زاجر عن تعاطي هذا العلم ومانع عن التحقيق بباب الحكم لما كان علم النجوم
وصاحب الشغف بالاحكام يريد ان يقف على حدث الزمان في مستقبل الوقت من خير وشر وخصب وجدب وسعادة و
نحس وولاية وعزل ومقام وسفر وغم وفرح ونفع وفقر ويسار ومحبة وبغض وجاه وعلم وعافية وسقم والفة وشتات وكساد
ونفاق وابانة واخفاق وراحة ومشقة وقسوة ورقة وتيسير وتعسير وتمام وانقطاع والتيام وانصداع وافتراق واجتماع و
اتصال وانبتات وحياة ومماة وهو انسان ناقص في الاصل زائد في الفرع لا ترتفع نقصانه في الاصل لان نقصانه بالطبع وكماله بالعرض
وهذه الحال المخلوطة بالشبح المزوقة بالطين قد باري بارئه وجاري مجريه ونازع ربه وتتبع غيبه وتوغل علمه وتخلل حكمه وعارض
ما لكره الله نايبة هذا العلم وقصر قوته عن الانتفاع به والاستثمار من شجرته واشعره انه لا يحيط بشيء منه ولا يتحلى بشيء في باب
القبض والقهر وجعل غاية سعيه فيه الحيرة ونهاية علمه منه الحيرة وسلط عليه في صناعته الظن والحدس والحيلة والزرق والكذب
والختل ولو شئت لرويت من ذلك صدرا او هو مثبوت في الكتب ومنشور في المجالس ومتداول بين الناس فلك اشباههم
حظ وتبتره وترده على عقبيه ليعلم انه لا يعلم الا ما علم وانه ليس له ان يتحلى بما علم على ما جهل فان الله لا شريك له في غيبه
ولا وزير له في ربوبيته وانه يونس بالعلم ليطاع ويعبد ويوحش بالجهل ليفزع اليه ويقصد عز وجل الاهنا وتقدس شأنه
اليه وتعالى [illegible] وهذا الكاتب قال العروضي قد يقوى هذا العلم في بعض الدهر حتى يشغف به ويدان بتعلمه بقوة
سماويته وتعمل ذلك فيكثر الاستنباط والبحث وتستبد العناية والفكر فتغلب الاصابة حتى يزول الخطأ وقد يضعف هذا العلم
في بعض الدهر فيكثر الخطأ فيه لذلك حال آخر يقتضي ذلك وحتى يسقط النظر فيه ويحرم البحث عنه ويكون الدين حاظر الطلبة الحكم

به وقد يعتدل الامر في دهر آخر حتى يكون الخطا في وزن الصواب والصواب في قدر الخطاء ويكون الدواعي والصوارف متكافية
ويكون الذين لا يحث على طلبه كالحث ولا يحظر على طالبه كالحظر **قال** وهذا اذا صح تعلق الامر كله بما يتصل بهذا العالم
السفلي من ذلك العالم العلوي فاذن الصواب والخطأ محمولان على القوى المنبثة والانوار الشايعة والاثار الرايعة والعلل الموجبة
والاسباب الموافقة **ورأيت** ابا سليمان يرتضي بهذا القول ويقوي هذا الراي **قال** التوحيدي انما القوم اختصروا الكلام
وقربوا البغية فان الاطالة مصدة عن الغاية ومصلة للغفلة والفهم هل تصح الاحكام فقال غلام زحل ليس من جواب
يتسبب على كل وجه فقيل ولم وبين قال لان صحتها وبطلانها متعلقان باثار الفلك وقد يقتضي شكل الفلك في زمان
لا يصح منها شيء وان غيص على دقايقها وبلغ الى اعماقها وقد يزول ذلك الشكل فيجيء زمان لا يبطل منها شيء فيه وان
قوربت في الاستدلال وقد يتحرك هذا الشكل في وقت آخر الى ان يكثر الصواب فيها ويتقاربان ومتى وقف الامر على هذا الحد لم
يثبت على قول قضاء ولا وثق بجواب فقال ابو سليمان هذا احسن ما يمكن ان يقال في هذا الباب وهو الذي من كلام الشيخ
ابي محمد قيل بعد هذا كله فاما الجواب الذي هو كالبشرى بفائدة هذا العلم وثمرة هذه الحال على ما نقله من قول من قال انه
الساعة فهو ما اختم به هذه المقابسة ان شاء الله تعالى وانما اخترت ذلك وابنته قليلا لان كلام القوم اختلط اختلاطا منع من ادامة
جري على ذلك كنهه وخاصته بعضه بالطول وبعضه بالتحريف وبعضه بالدقة والغموض وبعضه بالكناية والتعريض ولولا
اني خلعت الحياء خلعا وتصديت للوم تصديا في تحرير هذا الكلام على ما به من اضطراب اللفظ وانتثار المعنى زيغ اتانا
وتراخي الحكاية لكان ذلك كله منسيا في جملة ما نسي ومغمورا في غمار ما جهل وفائتا في عرض ما فات والعلم حرسك الله
وحشي والحكمة نفور والبيان حرون والبلاغة عزوف والجهل صاحب والسفه طباع والعي الوف والقلب شجاع وعلى
ذلك فقد نسقت في هذا الكتاب ما ان لم تكن فائدة لغيري لم يبعد ان تكون تذكرة لنفسي وتبصرة لمن يروم معنا الى الحـ
الله نشكو قسوة قلوبنا في ايثار الصدق وتحقيق العقد وتصفية الخلق وما قد حل بنا ونزل بساحتنا من فقد الناصر واسلام
المعين فنحن كما قال القايل افتضحنا فاصطلحنا **قال** بعض الحاضرين ان الله تعالى وتقدس لما اخترع هذا العالم وزينه
ورتبه وحسنه وشيده ونظمه وهذبه وقومه واظهر عليه البهجة وابطن في اضعافه الحكمة وحققها بكل ما طبا العقول
تصفحه ومعرفته وحشاه بكل ما حاش النفوس الى تقليبه والتعجب من اعاجيبه وامتع الارواح بمحاسنه واودعه امورا واستودعه
اسرارا ثم حرك اولئك عليها حتى استثارتها ولقطتها واجتلتها وعشقتها وولهت عليها لانها عرفت بها ربها وخالقها
والهها وواضعها وصانعها وناصرها وحاشدها وحافظها وكافلها ثم انه تبارك وتقدس حرك بعض ما فيها ببعض وركب
بعضه على بعض وسل بعضه من بعض ونسج بعضه في بعض فاملد بعضه من بعض واحال بعضه الى بعض بوسائط من اشخاص
واحساس وطبايع وانفس وعلوم وعقول وتصرف في ملكه بقدرته وحكمته لا معيب الفضل ولا مقل الاختيار ولا مردود
الحكم ولا محجوب الذات ولا محدود الصفات وهو سبحانه مع هذا كله لم يستفد شيئا ولم ينتفع بشيء بل استفاد منه كل
شيء بحسب مادته المنقادة وصورته المختارة ولم يثبت بشيء وثبت به كل شيء ولم يختص بشيء وحظي به كل شيء وهو العا
القادر والجواد الواهب والمنيل المفضل والاول السابق والواحد المطلق فلما كان الباحث عن العالم العلوي يتصفح مكانه
ومعرفة اماكنه واثاره ومواقعه واسراره متعرضا لان يكون مشابها للباري بمثل ما سنا له بهذا الوجه المعروف استحال ان
يستفيد بعلمه كما استحال وبطل ان يستفيد خالقه بعلمه لان نفسه لصق به وحكمه لزمه وحليته بدت منه وصفته عادت
عليه وهيئته تعلقته هذه حال اذا فطن لها واشرف عليها ببصيرة ثاقبة وتحقق حقيقتها وتولى الخبرة بنفسه فيما

علم اضطرارا عقليا انها اجل واعلا وانفس واسنى وارفع واوفى واعظم وازكى وادوم وابقى من جميع فوايد ساير العلوم
التي حازها الملوك العالمون لان اولئك اعلوا فوايد علومهم فيما حفظ عليهم حد الانسانية وخلقه ومادته وشهوته واختلافه في
اجتلاب نفع ودفع ضر ونقصت رتبتهم مشاكهة ومناسبة والتشبه بخاصيته والتحلي بحليته وكذلك خبر الله نقصهم في
علمهم بفوايد نالوها ومنافع اخبروها واوطار قضوها بسببها فاما من اراد معرفة هذه الخفايا والاسرار في هذه الاجرام
والانوار على ما هيئت له وعينت عليه ونظمت به ورتبت فيه وزينت بمحاسنه فهو حري جدير ان يعرى من جميع ما وجد منا
كل علم من المرافق والمنافع على ما اتسع القول به في فاتحة هذه المقايسة وينفرد بحكم منه تبهما على ما هو عليه غير مستفيد الا به
فايدة ولا جدوى وهذه لطيفة متى وقف عليها حق الوقوف وتقبلت حق التقبل كان المدرك لها اجل من كل قلب ان عرا بها
بشرية صارت الاهية وجسمية استحالت روحانية وطينية انقلبت نورية ومركب عاد بسيطا وجزء حال كلا وهذا امر
قل ما يهتدى اليه ويتنبه عليه ثم اني بعد هذا كله **قلت** لابي سليمان في خلوة ايها الشيخ تكررت في هذه المسألة كلمات
جافية بشعة مائية مكروهة لا اراها تسلم او تسلم قال ما هي قلت مثل قول القايل مشاكلة الباري ومناسبة الباري ومثل قوله فتتم
لصق به وحكمه لزمه وحليته بدت منه وصفته عادت عليه **قلت** لعمري ان تقديس الباري يحق هذا كله ويذهب به ويطرحه
بتغييره ولكن اذا عرفه واشار اليه وكنى عن ربوبيته وافصح عن الاهيته لم يجد بدا من هذه الكلمات التي هي الطف ما في ملكه
واشرف ما في قوته والمراقي التي هي فوق المرام التي تتراسل بين الخلق في عباراتهم واشاراتهم لكنها مستعارة في حمى التوحيد
وحرم المعرفة مرفوعة المقادير عما يدنسها ويذيلها ويفسدها ويحيلها على عادة اهل اللسان في الاسماء والصفات والحروف
والاحداث وانما يوحي لي هذه الغايات بهذه العبارات ايما لانها تفوت ذرع القول كما تفوت ذرع العقل وتسبق ظن
العقل كما تسبق وهم المستشعر وهذا اضطرار اشترك جميع اهل اللغات فيه عند اخبارهم عن القديم الا من كانت معرفته من
جنس معرفة العامة واستبصاره من قبيل استبصارها وعبارته في طريق عباراتها والعامة لا توحيد لها ولا حقيقة
معها ولا مبالاة بها **قلت** لابي سليمان في هذا الموضع حصل لنا في هذه المسألة جوابان احدهما زجر عن النظر في هذا
العلم على المال الشرح فيه والاخر على هذه الفايدة التي تكاد الروح تطير معها طربا عليها فهل يجوز ان نعتقد فساد
احد الجوابين وهو ما نهي عن التبصر فيه والاخذ بالحظ الوافر منه ليكون الجواب الاخر جامعا الوجوب للحق فقال الجوابان صحيحان
وذلك ان ها هنا انفسا خبيثة وعقولا ردية ومعارف خسيسة لا يجوز لاربابها ان يتشوقوا الى الحكمة او يتطاولوا الى غرايب
الفلسفة فالنهي ورد من اجلهم وهو حق والحال هذه الحال فاما النفوس التي قوتها الحكمة وبلغتها العلم وعدتها الفضايل و
عقدتها الحقايق وذخرها الخيرات وعمارتها المكارم وهمتها المعالي فان النهي لم يتوجه اليها والعيب لم يقع عليها كيف يكون
ذلك وقد بان بما كثر القول فيه ان غاية هذا العلم اجل غاية وثمرته احلى ثمرة ونتيجته اشرف نتيجة فليكن هذا كله كافيا عن سوء
الظن وكافيا لك عما وقع القول فيه وطال بين هؤلاء السادة الجحاجحة في الفهم والعلم والبيان والتصفح **هذا** ابقاك الله
اخر ما نقلت به من حكاية هذه المقايسة بين هذه الطايفة الفاضلة وقد اعتذرت اليك في خلالها مرارا من قصور لا حيلة
لي فيه ومن تقصير لم اقصد اختياري اليه وظني بايثارك لستر القبيح على اخوانك ونشر الجميل عن اصدقايك جميل والله كاف
كافيك ونعم الوكيل **مقابسة اخرى** جرى عند ابن سعدان يوما كلام في الاخلاق وحضرة جماعة منهم عيسى بن ثقيف
الرومي ابو المسيح وغيرهم هؤلاء من مشايخ النصارى وكانوا متحرمين بالفلسفة ومحبين لاهلها وكان محصول ذلك مزارا

ان يكسب نفسه هيئة جميلة وسجية محمودة بتهذيب الاخلاق وتقويمها وتطهيرها من الادناس التي تعتريها لتصير امرانه متباينا اخلافها
عسر ذلك وتعذره والتواءه فيظن لذلك ان الامر الذي يحاوله ممتنع عنه وانه غير مقدور عليه فان الوصول اليه محال ولا يحس
استجابته لذلك وانقياده ومطاوعته وامكانه فيظن لذلك ان الغاية التي يرومها باجتهاده وقصده ورايه وعزمه دانية منه متسهلة
قريبة والدال على هذا من الشاهد في اخلاق الانسان موجود من اعتبار امر البدن وذلك ان الانسان اذا اقصد لما فيه بدنه وتدليك
اعضائه وتقليم اظفاره ونفي القذى عن عينه وتسريح شعره وترجيل جمته وتنقية ازمة عن وارة الدرن عن مغابنه ويد غيره والقيم
في الحمام وغيره وقدر على ذلك ووجد السبيل اليه سهلا حتى يخرج من الحمام نافر البدن نقي الاطراف قد اكتسب صاحبه صباحة ونظافة
ووضاءة وخفة ظاهرة من ثقل ما كان ركبه ولازمه من الوسخ والدرن فان اراد بعد ذلك ان يحول فطس انفه اقنى وزرق عينيه حورا ولفع
لسانه استمرارا واراد المحال وحاول الممتنع عنه وعرف سوء الاختيار وحكم عليه بوار السعي وبطلان الاجتهاد ومع هذا فليس له ان
يباشر من اصلاح ما هو مستطاع باسعي صلاح ما هو غير مستطاع وليس له ايضا ان يرجو صلاح ما ليس بمستطاع لاقتداره
على صلاح مستطاع قطب هذه المذاكرة في الاخلاق على ان تهذيبها وتطهيرها وردها الى مقاربها وتسويتها وتعديلها من
الصعب العسير والممتنع المتعذر لكنها مع هذا كله ممكنة من نفسها في اشياء خاصة وفي مواضع معلومة بعض الامكان وضامنة
الاستحالة فيها بعض الضمان فعلى هذا لا ينبغي ان يطمع في اصلاحها كل الطمع ولا يقطع الرجاء عن اصلاح الممكن منها كل القطع وكان
في كلامهم حشو كثير حصلت خالصه زبدته ما اعربت ها هنا وفكرته وجملة الناس من اول الدهر انما يتكلمون في الاخلاق وعلى هذا
تدل الكتب السالفة والاشعار المتقادمة والمواعظ القايمة والمزاجر المترددة ومع ذلك كله من طبع على الجبن ليس تجيء منه شجاعة ومن
طبع على الغيرة لم يمكنه ان يغفل ومن وجد في سوسه شيئا ابداه ومن كان في قوته شيء اظهره ومن استكن في مزاجه شيء لاصل طالع
رايه على الايام والاختيار في الاشياء قوة ضعيفة جدا الاثبات لها مع الضرورة التي ترد قاهرة وتولى مخبرة فان الاختيار
ايضا في الاول من جملة تلك الضرورة في عرض القسمة السماوية وان اذن لم يبد او ظهر وسعى وسفر وان نكل اخرى بطل حكمه ورسمه
وارتفع عينه وفعله وقد شاهدنا من يمدح الجود ويحث عليه ويحسنه ويدعو اليه وهو ابعد الناس من العمل به والقيام بحكمه وقد
وجدنا من يلوم التغافل في الحرمة وما يجري مجراها ويبعث على الغيرة والصرامة فيها وخوض الدم من اجل عارض في بابها وهو اشد
الناس تغافلا فيها واكثرهم احتمالا لا عليها فكان ما يقول احدهم ذاما ومادحا هو غير ما ينبغي ان ياتيه او يتركه تجنبا وكان ابو سليمان
يقول كثيرا من اخلاق الانسان تخفى عليه وتطوى عنه وذلك تجلى لصاحبه وجاره وعشيرته وهو يدرك اخفى من ذلك
على صاحبه وجليسه ومعامله وقريبه وبعيده وكانه في عرض هذه الاحوال عالم جاهل ومتيقظ غافل وجبان شجاع وحليم
طايش يرضى عن نفسه في شيء هو المغتاظ على غيره من اجله قال وهذا اكبر دليل على ان الخالق في وزن الخلق وعلى نسا خسر
يعبر منه ما يعبر من هذا او يسهل منه اما يسهل من ذلك قلت له عند انقضاف الكلام في هذا الحد ما الخلق قال شعار
قلت فما المحمود منه قال ما انشاته النفس الفاضلة في المزاج المعتدل قلت فما المذموم منه قال ما تورثه الطبيعة في ذي مزاج متفاوت
والكلام في الاخلاق مطرب وكل هذا الكتاب فيها ولهذا اما يجب ان يخلى وان امكن عدت اليها في اثناء غيرها فالغرض كله
تقديرها بالقسطاس وتطهيرها من الادناس التي عليها جمهور هذا الخلق **مقابسة اخرى** سمعت ابن مقداد يقول
لا بد في وضع الناموس الالهي الذي يتوجه بافاضة الخير وترتيب السياسة وما يورث سكون البال ويحسم مواد الشر
وتوطد دعايم السنن ويبعث على تشريف النفوس وتزيين الاخلاق ويقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ويواصل اسباب
الحكمة ويشوق الارواح الى طلب الحق وايثار العفة وتقدم دواعي العدل والنصفة والرحمة والكرمة من الاخبار التي تنقسم بين

ماهو صدق محض وبين ماهو صدق ممزوج وتكون الالفاظ التي تدور بها واللغات التي ترجع اليها كثيرة الوجود سمحة عند
التاويل وانما وجب ذلك لان الناس في اصل جبلتهم وبدء خلقهم واول نشأتهم قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا مفترقين و
اختلفوا موتلفين وائتلفوا مختلفين واجسامهم متوقدة وظنونهم جوالة وعقولهم متفاوتة واذهانهم عاطلة وآراؤهم سايحة
وكل منهم منفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظر وفكر واصل وفرع واختيار والف وعادة وضراوة ونفرة واستحسان
واستقباح وتوق وتوقف واقدام وجسارة واعتراف وشهادة وبهت ومكابرة هذا سوى اعراض كثيرة مختلفة لا اسما
لها عندنا خالصة ولا صفات متميزة **قال** ومثل هذا المثل رجل اصلح طعاما كثيرا واسعا مختلفا من كل لون وجنس
ومذاق ورايحة ووضع وقصد وحرارة وبرودة وحلاوة وحموضة ونصبه على مايدة واسعة عظيمة فجمع ... عليه جمع
حتى لم تكن المائدة ذات الوان مختلفة واطعمة مركبة متباينة في القلة والكثرة والملوحة والحرافة وامرقة المتقدمة لم يقبل كل
انسان على ما يليق به بشهوته الخاصة له ولم تمتد يده الى اللون الذي تدعو اليه العين لان للعين نوعا من الطلب ليس
للفم وللنفس ايضا مثل ذلك اعني النفس المغتذية به فهذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والكرامة
والايناس والمحادثة ثم قال فلما كان الناموس الالهي نصيحة عامة للكافة وجب ان يستعان عليها بكل ما يكون ردأ لها وقودا
معها وفارشا لما انطوى وموضحا لما خفي عنها وداعيا باللطف اليها وضامنا لحسن الجزاء عنها وهذا القدر كالخالصة لما

خامس

وقع التفاوض به سقته على ما امكن والحمد لله وحده **مقابسة اخرى** قلت لابي بكر القومسي وكان كبيرا في الاوائل
باي معنى يكون هذا الزمان اشرف من هذا الزمان وهذا المكان افضل من هذا المكان وهذا الانسان اشرف من هذا الانسان
فقال هذا يشعر بافاضة الزمان الى سعادة شايعة وعز غامر وبركة فايضة وخصب عام وشريعة مقبولة وخيرات معمولة ومكارم
موثرة من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض دواير وكذلك المكان اذا قابله اثر من هذه الاجرام الشريفة والاعمال
المنيفة واما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس فيه جزء اشرف من جزء وكذلك المكان لانه رديف الزمان
ولا سبيل في مثل هذه المسايل الى معرفة الحقايق الا بالامانة التي هي شاملة للعالم غالبة عليه من محيطه الى مركزه واما الانسان
فلا اشرف له ايضا على انسان آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت لان الحد في كل احد واحد فاذن لا اشرف
من هذا الوجه فان اعتبر بعد هذا افعل هذا او فعل ذلك من جهة الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب فذاك يقف
على الاشرف فلا اشرف ولا اعلا فالاعلا بحسب ما يوجد منظوما في نفسه نافعا لغيره واقعا موقعه الاخص منه

سادس

مقابسة اخرى قلت لابي بكر القومسي وكان كبير الطبقة في الفلسفة وقد لزم يحيى بن عدي زمانا وكتب لعضد الدولة
وكان حلو الكتابة مقبول الجملة ما معنى قول بعض الحكماء الالفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت احلى والمعاني تقع في النفس
فكلما اتفقت كانت احلى فقال هذا الكلام مليح وله قسط من الصواب والحق ان الالفاظ يشملها السمع والسمع حس ومن
شان الحس التبدل في نفسه والتبدل بغيره والمعاني تستفيدها النفس ومن شانها التوحد بها والتوحيد لها ولهذا تبقى
الصورة عند النفس ثابتة وملكة وتبطل عند الحس بطولا وتمحي محوا والحس تابع للطبيعة والنفس متقلبة للعقل
وكان الالفاظ على هذا التدريج والتنسيق من امة الحس والمعاني المقولة فيها من امة العقل فالاختلاف في الاول بالواجب
والاتفاق في الثاني بالواجب وبالجملة الالفاظ وسايط بين الناطق والسامع فكلما اختلفت مراتبها على عادة اهلها
كان وشيها اروع واحلى والمعاني جواهر النفس فكلما ائتلفت حقايقها على شهادة العقل كانت صورتها انصع واظهر
واذا وفيت البحث حقه فان اللفظ يجزل تارة ويتوسط تارة بحسب الملابسة التي تحصل له من نور النفس وفيض العقل

شهادة الحق وبراعة النظم وقد يتفق هذا التحويل للانسان بمزاجه الصحيح وطبيعته الجيدة واختياره المحمود وقد يفوته
هذا الوجه فيتلافاه بحسن الاقتداء بمن سبق بهذه المعاني اليه فيكون اقتداؤه حافظا عليه نسبة البيان على شكله العجيب
وصورته المعشوقة ومدار البيان على صحة التقسيم وتخير اللفظ وترتيب النظم وتقريب المراد ومعرفة الوصل والفصل
وتوخي الزمان والمكان ومجانبة العسف والاستكراه وطلب العفو كيف كان

سابع **مقايسة اخرى** قيل لابي سليمان قد
يجري كلام في السر وطيه والبوح به وما السبب فان السر لا ينكتم البتة فقال لان السر اسم لامر موجود وقد ضرب دونه حجاب
واغلق عليه باب فعليه الكتمان والطي والخفاء والستر ستره عن الغريب وهو مع ذلك موجود العين ثابت الذات محصل
الجوهر فباتصال الزمان وامتداد حركة الفلك يتوجه نحو غايته كالمد فلا بد له اذا من النمو والظهور لان انتهاءه اليها و
وقوعه عليها ولو بقي مكتوما خافيا ابدا لكان والمعدوم سواء وهذا غير سائغ اعني ان يكون الموجود معدوما ولو قبل الوهم
هذا القبل ان يكون المعدوم موجودا وهذه مسئلة في الهوامل ولها جواب اخر في الشوامل لكن هذا القدر مستفاد من الشيخ
الفاضل وهو ايضا في كلامه ان الحجاب المضروب على هذا السر يرث ويخلق لانه لا يبقى على هيئته الاولى يوم يقع سرا ويحدث
مكتوما ثم قال هذه الخواطر والسوانح على لفظها ووهمها وشدة حقايقها وعموم مشاربها تبدو وتظهر وتقوى و
تكثر حتى يعرف فيها الشيء بعد الشيء باللحظ والنتيجة والتلفت وضروب شكل الوجه فكيف ما ابتذله اللسان ونسجه العبارة
ولعمري من كان الى كان

ثامن **مقايسة اخرى** سمعت ابا الكرم ابا القاسم وكان يعرف بالمجتبي يقول الاسباب التي هي مادة الحياة
هي بعينها الاسباب التي هي جالبة للموت قيل له فلم كان الموت على هذا اولى بالانسان من الحياة فقال لان الموت طبيعي وكل طبيعي لا محيص عنه
وانما اطلقت الكلام الاول لانك ترى من يحامي الموت بشيء به يخلص غيره الى الموت فلو استطيع حصر هذه الابواب
ما به يموت من يموت في علة ما به يحيى من يحيى ثم قال وها هنا موت طبيعي معروف به وفي مقابلته حياة طبيعية وهكذا
ايضا ها هنا موت عرضي وفي مواجهته حياة عرضية فالموت الطبعي قد قامت عنه الشهادة من الكافة فاما
الحياة الطبيعية فحياة العقل بالمعقول والموت بالعرض الجهل الشايع في الانسان واما الحياة العرضية فحس الانسان وحركته
بسلامة بدنه وسكون اخلاطه وقوة طبيعته وتصرف ساير ما هو مركب من جهته ثم قال ومن فتح الله بصيرة عقله لحظ هذه
هذه الحقائق ترقى في درجات المعارف وسلاليم الفضايل وانتهى الى افق الروح والراحة ويحامى هذه المعادن التي
هي معادن العطب والتلف ومساكن الافات والهلاك وتفجر في هذا الفصل بكل كلام شريف وكل موعظة حسنة
وكان من القادرين على امثاله ومن قبله ايده الله بتوفيقه ومعونته

تاسع **مقايسة اخرى** سال ابو محمد الاندلسي النحوي
عيسى بن علي بن عيسى الوزير وانا عنده فقال له قال صاحب كل علم ليس في الدنيا اشرف من علمي الذي انظر فيه
هكذا اجد الطبيب والمنجم والنحوي والفقيه والمتكلم والمهندس والكاتب والشاعر قال وانا المكافئ من النحو
اقول هذا وهكذا اجد جميع من سميت قال الشيخ عيسى بن علي هذا لان صورة العلم في كل نفس واحدة وكل احد
يجد تلك الصورة بعينها فيمدح العلم بها ويظن ان تلك الصورة انما هي لعلمه وحده وكذلك صاحبه وتلك اطال الله
بقاك صورة العلم الاول فاما اذا قسمت العلم كما قسمه ابو زيد احمد بن زيد البلخي الفيلسوف في كتابه المسمى اقسام
العلوم وتتبعت مراتبه فانك حينئذ تجد علما فوق علم بالموضوع او بالصورة وعلما دون علم بالفائدة والثمرة و
هذا المعنى الذي اشير اليه يصح لك ولو فرضت نفسك عالمة بكل شيء لكنت حينئذ لا يحضرك علم دون علم بل كنت
تطلع على جميعه بنوع الوحدة مع اختلاف مراتبه من نواحي مواده وصوره وفوايده وثمره كنت تجدها كلها واحدة لا

حد العلم كان يسبق من كل فن منها على ما هو به من غير خلل بعارض ولا فساد واقع قال الاندلسي قد كنا ايها السيد توقرن هذه المسئلة تحقيرا لها واتهاما لقدرها وفيها هذا الجواب الذي لو رحل اليه من قطر شاسع وغوّر عليه مال كثير لكان ذالك دون حقه وما اكثر ما يحقر الشئ فيصير صلة لشئ لا يحقر لولا ان عمري يستهلكه الضو لكنت البس لهذا العلم صدار المنكمش واصبغ نفسي صبغة المتحققين

عاشر

مقايسة اخرى

قال ابو زكريا الصيمري لابي سليمان اذا كان الباري لا يفعل ما يفعل ضرورة ولا اختيارا فعلى اي نحو يكون فعله فانه ان كان كاستنارة الهوا عن الشمس فهو ضروري وان كان كفعل احدنا فهو اختياري وما خلا هذين فغير معقول وما لا يعقل فغير مقبول قال ابو سليمان قد قال لنا الاوايل انه يفعل بنوع اشرف من الاختيار وذالك النوع لا اسم له عندنا لانا انما نعرف الاسما التي قد عهدنا اعيانها او مشبهاتها والناس اذا عدموا شيئا عدموا اسمه لان اسمه فرع عليه وعينه اصل له واذا ارتفع الاصل ارتفع الفرع هذا ما لا دفاع له ولا امتناع منه وخواص الخواص معدومة الاسما ونحن نحس بمعان جمة وفوايد كثيرة لا نستطيع صرفها عن انفسنا وقد التبست بها وتورث في فنانها ومع ذلك اذا حاولنا اسماءها عجزنا بلى قد نعتاض من الاسماء الفايتة اشارات بصفات وتشبيهات تقوم لنا من بعد مقام الاسماء الفايتة ولكن لها فينا اعمال ردية وايهامات عندنا فاسدة ولكن ليس لنا في هذا توجد من الوجود جملة فمن جملة ذالك هذا الذي نحن فيه انه قد صح بالبرهان ان فعل الله تقدس وعلا ليس باضطرار لان هذا نعت عاجز ولا دافع لهذا القول وليس باختيار ايضا لان في الاختيار معنى قويا من الانفعال وهذا مسلم عند من الف شيئا من الفلسفة وشدا ببعض علم الاوايل فلم يبق بعد هذا الا انه بنحو عال شريف يضيق عنه الاسم مشار اليه والرسم مدلول به عليه ولو قال لك رجل لم خبرت عن الله بالتذكير دون التانيث لما كان عندك الا ان تقول هذا ما اقدر عليه وليس عندي لما هو حقه في الخبر عنه اسم يحصر واكثر ما امكنني ان نفيت لما به الانثى وهذا لان التذكير والتانيث معنيان يوجدان فينا وبما اشبهنا من سائر الحيوان وهما منفيان عن الله تعالى من كل وجه وكل وهم ثم قال بعد هذا الذي قد مضى القول والذي اختاره في هذا الجواب مع هذا التضييق الواقع قولنا يفعل لا يصح معناه في الباري تعالى البتة بل قولنا يفعل عبارة عن انفعال الاشيا له لان الاشيا له وان الاشياء كلها مشتاقة اليه متوجهة نحوه مستانسة مقتبسة منه وذالك اتصالات وجوده فيه ونحوه الاشياء الى ذاته وشوقها الى قربه وبث الوسايط بينها ثم ضرب مثلا فقال الا ترى ان الطبل يضرب عند الرحيل من قبل الملك فترى كل احد يتحرك حركة لايقة به موقوفة عليه بنحو الملك من غير ان يكون قد تقدم الى واحد منهم بما هو اليه بل هو على سكونه وحاله السابقة فانما لاح لهم منه لايح فتحركوا مشتاقين متشبهين ثم قال وينبغي ان تعلم انه لا فاعل الا ويعتريه نوع من انواع الانفعال في فعله كما انه لا منفعل الا وهو يعتريه نوع من انواع الفعل في انفعاله الا ان في الانفعال خفي جدا والفعل في المنفعل خفي جدا فلهذا لا يطلق على الفاعل الا الاسم الاشمل له الاول ولذالك لا يطلق على المنفعل الا الاسم الاخص له والاعم لجملته وهذا وان كان للاطلاق وللاستعمال على حد ما حقق القول فان المعقول لا سبيل الى انكاره والعارف حقيقة لا طريق الى جحوده فقد بان ان قولنا يفعل ولا يفعل وفاعل وغير فاعل كلمات مطلقة على حد المجاز والعادة

حادي عشر

مقايسة اخرى

سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول لابي الخطاب الصابي اعلم ان المذاهب والمقالات والنحل والاراء وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كدائرة في الفعل فمتى فرض فيها قول وجعل مبدا للاقوال انتهى منه الى اخر ما يمكن ان يقال فليس من قول الا وقد قيل او يقال وليس من فعل الا وقد فعل او سيفعل

وليس من شيء الا وقد علم او يعلم وهكذا في الظن والراى وغير ذالك وامثال هذا ابين في كل ما اردته وذالك انك لا تشير الى رأى وتخلة الا امكنك ان تظن به كل ما ظن ويظن وتقول كما قيل ويقال وانما يضيق بهم احدنا وينفسح الاخر لان الخاطر ينسخ مرة ولا ينسخ مرة والقلب يتسع تارة ولا يتسع تارة واللسان ينطق وقتا ويسك وقتا قال ابو الخطاب هل للخواطر والالفاظ والاراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهواء والى العناصر بالجملة فقال نعم لها نسبة قوية وعلاقة شديدة وروابط متين الى هذه الامور التى تنظر فيها وتطيف بها وتطل عليه ولا سبيل مع ذالك الى اتفاق الناس في حال من الاحوال ولا سبيل من السبل ولو امكن ذالك لوجد الا ترى انه لا سبيل الى ان يكون الناس كلهم طوال القدود او قصارها وضخام الروس او صغارها وفصحاء الالسنة او لكنها او على مذهب واحد وحد ومقابلة واحدة كيف يكون هذا او يظن هذا والطبيعة انما تعطى صورتها لكل شيء بحسب قبوله وتهيئه ومواتاته فليس الزند من عطية الطبيعة ولكن على قدر قبوله وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره فاختلاف الصور انما تنشا من اختلاف المواد وهذا اصل لا اصل له وعلة لا علة لها لانه لم يفعله فاعل على ذالك بل الصورة من شانها هذا والمادة من شانها ذالك والامر مسبب على سنن ما ترى فعلى هذا لا احد ينتحل ما شاكله مزاجه ونبض عليه عرقه ونزع اليه شوطه وعجن به طينه وجرى بعد ذالك عليه ما يرويه

مقابسة اخرى سمعت الخوارزمى الكاتب يقول لابى اسحاق الصابى بن هيثم بن هلال لم اذا قيل لمصنف او كاتب وخطيب او شاعر في كل كلام . قد اختل شيء منه وبيت قد اختل نظمه ولفظه قلق مضاربه هات بدل هذا اللفظ لفظا ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معنى آخر تهافتت قوته وصعب عليه تكلفه وبعد بمزاولته ذالك رايه ولو لم انشأ قصيدة مفردة وتحبير رسالة مقترحة كان عسرها عليه اقل وكان نهوضه بها اجمل فقال ربع ما هو يحتاج الى التدبير قد فات اوله من جهة صاحبه الاول والذى كان اولى به وكان كالاب له وذالك شبيه بعلم الغيب وقل من ينفذ في حجب الغيب مع العوائق التى دونه وليس كذالك اذا اخترع هو كلاما وابتدأ فعلا واقتضب حالا لانه يستقل حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شيء كان من غيره او يكون تعلقه بيقظته بعطيه تمام ما قد فتح عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله في كلام معروض عليه لم يلحس قط في نفسه ولا اعد له شيا من فكره فقد يعجزه ما لم يتاهب له ولم يرض نفسه عليه وفي الجملة كل مبتدئ شيئا فقوة المبدا فيه تقتضى به الى غاية ذالك الشئ وكل معقب امرا قد بدأ به غيره فانه بتعقيبه يقضى الى حد ما بدأ به في تعقيبه ويصير ذالك مبدأ له ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدا وبين المتعقب

مقابسة اخرى قال يحيى بن عدى قول القائل العلة قبل المعلول لا مدخل للزمان فيه وكذالك قول النحويين الاسم قبل الفعل لا يتضمن بمعنى الزمان ولا انه جار في قضايا الدهر والفرق بين الزمان والدهر بين ولعله سيمر في موضع من هذا الكتاب قال له البديهى فقولنا الاب قبل الابن اين هو من الزمان قال من جهة لا مدخل للزمان بينهما وذالك ان الغرض فيهما ان هذا علة هذا ومن جهة يدخل لانه يصير موذنا بان هذا كان في الزمان قبل هذا في الزمان واما قول النحويين ان الاسم قبل الفعل فمعقول انه رتبته مقدم عليه والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ومتى وجد الفعل وجد الحرف فمرتبة الوجود واحدة في الجميع ومراتب الاعيان مختلفة في الجميع ثم قال وينبغي ان يصفو الحظ الذى يجرد في نحو الاشياء الاول التى هى كثيرة بالاسماء والنعوت عند الاستحال وواحدة بالحقايق والذوات فان هذا النظر انما اصفى ونم كنى مونة عظيمة وبار امرا عزيزا

مقابسة اخرى قال يحيى بن عدى ذرس البديهى عليه سنة احدى وستين

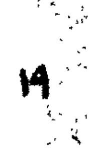


وثلثمائة وانا حاضر مبدأ الجوهر الصورة والمادة ومبدأ الكم النقطة والوحدة ومبدأ الكيف السكون والحركة قال
وهذه المبادى هى اوايل العالم العلوى والسفلى والعقلى والحسى وصار ايضا هم بهذ التخليص بحيث العقل واستنباط
النفس وشهادة الحال وحقيقة المطلوب ان حاول محاول زيادة على هذا لم يستطع وان رام رايم نقصا منه لم يقدر
لان انتظامه بالعلة الاولى وتمامه من اجلها ودوامه بدوامها والحركة والسكون والنقطة والوحدة والمادة والصورة
لم تختلف فى اعيانها بل القوابل التى هى بها وبحسبها انقسمت النعوت عليها واشتركت العبارات فيها ومتى امكن نشاط
الضبط الى الغاية والى النهاية المتناهية لم يوجد الا الحق الذى هو هو لا لشئ هو به بل كل شئ هو به وهو له وهو من
اجله ثم قال النقطة فى الجوهر صورة والصورة هى فى الكم نقطة والوحدة فى جميعها مستولية شاملة محتوية غالبة
يجب ان يرعى الراعى وعنها يجب ان يحمى الحامى فليس فوقها مذهب ولا دونها مبتغى قال العروضى فاذا كانت
الوحدة مستولية كما بان من القول فما بال الكثرة ادنى الينا واسبق الى نواظرنا واغنى عن طلب الدليل فيها فقال
لانا بها وهى بنا فمن هذه الجهة وجب ان تشتد العناية فى تحصيلها وتقليبها حتى تظهر الوحدة فى الثانى كما ظهرت
الكثرة فى الاول وهو الذى يسمى سعادة واليها وقع التوجه وعليها اقتصر السعى ودخل ابو العلا صاعد فانقطع الكلام وفات
ان يبلغ اقصى ما عنده **مقايسة اخرى** قلت لوهب بن يعيش الرقى لم صارت الكيفية تسرى من المكيف الى
الاول والثانى مثال ذلك الرايحة التى للتفاح فانها تسرى الى الدماغ وليس كذلك الكمية من ذى الكم مثال ذلك
تفاحتان وثلاث عند زيد لا تسرى كميتها الى عمرو فقال الكمية اقرب الى الجوهر واشد توحدا به وادل على المواصلة
والتشبث والوحدة وليس كذلك الكيفية بحسب الكثرة فخالفا اقتضى الكيفية بحسب الوحدة الا ترى ان الكيفية تابعة
لما ترى اى الحس واسبق عن الطبيعة الا ترى ان الكمية تابعة لما ترى اى العقل ومتصل بالنفس **مقايسة
اخرى** لم صار الانسان اذا ورد كلاما المجلس يحضره وخصم يناظره وصاحب يعاتبه لا يمكنه اداؤه فى حال ما يباشر
المراد ويحيى عن الغرض ويتوخى غاية ما فى النفس فقال لانه فى الحال الثانية يصير اسيرا فى يد ما قد مر وقومه فهو
يحتاج فى تلك الحال الى قوة حافظة وقوة مؤدية وربما خانتاه او خانته احديهما وليس كذلك اذا ارتجل كلاما
واخترع معنى فانه يكون مطلق العنان فى ضروب التصرف وافانين القول غير موقوف على شئ تقدم ولا مقتفى شيئا موقعا
يخاف تجاوزه على خلاف تقديره فى وهمه ووضعه فى نفسه يخلو من الحال وسلامة البال يقضيان به الى اخر ما فى نفسه لان
الواسطة الحائلة ساقطة والحجب مخروقة والاولية مغيبة والوحدة مساعدة لا تسرع ايدك الله الى الطعن والعيب فى هذه
المواضع التى نزلته قليلا ولا يبلغ ظنك بها فان الجميع اخذ عن هؤلاء الجلة الاعلام حسب ما كانت المذاكرة والمقايسة تمتد
بهم ويقرات عليهم وكان الغرض كله ان يستفاد كل ما تنفسوا به وتنافسوا فيه فان شاركتنى على ذلك فالحكمة فوضى بيننا
والحق مشاع عندنا والفايدة حاصلة لنا فان الجبت تجد تك وظلمتك لم تخرج من جميع وجوه العدل الى الظلم لكن تبعد
عن الخلق الجميل وعما يليق بالرجل الاصيل واساس الثلاث فى والاجتماع والتصافى والاستماع والمفاوضة بين الناس بكل
ما ينطق بالتودد والايناس على الكرم والتفضيل والرعاية والحيا والابقا والاغضا لا على الشراسة والعناد ولا على ما لا يجمل باهل
الحكمة والفضل والحفاظ والله يبلغ بك ويحسن على اقتباس الحكمة عونك ويقر اعيننا بمكانك ويهدينا جميعا الزلفى
عنده والمكانة فيه بمنه واحسانه على انك اذا استشفعت هذا الكتاب كله وقلبته وعرفت غرايبه وعجايبه علمت
انك ظالم انا عتب وانى مظلوم فى يدك اذا استنزرت ووالله لقد تعبت فى تحصيل ما قالوه وخاطرت الان بروايته

ماتقايسوه ولو قمت مقامي بما اخطا بك حالي ولا خلوت من عبري من بعض ما تحيض به علي كان الله لك واخذ بيدك
وادام الصنع الجميل لك **مقايسة اخرى** سئل ابن سوار وكان ابن السمح بباب الطاق هل ما فيه الناس من
السيرة وما هم عليه من الاعتقاد حق كله او اكثره حق او كله باطل او اكثره فقال المسئلة هائلة والجواب صعب قيل انقذنا انقذك
الله فانّ ركية العلم لا تنزح وان اختلف عليها الدلاء وكثر عليها فاتها الواردة فقال صدقتم واعلموا انه اذ الحظ استيلاء
الطبيعة عليهم وعلى اثارها فيهم في الرأي المعتقد والسيرة الموثرة فاكثر ذلك باطل لان سلطان العقل في بلاد الطبيعة
غريب والغريب ذليل وان لحظ حكم العقل وما يجب به ويليق بجوهره ويحسن مضافا اليه فاكثر ذلك حق كان المحوط
رايا او سيرة وعادة او خليقة وعلى حسب هاتين القبيلتين يكون القضاء ويقع الحكم والحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه
ولا يستحيل باطلا بقلة منتحليه وكذلك الباطل ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جملة الناس
انّ فاضلهم اولى بالتقديم والايثار واحق بالتعظيم والاختيار لانه يكون مقوما بالبحث مجبورا بالفكر مصقولا على الزمان تلمس
كل يد وتجليه كل عين ويصير ثابتا على صورته الواحدة دليلا قويا وشاهدا زكيا على حقيقته لانه يرى حينئذ من هوى ويعرى
من تعصب ناصره ويبقى بصورته الخاصة ويجري مجرى السكينة التي لا تحتاج الى علاج المعالج وتمويه المموه وانتقاد
المنتقد وتنفيق المنفق وحيلة المحتال **مقايسة اخرى** سالت ابا زكريا الصيمري عن الانسان يقول حدثتني
نفسي بكذا او كذا وحدثت نفسي بكذا او كذا هذا اخبار اجد الانسان ونفسه كجارين متلاصقين يتلاقيان



فيتحدثان ويجتمعان فيتحاضران وهذا يدل على بينونة بين الانسان ونفسه قال الانسان انما هو انسان بالنفس
والنفس ما هو انسان والانسان له صورة بحسب قبوله من النفس والنفس نفس بحسب ملابستها للبدن وتصريفها
له وتدبيرها فيه فاذا قال الانسان حدثتني نفسي وحدثت نفسي فانما ذلك لشعوره بشرف نفسه بقدر ما
استفاد من صورتها الخاصة به واستنارة العقل عليه هذا ان كان الحديث مواتيا للحق اخذا بقسطه منه وان تكن
الاخرى دخله الفساد من ناحية المادة والخلط والمزاج والقابل الا ترى انك لا تقول حدثني عقلي بكذا وكذا ولا حدثت
عقلي بكذا وكذا لان افق العقل اعلى وعالمه ارفع واثره الطف وانقى ونسبه اشرف واسنى والانسان متقوم بالنفس
حتى اذا لحظها بعينه التي له منها ساغ له ان يحدثها ويحدث عنها ويحقق بناءها وحالها وهي العقل بوجه اخر
والعقل هو بوجه اخر ولكن العبارة عن هذه الخفيات قاصرة وان كانت النفس بها مستنيرة فعلى هذا الانسان
يحدث نفسه بما يغلب منها ويحدث نفسه بما يغلب عليها منه وهو هي وهي هو ولكن بنوع ونوع وحال وحال واسم
واسم ومخصوص ومخصوص وتقريب وتقريب وهذه معان اختلست من مذاكرات هذه المشايخ فلم يكن ان تورد
تامة مستقصاة لان الكتب التي توضح هذه الحقائق موجودة ومن يشرح مشكلها ويفتح مستغلقها حاضر فليكن



التعويل في بلوغ غايات هذه المواضع على العلماء والكتب والسفر **مقايسة اخرى** خرج ابو سليمان
يوما ببغداد الى الصحراء بعض ايام الربيع قصدا للتفرج والموانسة وصحبته وكان معنا ايضا صبي دون البلوغ
جهم الوجه بغيض المحيا شتيم المنظر ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنما نديا عن جرم ترف وصوت شجي
نغمة رخيمة والمراق حلو وكان معنا جماعة من طراق المحلة فلما تنفس الوقت اخذ الصبي في فنه وبلغ اقصى
ما عنده فترنح اصحابنا وتهادوا وطربوا فقلت لصاحبي لو ذكي اما ترى ما يعمل بنا شجى هذا الصوت وندا هذا الحلق وطيبة
هذا اللحن وتفنن هذه النغم فقال لو كان لهذا من يخرجه ويعنى به وياخذه بالطرائق المولفة والالحان المختلفة لكان

يظهر اثره ويصير فتنة فانه عجيب الطبع بديع الفن غالب الدين والشرف فقال ابو سليمان قلت يحدثوني بما كنتم فيه من الطبيعة لم احتاجت الى الصناعة وقد علمنا ان الصناعة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب منها على بعد ودونها وهذا راي صحيح وقول مشروح وانما حكتها وتبعت رسمها وقصت اثرها لانحطاط رتبتها عنها وقد زعمت ان هذا الحديث لم تكفه الطبيعة ولم تغنه وانها قد تعينه وانها قد احتاجت الى الصناعة حتى يكون الكمال مستفادا وماخوذا من جهتها والغاية مبلوغة بحوتها واصدرها فقلنا لم ما ندري وانها لمسئلة فقال وفكروا فعدنا له وقلنا انا قد ثلجنا ولو منت بالبيان ونشطت لنشر الفايده كان ذلك محسوبا في بيض اياديك وغر فضائلك فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة ها هنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح ان الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وتقبل اثارها وتمتثل امرها وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب باملائها وترسم بالقائها والموسيقي حاصل للنفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف فالموسيقار اذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة وقريحة مواتية والة منقادة افرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوسا مونقا وتاليفا معجبا واعطاها صورة معشوقة وحلية مرموقة وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة فمن ها هنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة لانها وصلت الى كمالها من ناحية النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحادثة التي من شانها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها استكمالا بما تاخذ وكمالا لما تعطي فقال له البخاري وكان من تلامذته ما اشكرنا على هذه الصلات السنية وما احمدنا الله على ما يهب لنا منك من هذه الفوائد الدائمة فقال هذا ابكم اقتبست وبحجركم قدحت والى ضوء ناركم عشوت واذا صفي ضمير الصديق للصديق واضاء الحق بينهما واشتمل الخير عليهما وصار كل واحد منهما ردءا لصاحبه وعونا على قصده وسببا قويا في نيل مراده وردك بغيته ولا عجب من هذا فالنفوس تتقادح والعقول تتلاقح والالسنة تتفاتح واسرار هذا الانسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير كثيرة جمة واسعة منبثة وانما يحتاج الناظر في هذا النمط الى عناية بنفسه في طلب سعادته ورعاية لحاله في السلوك الى غايته غير عائج على زهرة العين ونضرة الحس ولذة الوقت فانه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ويجني تلك الثمرات ويجد تلك السكاين مرتفعا عن هذه الا قذار القاذورات واول هذا الامر واخره بالله ومن الله اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد وحبب الى انفسنا طرائق الرشاد وكن لنا دليلا وبنجاتنا كفيلا بمنك وجودك الذين ما خلا منهما شيء من خلقك العلوي والسفلي ولا فاتا شيئا من صنعك الجلي والخفي يا من الكل به واحد وهو في الكل موجود هذا ما خلص من هذا الاجتماع وهو ظاهر الشرف اثبت به على ما القيته فاشركني في استحسانه وقبوله وكن معينا لي على طلب نظيره والتعاقب على الخير والتناصر على البر سيرة الفاضلين وعادة اهل التقى والدين

مقابسة اخرى

قال ماني المجوسي وكان ذا حظ وافر من الحكمة لابي الحسن محمد بن يوسف العامري وكان من اعلام عصره ايها الشيخ اني اجد النظر في حال النفس بعد الموت مبنيا على الظن والتوهم وذلك ان الانسان كما يستحيل منه ان يعلم حاله قبل كونه ووجوده كذلك يستحيل ان يعلم حاله بعد كونه لانه يصير مشفى علمه ومستنبط مراده عدما والعدم لا يقتبس منه علم بشيء بوجه ولا يستفاد منه معرفة حال لا فيما يتعلق بالحق ولا فيما يتعلق بالباطل فقال له في الجواب ليس النظر في حال النفس بعد الموت مبنيا على الظن وان كان شبيها به ولن يجب ان يثبت القضاء في هذا المعنى بالظن للمشابهة بينه وبين غيره لان الفصل حاضر والفرق ظاهر وذلك ان الانسان لم يجهل حاله قط فيما سلف لان الطريق الى تبيين ذلك وتحصيله مسلوك والشاهد

٣٠

على ثمرة المطلوب تايم والتقريب يدل على ذلك في هذا الوقت وان كان البرهان في الصناعة موجودا اذا اخذت
على ترتيبها الخاص لها في معرفة المنطق الذي هو آلة في استقراء الطبيعة التي هي مراق وفي معرفة النفس التي هي طلبة
كل ناظر في علم ومتحقق بجملة كان الانسان لا خو سيرته في هذا العالم فلما صمدت النفس لها حركت الطبيعة على
تاليفها وتوزيع الكمالات المختلفة فيها واعطتها النفس بوساطة الطبيعة صورة خصتها بها ودبرت اخلاطها
وهيئات مزاجها فظهر الانسان في الثاني بشكل غير الشكل الذي كان لاجزائه التي يردها في آخر البحث الى الهيولى
بالقول الجمل والكلام في هذا ذو شعب وذوائب ثم ان للانسان في معارفه التي يترقى في درجاتها يجد لنفسه قنية ليست
كسائر القنيات وهيئة ليست لجميع الهيئات اعني الحكمة التي هي علم الحق والعمل بالحق فيجول طالبا لبقائها
ناظرا وباحثا عن حقيقة ذلك حايرا الى ان يبلغ بفرط العناية وجودة الفحص وحسن مشاورة العقل الى الحد
الذي يفصح له بان النفس ليست تابعة للمزاج ولا حادثة بالاخلاط بل هي مستتبعة للمزاج ومقومة للاخلاط
بوكالة الطبيعة التي هي ظل من ظلال لها وقوة من قواها وان النفس ليس لها استعانة بالبدن ولا بشيء
منه وانها خالصة لا شوب فيها وقائمة بجوهرها غنية بنفسها عما يفسدها ويحللها ويموهها ويؤثر فيها وكيف يكون
ذلك وهي لا تنفعل البتة ولا رداءة فيها البتة فبهذا واشباهه ينفتح للانسان ان النفس يمكن ان تطلب علم حالها
بعد مفارقة البدن بالامر الطبيعي والسبب الضروري فقد تجلى وانكشف ان البحث عن ذلك ليس بحثا عن عدم
مطلق بل هو بحث عن احوال منزلة مشهورة مرتبة محدودة بل هو بحث عما يتصور غايته ويطمان اليه تارة
بالبرهان المنطقي وتارة بالدليل العقلي وتارة بالايماء الحسي والامر الالهي وقال ايضا في مثل هذا الموضع ما
يجب ايراده وان طال الفصل واسأم فذكروات الحسيات معابر الى العقليات ولا بد لنا ما دمنا باحثين عن حقائق
العقل ولا نقدر ان نخلص الى عالم الدرجة واحدة من سبيل نسلكها ومُثُل نستصحبها وشواهد نستنبطها و
نثق بها ولو امكننا العقول الى عرصات العقول وبلاده كان التفاتنا الى الحواس فضلا لا انا متى اخذنا الامثلة
من الحواس فليس يجب ان نتسبب بها الى التسبب ونطالب بها المعقولات كل المطالب بل الذي يحكم به الحق
يقتضيه الحزم ان ناخذ الامثلة من الحس فاذا وصلنا الى العقل حينئذ فارقناها اغتناء عنها مستريحين منها ومن
حرجها واضطرابها ولما كنا بالحس في صدا الطبيعة لم تنفك منه ولما كنا بالعقل في اول الجوهر لم نجهل فضل
فلهذا اما اشتغلنا بالحس ولم نقض به وصلنا الى العقل ولم نجز عليه وهذا اقتضاه قول عرض في جملة الامر
وذلك انه في كل محسوس ظل من المعقول وليس في كل معقول ظل من الحس ومتى وجدنا شيئا في الحس فله
اثر عند العقل به وقع التشبيه والبركات التشوق وبه حدث المقدار والانسان متى لم يخلع آثار الحس خلعا
لم يتحل بلبوس العقل تحليا وانما شق الاقرار بمعرفة حال النفس بعد الموت لان الحس لم يساعد في تسليم
ذلك بشهادة يسكن اليها وان كان العقل قد استوضح ذلك بالامثلة الضرورية في اقامة البينة عليها وفي
الجملة هذه المسئلة عند راضيغة وعجماء مشكلة ولكن العقل الذي هو خليفة الله في هذا العالم يجول في هذه
المضايق ويدفع هذه الموانع والعوائق ولولا هذه العناية الموموقة والحالة المعشوقة بهذه الاوائل المشروحة
والابواب المفتوحة لكان الياس يزهق الارواح ويتلف الانفس ولكان العالم بكل ما فيه من العجايب والاثار
والشواهد لشيء لا حقيقة له ولا حكمة فيه وانه شبيه بالعبث واللعب وليس له محصول ولا فيه شيء معقول ولا

حاجة

حاجة بعد هذا البيان الذي تحرّد حاديه وطرب سامعه في هذا المكان الا قلة الصبر على النظر وسوء العناية في
طلب الحق وايثار الراحة بالراحة وقطع ايام العمر بالتمني وتوجيه التهمة الى الحق وتسليط الجدل على الاستبصار و
الاعتماد على البهت والوقاحة والا فان الحق معرض لك بل بارك عليك بل نازل عندك بل حاضر عندك بل
متجلل بك موجود فيك وانما يؤتى من جفائك في الطلب في سوء العناية في التحري لا من تواري الحق عنك ولا
من اشتباهه عليك وليس مع الجفا والعنف وصول الى الحق ولا مع الرفق يأس من الحق الحق اسبق اليك منك
واعطف عليك وارأف بك منك والطف فيك منك فبركات ونيا بهذا الباب فيما عليه وسقط عني شيء كثير مع
هذا الكلام وفيما حصل تعلل وعلى الله التمام

٢١ مقايسة اخرى

سمعت اباسليمان يقول فضيحة حسيب
لا ادب له اقطع واشنع من فضيحة اديب لا حسب له فقال ابن الوراق النحوي ولم ذاك فقال لان هذا اعدم
ما يقوم نفسه ويجمل ذاته وذلك فقد ما يقوم اصله وليس تقديمه والنفس ارفع من الاصل لان الاصل راجع
الى الولادة والنفس دالة على النقص والزيادة تعمو على الشقا والسعادة وقد يحتشم الانسان بنفسه الجيدة سقوط
ابويه فيتلا في تكسب الخير وايثار الجميل وشد الادب وقصد العلم كل ذلك سلفا كما يحس الانسان بشرف
ابويه فيتكل على ما سبق لاوليته ولا يشغل زمانه العزيز في تحلية نفسه بحلي اباته واجداده واخواله واعمامه ليكون
ذلك زينة له في حياته وذكر العقبه من بعده فلاجرم انه احرى من صاحبه كثيرا ثم قال سمعت بباب الطاق في هذه
الايام انسان من انكاد السوقة يقول لآخر من ضربائه شرفك ميت وشرفي حي وشرفك اخرس وشرفي ناطق
وشرفك اعمى وشرفي بصير قيل له ما الذي اراد بهذا قال اراد اني بنفسي على هذه الفضائل الشريفة والحال
المتمناة وانت بنفسك على اضدادها لا تحيي ولا تنطق ولا تبصر ام تنفعك ارومتك البيضاء ولم تضرني جرثومتي
السوداء ومتى نابك امر فتحدث بشرف غيرك كنت بمنزلة الخصي المدل بحظ غيره وهذا مما لا يجهله عليم عند
البضاع

٢٢ مقايسة اخرى

قلت لابي سليمان اني اجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة وعلى
ذلك فما الفرق بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب به فقال النحو منطق عربي والمنطق نحو
عقلي وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لا يجوز له الاخلال بالالفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض وجل
نظر النحوي في الالفاظ وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر الا ترى ان المنطقي
يقول بحبر وهو ينفعل والنحوي فيما خلاه اللفظ ونظاير هذا المثال شوايع ذوايع في عرض الفنين النظيرين
اعني المنطق والنحو وكان التقصير في تحبير اللفظ ضارا ونقصا وانحطاطا فذلك التقصير في تحرير المعنى
ضار ونقص وانحطاط وحد الافهام والتفهم معروف وحد البلاغة والخطابة موصوف والحاجة الى الافهام
والتفهم على عادة اهل اللغة اشد من الحاجة الى الخطابة والبلاغة لانها متقدمة بالطبع والطبع اقرب الينا والعقل
ابعد عنا والبديهة منوطة بالحس وان كانت معانيه من جهة الحس وليس ينبغي ان يكتفي بالافهام كيف كان
وعلى اي وجه وقع فان الدينار قد يكون رديء ذهب وقد يكون رديء طبع وقد يكون فاسد السكة وقد
يكون جيد الذهب عجيب الطبع حسن السكة فالناقد الذي عليه المدار واليه العيار يبهرجه مرة برداءة هذا ومرة
برداءة هذا ويقلبه مرة بحسن هذا ومرة بحسن هذا والافهام افهامان رديء وجيد فالاول لسفلة الناس لان
ذلك غايتهم وشبيه برتبتهم في نقصهم والثاني لسائر الناس لان ذلك جامع للمصالح والمنافع فاما البلاغة

فانها زايدة على الافهام الجيلة بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحلية الرايعة وتخير اللفظ واختصاص الزينة بالرقة والجزالة والمتانة وهذا الفن لخاصة النفس لان القصد فيه الاطراب بعد الافهام والتواصل الى نمايز ما في القلوب لذوي الفضل بتقويم البيان قلت له فما النحو فقال على ما يحضرني الساعة من رسمه على غير تصفية حده وتنقيحه انه نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده او تفرقه وتحلل منه او تفرقه وتخليه او تاباه وتذهب عنه وتستغني بغيره قلت فما المنطق قال آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما هو يقال هو حق او باطل فيما يعتقد وبين ما يقال هو خير او شر فيما يفعل وبين ما يقال هو صدق او كذب فيما يطلق باللسان وبين ما يقال هو حسن او قبيح بالفعل قلت فهل يعين احدهما صاحبه قال نعم واى معونة اذا اجتمع المنطق العقلي والمنطق الحسي فهو الغاية والكمال قال ويجب ان تعلم ان فوايد النحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الاول قاصرة عن عادة غيرهم بالقصد الثاني والمنطق مقصور على عادة جميع اهل العقل من اى جيل كانوا وباى لغة ابانوا الا ان يتعذر اسماء عند قوم وتوجد عند قوم فحينئذ الحال في التقصير يتوقف على تعذر الاسماء او على وضعها على الخلاف اما بالتواطى والاصطلاح واما بالطبع والاسماع قال وبالجملة النحو يرتب اللفظ ترتيبا يؤدى الى الحق المعروف او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى ترتيبا يؤدى الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة والشهادة في المنطق ماخوذة من العقل والشهادة في النحو ماخوذة من العرف ودليل النحو طباعى ودليل المنطق عقلي والنحو مقصور والمنطق مبسوط والنحو يتبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو مستمر على الايتلاف والحاجة الى النحو اكثر من الحاجة الى المنطق كما ان الحاجة الى الكلام في الجملة اكثر من الحاجة الى البلاغة لان ذلك اول وهذا ثان والنحو اول مباحث الانسان والمنطق اخر مطالبه وكل انسان منطقي بالطبع الاول ولكن يذهب عن استنباط ما عنده بالاهمال وليس كل انسان نحويا في الاصل والخطا في النحو يسمى لحنا والخطا في المنطق يسمى احالة والنحو تحقيق المعنى باللفظ والمنطق تحقيق المعنى بالعقل وقد يزول اللفظ الى اللفظ والمعنى بحاله لا يزول ولا يحول فاما المعنى فانه متى زال الى معنى آخر تغير المعقول ورجع الى غير ما عهد في الاول والنحو يدخل المنطق ولكن مرتبا له والمنطق يدخل النحو ولكن محققا له وقد يفهم بعض الاغراض وان عرى لفظه من النحو ولا يفهم شئ منها اذا عرى من العقل فالعقل اشد انتظاما للمنطق والنحو اشد التحاما بالطبع والنحو شكل سمعي والمنطق شكل عقلي وشهادة النحو طباعية وشهادة المنطق عقلية وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم اكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم فالمنطق وزن لعيار العقل والنحو كيل بصاع اللفظ ولهذا قيل في النحو الشاذ والنادر وردى المنطق ما جرى مجراهما فهذا ما استفدت من قوله وهو باب مفتوح يمكن ان يقال فيه من هذا الجنس ما يكون شاهدا لما قال والسلام

مقايسة اخرى

٢٢

قلت لابي سليمان كنا امس في مجلس ابي على القومسي فجرى كلام في الظرف فقال له الاندلسي ايها الشيخ لم صار الظرف المخصوص بالزمان اكثر من الظرف المخصوص بالمكان فسكت هنيهة ثم قال لا ادرى وليس هذا من النحو وانما النحو في هذا ان تعرف ان الظرف ظرفان ظرف زمان وظرف مكان وتحصى اسماء هذا وتميزها من اسماء هذا وتقف على المواضع المخصوصة بهما والاعراب اللازم لهما وبهما فقال ابو سليمان صدق ابو على فلقد ظلمه الاندلسي من اين يعلم ذلك وليس عليه في صناعته ان يبحث عنه لان مبادى كل صناعة ماخوذة من ناس آخرين قوامين عالمين قلت فلو اقد

فيه شيئاً فقال الظرف الزماني ألطف من ظرف المكان والمكاني أكثف من ظرف الزمان وكان المكان من قبيل
الحس والزمان من قبيل النفس وكان الزمان من حد المحيط والمكان من حد المركز فوجب لهذا أن يكون تصرف الألطف
أكثر من تصرف الأكثف وبحسب تصرفه تكون ناسما أحواله في تصرفه أكثر والزمان منسوب إلى حركات الفلك بجوهره
شريف والمكان من جوهر المحيط بجوهره محطوط والفلك أقرب من الأمور العالية فكذلك مرسومه الذي هو الزمان
قال ومما يشهد أن الزمان ألطف أنك تقول زمان حاضر وزمان ماض وزمان مستقبل هذا بالنظر الأول وقد أحس
به كل الناس وهو يزيد بالمنطق على هذه القسمة زيادة بينة ومن أجل تصرف الزمان في الوجوه الكثيرة استخرج يحيى بن
عدي المنطقي من قول القائل القائم غير القاعد وجوها تزيد على عشرين ألف وجه بلا آف ورسالته في ذلك حاضرة ثم
قال ومما يزيد لطافة الزمان وضوحاً أن الزمان الواحد يحوي أكثر من واحد إلى ما لا آخر لها والمكان الواحد متى شغل
بالواحد عجز عن الثاني ثم قال وأي نظر أشرف من نظر الفيلسوف الذي يرتقي من السفل فيجول في الوسائط ويبلغ إلى العلو
وربما انحدر من العلو فخرق بحدة الحجب كلها مبيناً عنها وعن جملتها وتفصيلها بمعرفة موزونة من العقل وروية
مؤيدة بالبصيرة وحقائق بالعدل موزونة وتصفح بالغا إلى الحد الأقصى بلا ظرف ولا ترقب ولا شك ولا مرية بل علوم ثابتة
ومعرفة راسخة وبيان جلي وشاهد قائم وبرهان موجود وللمشغوف بالحكمة في هذه المواضع مواد ومسرح ومرمى
ومفتح وذلك لأن الإلهية عالية وعلائقها متشاكلة متناسبة ومواهبها متقاربة متواصلة كشف الغطاء بالنظر والفحص
بان منها ما هو كشعاع الشمس وكان نضر الله وجهه إذا سلك هذا الوادي سال عرفاه ولم يدرك طرفاه وكان
يخرج من باب إلى باب ومن صنف إلى صنف استراحة من طول جمامه والتذاذاً بما يفهم عند بعض مرامه وذلك أنه كان محجوراً
مطرحاً فيطول سكوته ويتضاعف اربه فإذا حرك أدنى تحريك انفتح وانفرج وترك التقية والوحشة والمداراة
الثقيلة وكان ربما أنشد بعد هذا الشوط الطويل والنفس المديد **قول الشاعر** لو كنت أقدر أن أقولا
لشفيت من قلبي غليلا * لكن لساني صارم * فُلَّت مضاربه فلولا *

مقايسة أخرى سألني أبو سليمان
يوماً عن الطبيعة وقال كيف هي عند أهل النحو واللغة أهي فعيلة بمعنى فاعلة أو بمعنى مفعولة قلت إني أكره أن أتحمل
الجواب عنها والعلي أن أرفع فيه إلى الاعتذار ومن دونا شيخنا أبا سعيد السيرافي غداً إن شاء الله فهو اليوم عالم العالم
وشيخ الدنيا ومقنع أهل الأرض فقال إنه كذلك اجعله منك على بال وتلطف في تحصيل ما عنده أجمع في هذه
المسألة فسألت أبا سعيد عنها فقال هذا من قبيل الأسماء المحضة لا من قبيل الأسماء المشوبة فلا يقال لذلك إنه
فعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر ولا يقال إنه فعيل بمعنى مفعول كذبيح ولكن يقال هو فعل في أصله ككبير و
أثير ومع هذا فمعنى الفعل به أقرب من معنى الفعل منه ولفعيل أسرار ووجوه وقد كان بعض الناس ذل
فيه عند بعض الأمر وإذا لم يكن بد من اعتباره على طريقة هذا السائل فلأن يكون بمعنى مفعول أولى وذلك
أنا نقول طباعه كذا وكذا وطبيعته أي ما طبع عليه وبمعنى فعل والمفعول فيه أبين وأخواته يدلك على ذلك أعني
الضريبة والسليقة والسجية والغريزة والنحيزة قال وهذا الكلام كاف في الحرف فاستزدته تدريجاً فاندفع فأتى بأشياء
لك شرحها ها هنا كالواجب وإن لم تكن محتاجاً إليه من كل وجه ولكن الكلام له صورة لا تملك وغاية لا تدرك
وإذا عاد ها هنا زدته بفائدة لعلها تشاكل نفس ما نحن فيه وتسهل له وتحدث عنه نقد بيننا من العنف واللوم و
الإفراط في التوبيخ إن شاء الله تعالى قال واعلم أن للأفعال مراتب مختلفة ومواضع متباينة فالظاهر منها مرتبة

ضرب وما ماثله فانه نافر اى مبعد ولست اعنى بما ماثله ما كان مثله شيا بل ما زاد عليه ايضا ولكن بعد ان يكون
لداثر منفصل من فاعله ثم ما عدا هذا ايضا مراتب على ما يلزم كقولك خلا وعلا وكرم وظرف وعلم وسلم و
ثبت ورتب ثم قال ما زاد ايضا مثاله هذا احكم كقولك تدحرج واحرنجم والانسان له فى كل شئ من هذه
الاشياء شكل يباين شكله الآخر ضربا من المباينة يشعر به مرة ويسهى عنه اخرى ومجموع الافعال فعل يحدث بك
من غيرك مثل ما يحدث لغيرك منه مثاله ضرب وضُرِبَ يحدث بك منك مثاله حسن وسمع وضرب يحدث
فيك مثاله خجل ووجل وفنى وفى نوع ما يحدث بك ما يجوز ان يومر به وان ينهى عنه مثاله اشجع ولا تجبن و
اعلم ولا تجهل وها هنا ضرب تحدث انت فيه او تحدث به مثاله ركن وجلد واعلم واذا حققت النظر كانت الطاعة
اغلب على جميع هذه الضروب الا ما تميز عنها ولم يلتبس بها الى ها هنا حصل ما اتصل بما كنا فيه وكرهت اختزاله
عنه واعوده فانه مرصد وابدأت به فى هذه المقايسة بجزء نعم فبادرت بالجواب الى ابى سليمان وقصصته قراءة
عليه فقال هذا احسن مقبول ويدل ان ما سمعته من هذا الشيخ غيض من فيض وشرارة من حريق ثم قال و
انما يصح قوله هذا اذا لخص المعنى الذى خصت الطبيعة به من قبولها من النفس وانقيادها لتصريفها و
انفعالها بتفعيلها فان الطبيعة كالهدف لما اعنى النفس وكالشئ الشاخص فاه المنتظر لما يلقى اليه ويرسم له
لا يتعدى حكمه ولا يعصى امره ولا يخالف نهجه وهذا شان النفس مع العقل ولكن اعلا من هذا لان الفيض
الاول والجود الاول لا واسطة له ولا شوب ولا عارض عليه ولا كره فيه ولا اختلاف ولا تزاحم ولا اختلاط ولا تدا
فع ولا اعتراض بل على نوع الخلوص وما يزيد على ما يقع فى النفوس ثم التنزيل والتدريج والتوشيح يفيض ذلك
كله فى الطبيعة بصباباتها وسفافاتها وبقوا فيها ومعاينها ويظهر عند ذلك الاشكال المختلفة فى الاشخاص وتبدو
قواه بوسايط المساع والاحساس فاما اذا وفى حقها فيما يقبل منها ما دونها وينقاد لها ويأتمر لامرها ويجرى
على رسمها ويظهر تشكلها فى الاجزاء المتشابهة المختلفة العناصر المختلطة والمتميزة والمواد المستعدة والا
بية والاشتات المتلايمة والمتباينة فانها فى حد الفاعلة التى تطبع وتنقش وتصلح وتجمع وتولف وتنقض
وتخفر وتبيح وتندر وتستخرج وهذه الرتبة حصلت لها من تقبلها النفس لانها اعطتها صورتها وكانت
فاعلة بها ولانها قبلت منها فكانت منفعلة لها فلها المرتبتان والحدان بنظر ونظر ووجه ووجه قال واذا وقف
علي ما تين الحالتين الاولى بموجب اللسان العربي والثانى بقضية الاعتبار النظرى لم يبق فى الطبيعة
من هذا النسق ما يفتقر الى ايضاحه والابانة عنه لان التصفح قد اتى على كل ما كان فى القوة من هذين الوجهين
فاما حدها الذى هو لها بالتحقيق وهو ما قال ارسطوطاليس انه مبدأ الحركة والسكون وايضاح هذا بين فى
الكتب الموضوعة فيه وفى اشكاله وانما قويت العناية فى شرح هذا القول على قدر ما بدأ من المسئلة والجواب تابعت
ما ملك الله من هذه المقايسات الثلاث لانها متواخية فى بابها اعنى انها فى حديث النحو واللغة والمنطق والنظر و
بهذا اتبين لك ان البحث عن المنطق قد يرمى بك الى جانب النحو والبحث عن النحو يرمى بك الى جانب المنطق ولولا
ان الكمال غير مستطاع لكان يجب ان يكون المنطقى نحويا والنحوى منطقيا خاصة والنحو واللغة عربية والمنطق
مترجم بها ومفهوم والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نقل وشرح بعد شرح **مقايسة اخرى**
قال سمعت شيخنا ابا سليمان يقول معارف الناس بالقول المجمل على التقريب تنقسم اصولها الى الظن والوهم



الحدس والعقل واليقين والشك والغالب السابق والايماء والايجاس والخاطر والسانح واللائح ثم ان هذه كلها
تتخالف مرة وتتلابس مرة وتتراءى مرة وتتوارى ولن يخلص مطلب من المطالب لاحد من المذاهب من شوب
مثلها على قدر القلة والكثرة والضعف والقوة واللين والشدة على حسب المزاج والهيئة والخلط والطبيعة والمنشأ والعادة
وعلى ما يجب للانسان من استبداده او تقليده ولو خلص مظنونه من موهومه وتميز محسوسه من معقوله وانفصل معلومه من
مجهوله وبان ملتمسه من هواه لكان لا يدخل الظن في العلم ولا يدب الحس في العقل ولا يتفشى العقل في الحس ولا يكدر الحق
بالباطل ولا يصفو الباطل بالحق ولتوضحت الاشياء باعيانها ونفيت من ادرانها وزال شك الناظر في اثنائها ووقع على حقائقها
وانبائها وعاد ثلج الصدر باليقين مغمور النفس بالسكون غنيا عن تاليف القياس البرهاني وتصنيف فنون القول البياني
ولكن الانسان مضروب بالظن والحدس مصنوع بالعقل والحس ومردود بين النقص والزيادة ومعرض في كل وقت للشقاوة
والسعادة لا فكاك له من جميع ذلك ما دام في مسكه الطبيعي معقد الجزئي وجهة الكلي اللهم الا ان يلبسه الله لباس الرحمة ويغشيه غشاء العصمة فحينئذ
ان قال قال الصواب وان فعل فعل الواجب وان اعتقد اعتقد الحق وان هم هم بالخير وان نوى نوى الجميل وان حث حث على الصلاح وان زجر زجر عن الفساد وان لحظ لحظ العلو وان غض غض عن السفل فقال له
بعض الحاضرين فكانه يفارق الطبيعة البشرية وينسلخ من العوائق العنصرية فقال يفارقها من وجه ولا يفارقها من وجه
بانه يميت هواجسها اماتة ويسكن سوانحها تسكينا ويخمد لواهبها اخمادا او يقتدر على بلوغ هذه الغاية اقتدارا ولا
يفارقها بان يبقى انسانا لا طبيعة له ولا مزاج ولا بشرية فهذا مما لا يجب ولا يكون ويقدر ما امكن من ذلك تحدثا بها وزكا
نفسه وشرف على حال سنية وهذه هي حال الفلاسفة الكبار وحال البررة الاخيار وحال من قد خص بالزلفى ووقف على
الذروة العليا واندفع في هذا وما شاكله يقوي بدره وتبرع وتمم وكان كاملا بهذا الفن لا يؤتى فيه من عي ولا من كل
من نقص ولبس تجمل جلساؤه عنده في صفة العشية وكانما قد نهلوا من الخمرة الصرف والشراب العتيق وكان كلامه اكثر مما حفظ

ولكن الى ها هنا بلغ حفظي وتتبعي وسيمر بعد ما يشفي القوم ولا يورث السأم ان شاء الله تعالى

مقابسة اخرى ٢٦

سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول رأيت ثابت بن قرة الحراني في المنام قاعدا على سرير في وسط دجلتنا هذه وحوله
ناس كثير كان كل واحد منهم من قطر وهم على خلق مختلفة وهو يعظهم ويسبهم في خلال وعظه وكلامه وحصلت عنه
نكتة شريفة ذهبت مني في اليقظة وما بي ذلك هذا وكنت اسرح تفكري كثيرا في الظفر بها والوقوع عليها فلا يحوم طائل
فلما كان بعد دهر وبعد اختلاف احوال ذكرت انه قال خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافية التي
هي خير لك من اهلك وولدك ومالك ورتبتك اعلم ان اليقظة التي هي لنا بالحس هي النوم والحلم الذي لنا
بالفعل هو اليقظة ولغلبة الحس علينا قد تفقنا ان الامر بخلاف هذا ولا فغلب العقل مكان الحس لصح لك الحق في
هذا الحلم فاذا وضح هذا فالواجب ان ينبغي ان ينقص من الحس ان ظننا ان اليقظة من ناحيته ويلتبس بالعقل وانه
ظننا ان الحلم من ناحيته وكان ابو اسحق يقول وهذه النكتة تعرف وشيها ولكن بقي ان تفهم منتفعا بها وتسمع على
وجه التقبل لها لا على معنى الاعتراض لها الفلسفة هي لطائف العقل فكل من لطف وصل اليها ولطف الانسان
في طلبها هو تاثيره عنده لتفهم وصبره عند الطلب وشانه على السيرة التي يدب اليها المشفقون الناصحون فان النفس
تزكو عند ذلك والصدر ينشرح والخاطر يتوالى فلا يبقى حينئذ باب الا انفتح ولا مشكل الا وضح

مقابسة اخرى ٢٧

سئل ابو سليمان هل يجوز ان يقال للانسان ذو نفس كما يقال ذو عقل وذو ثوب وذو مال قال اما على التحقيق فلا وذلك

ان الانسان قد يكون ذا ثوب وذا مال وقد لا يكون ويستحيل ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو نفس الا على السعة والمجاز قيل

له فهل تقول ان النفس ذات انسان قال لا لانها غنية عن الاضافة الا ترى انه لا يقال ان الثوب ذو انسان وان اليد ذات انسان

كما يقال ذو ثوب وللانسان ذو يد لانه لا حاجة بالثوب الى الانسان وانما الحاجة بالانسان الى الثوب واليد ثم قال واعلم انه ينبغي

ان يفهم من قولنا الانسان ذو نفس انه بالنفس انسان لان الانسان عرف بالنفس انه انسان ومما يزيدك بيانا انك اذا قلت ذو

نفس فقد اضمرت في الانسان نفسا في الاول ثم ميزته بعد بقولك ذو نفس وهذا رجوع فيما اعطيت الا ترى انك اذا قلت الانسان

ذو ثوب لم يتضمن الثوب في الانسان بل تميزه منه حتى يكون اشارتك الى هذا غير اشارتك الى هذا فقد انكشف ان الانسان

لا يقال هو ذو نفس الا على سعة وتجوز ومما يزيدك ايضا استبانة ان معنى الملك يستحيل في هذا الكلام وقولك الانسان

ذو ثوب ايضاح الملك والملك غير المملوك وليس للانسان مع النفس انه لا يملك النفس بل النفس تملكه الا ترى انها تصرفه

وتكلفه وتستعمله وتستكمله فاين معنى الملك الذي يقتضيه اللفظ في جميع نظائر هذا القول والسلام **مقابسة**

اخرى قيل لابي سليمان هل هاهنا غير المعقول المحسوس فقال الترتيب في القسمة الصحيحة يضاعف هذا ويزيد عليه

وذلك ان لنا اشياء كثيرة في هذا الباب اولها محسوس ثم محسوس معقول ثم معقول بحت لا معقول محسوس فاما المحسوس

البحت فما للبهيمة وما يجري في حكمها واما المعقول المحض فما للفلك باسره واما المحسوس المعقول مما يتخيله الانسان

الذي لم يصف بعد واما المعقول المحسوس فما يدركه النظر بالبحث وكلما امعن هذا بلغ الى عالم الاجرام الناطقة الحية

التي قد غنيت عن الحس بفضل ما لها من الفيض الدائم قيل له فما ذا ابلغ قال قد قلنا مرارا بان تستنير نفسه بالمعارف الصحيحة وتعتدل

سيرته على الطريقة العقلية وتطهر اخلاقه من الاوساخ الطبيعية وتنفذ قوته في الامور العالية قيل له فلم استغنى في نهاية المعقول عن

الحس ولم يستغن في نهاية الحس عن العقل فقال لان المعقول في نهايته حس والحس يحتاج الى ما يرتفع اليه ولا بد من حس يبين به

المتعلق في العموم ولا بد من عقل يوصل به الباري على الخصوص والحس رائد ولكنه يرود لمن هو اعلا منه والعقل مستزيد لكنه

يستزيد ممن هو دونه فمن هنا ثبتت العلة في الاصل والفرع اصل الوجود وفرع العدم فراجعه وانتهت الحال تامة الى ما لا يعرفه الجاهل

عمى ولا يدركه استحسارا ولا يناله المترف كسلا والسلام **مقابسة اخرى** سمعت النوشجاني يقول قد وضح

بالعبرة الصحيحة والتصفح الشافي والنظر البليغ ان الفاعل الاول هو علة كل ما يراد ويوجد ويعقل ويحس لا قصد له في

افعاله ولا غرض ولا مراد ولا اختيار ولا روية ولا توجه ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة ولا مزاولة ولا محاولة فقال له

بعض الحاضرين لو ايدت هذا القول ببرهان ساطع او بدليل مقنع كنت قد شيدت ما اسست وقويت ما بنيت فقال

ان هذه كلها دخلت افعالنا لعجزنا وفسولتنا واختلاطنا وضعفنا وتهافتنا وتحولنا وتبدلنا وسيلاننا وحيرتنا فكاسرنا

بها وتممت نواقصنا بمواصلتنا وانسدت مفاقرنا باستعمالها فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله وجابر

كل نقص نقصه فهو على عن الاغراض والعلل والسالك تعالى له السائل فكيف اتفقنا على انه منعوت بالحكمة وافعاله

على ما زعمت وكيف بيان عن هذا ويتحقق حتى يخلص من شوائب الخط والقلوب وسائر اللفظ من الالسنة فقال لعمري

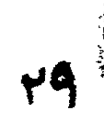
ان في ايضاحه لصعوبة وعسرا وان كان العقل قد قضى بما قدمته وعلى صعوبة ذلك فاني اولف على التقريب قولا

عسى ان يكون للسامع فيه رضى ومقنع ان لم يكن فيه مزاح ويسمع ثم ابتداء فقال قد وجدنا في افعالنا ما ينتظم في

بعض الزمان من غير قصد مفروض ولا مراد متوجه ويشتمل مع ذلك على النظم والاتقان والصواب والاحكام و

الموامة والسلامة حتى نتعجب من انفسنا غاية التعجب ونتهادى الحديث به وليس منا احد الا وهو يجد هذا لنفسه





من فعلها أعني النادر والخارج عن قصد متقدم وعزم مستحكم ورأي مثبت ومقدمة مرتبة وحتى يظن كثير منا
أن ذلك انقلب بلا مؤامرة وانبجس بلا فكرة وانبعث بلا روية وتم بلا قصد وحدث بلا تقدمة وعرض بلا علة وكأنه
كالشيء البائن بنفسه القائم بذاته وعند اتفاق الأمر على التمام وانتظامه يكثر شكرنا لله عز وجل وحمدنا إياه فإنه
كان صنعا منه لنا ولطفا منه بنا وبلاء سبقت بالحسنى إلينا ونعمة من الله تعالى توالت علينا وقد تتصل ببعض أفعالنا
وأعمالنا أيضا بالقصد والغريزة والرأي والهمة والروية وسائر مقدمات العقل وأوائله وأواخره وتوابعه ومع
ذلك تزل عن شرح النظام وتعدل عن طريق التمام وتحيد عن سمت الغاية وتزول عن بلوغ الحد والنهاية فا
لأول النادر منها منهاج لنا أن نعلم أن الفاعل الأول أحكم فعله فلذلك الحكم بلا أجل منه أيضا كثيرا وإنما ضربنا
هذا المثل تمثيلا وأن الذي كان منا في القينة بعد القينة والفرط بعد الفرط هو الذي يكون منه على الديمومة
والسرمدية على هيئة أشرف مما يعتاد وليستأنف والشاذ النادر منها أيضا طريقا لنا إلى أن نعلم نقصنا في كمالنا
وعجزنا في قدرتنا لأن القدرة تخص والروية تتقدم والغرض ينتصب والفعل يمكن والتحصيل يقع ومع ذلك
لا يتم الفعل ولا يصح المقصود وفي النادر الأول يتم ذلك كله وليس هناك داع قوي ولا ضعيف ولا شيء من جهاته مو
واه ولا حصيف وبين هذين النادرين تجيء الأفعال بالاستطاعة والقدرة والقوة والتمكين والآلة والأعوا
يد فيها دافع ولا يمنع من الاعتراف بذلك ممتنع فقد شهد العقل في مراتب هذه الأفعال بين ما قدر في الطرفين وبين
ما استمر بينهما بأن الفاعل الأول يفعل ما يفعل بغير قصد ولا روية ولا اختيار ولا غرض بشهادة ما بدر من الإنسان في وقت
دون وقت ولو تمت أفعال الإنسان أبدا بلا قصد ولا روية ولا غرض ولا إرادة وصار هذا النادر منه مألوفا كانت هذه
القوى فيه فضلا وعبثا ولو كانت أيضا تتم أبدا بها ومعها وعندها ومن أجلها كان مضافا إليها ومحمولا عليها غير موقوف
في عرضها على أسرارها ولا مدعو إلى البحث عنها ولا منبه على اعتبارها واستنثارها فإذا أعار الله هذا الإنسان هذه
القوى عارة وألبسه هذه الجلابيب البائسة ومتر فيها تصريفا فإن مر بها شيء فلأن المعوق حاش هذا الإنسان
إلى الإذعان والطاعة قلت له وقد بلغ بهذا الموضع بعد إبهامه وجهه ولم يبدر من الإنسان ما بدر في الأول قال لأن
فيه جنبة إلهية وجزء ربانيا يتسق به ما يتسق ومن أجله يتفق ما يتفق قلت فلم بدر منه النادر الثاني قال لأن
هيولاه عالية وطينته سائلة وصورته التي هو بها ما هو ممتزجة ولا بد للهيولى من الانفعال الذي هو من شأنها
ولا بد للصورة من الفعل الذي هو من شأنه وكل متقدم منها فلما أثره منها ظاهر إلى أن يغلب سلطان الصورة فيبطل حكم
الانفعال أو يغلب سلطان الهيولى فيبطل حكم الكمال والترجح بين هذين هو الذي يسلك إلى الغاية التي يسعد بها وإلى
النهاية التي يشقى بها ونحن نسئل الله عصمة تقي ونعمة تزيد وتنمى قد زال أبقاك الله عن سمعي وبصري ومل ركن
كثير من كان حظه من هذه الجملة والبقية كلا تراها ويما لحها العقل بالتحية والرحب تتلقاها بالبشاشة والبشر وليس
يوصل إلى أعماق الفلسفة وغوامض الحكمة إلا التحية إلا بالإشارة والإيماء والرمز والإيماض

٢٠ مقابسة أخرى

قيل لأبي زكريا الصيمري بباب الطاق في الوراقين وأبو سليمان حاضر بلغنا أنك لا تقول أن الباري شيء وهذا مذهب
الشنع إن لم يكن كالمحال والمعروف غيره عند الأمة الناس فقال قولنا شيء ليس باسم ولا فعل ولا حرف ولا نعت
ولا مصدر ولا ظرف ولا حال ولست أجد نصا بما يقع فيه ولا منزعا ينزع إليه وإنما صار له مفهوم بحسب اتصاله
بغيره وانضمامه إلى ما يتم به كقولك هذا شيء إذا أضفت إلى نفسك وهذا شيئك إذا أضفت إلى مخاطبك وهذا

شيئ فلا بد على هذه الوتيرة المعترف بها وأمّا قولك شيئ على نكرته واصله وتجرّده فليس يجلب فائدة ولا يحدث ثمرة ولا يوجب
علما والنفس لا تاخذ منه معنى والفهم لا يخلو منه جملة والحس ينفر عنه ضربة واحدة فاما ان عرفته بالالف واللام
فقلت الشيئ فانه لا يكون له ايضا ثمرة حتى تتصل المعرفة المجتلبة اليه بغيره وتنكشف اللهم الا ان يكون بينك وبين صاحبك
عهد بشيئ من الاشياء فحينئذ ذلك العهد يشير الى غير ذلك الشيئ الذى فى نفسك ويذكر عهدك به وعهده بك
ثم قال فان قلت مستزيد الم لا يكون للاسماء قيل لانه لا ينبغى ان توجد شيئ من الاشياء ثم يولى سما بانه زيد او نعت
بانه طويل او حال بانه قائم وخاصة بانه ضاحك وسائر ما يتبع هذه الاوائل مما لا يحصى كثرة وهو مشهور عند كل احد
فان سمّيت ما لم يوجد فذلك لانك اعرته اسم آخر موجود ا فان قلت فلم لا يكون نعتا قيل لك لانه قبل ان ينعت
يكون شيئا وانما النعت يقرّره ويميزه ويحليه ويوضحه عنه فان قلت ومن اين كان هذا هكذا قيل لاشتمال قولك الشيئ
واحتوائه لانّا انك تطلقه على المعدوم على تفاوت درجاته كما تطلقه على الموجود على تباين طبقاته وتعين ما فى الحسّ
تبيينا كما تشير به الى ما فى العقل اشارة وتستعمله فيما يفرضه فرضا من غير حقيقة كما تستعملها فيما هو موجود له حقيقة
فلو قوعه على كل ما هو موجود ويعدم ويوجد ما وجب ان لا يطلق على من كان يعلو على كل شيئ وهو منبعث بكل شيئ
ومعطى كل شيئ ما على ما هو به من جسم وجوهر ومحسوس ومعقول ومفروض ومعلوم ومشهود وموهوم وبائد
وثابت وكنت سمعت الشيخ على بن عيسى الرماني النحوى الصالح يقول الشيئ مصدر شاء يشاء شيئا كقولك جاء
جيأ والمشية كالجيئة وانما اهمل على ما ترى لتعلق ما يجد حسّا وعقلا وظنا ووهما فالمشيئة والشيئ بهذا المعنى بعض خصائص
الاسم وخرج به عن اصل المصدر ولهذا اشباه وقال ابو سليمن فى هذا المجلس زائدا فى هذه الفايدة لا ينبغى
ان يطلق على البارى موجود قلنا ولم قال لان الموجود مقتضٍ للواجد لا محالة والواجد فى صيغته مقتض للموجود
لا محالة فالرباط قائم والتعلق بيّن والله تعالى يجل عن هذه الرتبة لانه لا واجد له ولو كان له واجد لكانت مرتبة
الواجد فوق مرتبة الموجود بدلالة سائر الاسماء والصفات قلنا له قد قيل معبود ومحمود وموجود وما ضارع
ذلك فقال امّا اذا تجوزت فى الكلام وتفسحت فى العادة فكل هذا على باب واحد وانما الخصوصية للذين
دققوا فى التوحيد من هذه الجهات الغامضة والاشارات اللطيفة على ان الذين اباحوا هذه الاسماء اعاروها اياها
لانهم نقلوه عن غيرها ونعتوه بها وتلك غاية طاقتهم ومبلغ علمهم ونهاية جهدهم ثم قال ان اطلق الموجود على انه آية
فقط جاز لان الموجود فى الاول انما اقتضى الواجد وما زعمنا بهرلانه التبس بالصفة فامّا اذا جرّد اللفظ من معنى
النعت واستعمل على مدرجة الاسماء لم يكن كبير تقصير الا من وجه واحد وهو ان هذا الاسم بعينه هو صفة فى
مكان آخر فالشركة حاصلة ضرورة والتوحيد مباين للشركة كانت الشركة مجازا او اشارة او تثبيتا وحقيقة وهذا كما
تسمع ومما ازيدك استبصارا وتعجبا منه واستغرابا له وهو نمط ما سمعته من صنف من اصناف الناس فان سرّك
فاستفده وان سقط عليك فدعه لاهله قلنست الغبار على هذا الطلق

مقابسة اخرى

سمعت مقلدا يقول
لو انتهى غرض من تقدس وعلا فى الانسان مع هيئته المعروفة وحليته المالوفة الى ان يموت ثم لا يكون له بعث
ولا نشور ولا معاد ولا منقلب لما كان ذلك قادحا فى الحكمة ولا متحيفا لطرف من اطراف حكمته ولا معاندا لما
يليق بربوبيته فكيف وقد نصب العلامات واحكم الشواهد والبيّنات واقام البرهان والآيات على تحقيق المعاد
وحصول السعادة والشفا بحسب الصور الموجودة الواحد واحد ثم قال لو سئلنا العقلاء باسرهم او سئلنا

٣١

اعظم

اعقلهم فقلنا ما تقول في بدنك اذا ابطل باسره ولم يبق منه شيء الا العين التي من شانها ان تبصر الاشياء فان جوابه
لا يعدو ان يكون اذا لم يكن بد من فناء جميع البدن باجزائه فلان تبقى العين وهي اشرف ما فيه والسمع وهو في الشرف
خير من ان لا يبقى شيء ويبيد كله ويضمحل جميعه قال فيقال له فكذلك النفس في بقائها بعد ان يصرح عنها
قشورها وتفارق مختارة لبوسها قال وانما ضربت هذا المثل وعرضت هذا التشبيه لانه قال لي قائل الانسان لا يبقى
فاذا لم يبق الانسان فاية فايدة فيما يبقى منه اوله او آخره قال وهذا الوضرب المثل بمن لم يلد اعني لو قيل لا سبيل الى بقائك
بذاتك لانك لا تحتمل ذلك بعنصرك ولكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك وفاصل عنك لاثر بقاء ولدك من بعدك
ايثارا حسنا طيب النفس فانه يرى ان ولده منه وهو هو لانه يرى مصاصته وخلاصته وبصاصته وسلالته ولا يكاد يفصل
بينه وبين نفسه الا بالشخص والشخص فقط ثم قال موضحا لما اتصل بصدر كلامه اعلم ان الانسان لا يبقى انسانا لان
الانسان بما هو انسان يجمع المنطق فاذا صفا مما كان به كدرا وانبسط الى ما كان عنه مركبا وانتهى الى ما كان به محدودا وآخر
مما كان به هابطا محطوطا وخلع الصورة الملابسة للحس والغشاء اللاصق به من ظاهره فانه حينئذ يكون الباقي الذي
كان به انسانا لان الانسان اسم للحد المعروف اعني الحي الناطق المايت فاذا ارتفع الحد ارتفع الاسم وحقت الحقيقة التي
كانت النفس موجودة بها حاصلة الا ترى ان الانسان اذا اقدم فكره في حالة خالية الايام الماضية قبل ان حوى حده وملك
صورته واقتنى به خاصته ونوعه وفصله وجنسه وعرضه ثم انه كان على حال اخرى ولم يكن يجب من ذلك ان لا يكون في
الثاني على هذه الجملة فكذلك ان كان الآن على ما هو عليه ثم تحول عنه الى ما ليس الآن عليه ليس ينبغي ان يكون منكرا مردودا
متعجبا منه مجحودا لان الذات باقية كما كانت في الاول وانما تخللت حجبا وقطعت طرقا واستعملت اشكالا واظهرت
احوالا واستكملت استكمالا ونالت شرفا وعلوا وجلالا **مقابسة اخرى** سمعت عبيدة الكاتب يقول لابي

٣٢

محمد العروضي وكان ابو محمد يتفلسف ولزم يحيى بن عدي دهرا انا قليل الرؤيا وقد ساءني هذا وقد خلت ان ذا رين
على القلب فقال ابو محمد هذا يكون من امرين مختلفي الرتبتين احد الامرين كدر النفس بالجهل وظلمتها بالغباوة وتجها
صورتها بصدإ الدهر وقلة اقتناء المعارف وشدة انجرادها من الغير وهذه حال دهماء العوام واما الاخر فهو ان
تعلو النفس في مراتب المعارف وترتقي برياض العلم فيصير حالها في الحلم قسيمة حالها في اليقظة الى الكهانة حتى اذا احس
توطس واذا ظن ظن واذا اوهم هجم واذا اعتبر عبر وربما تحولت الى ما يرى فوق العقل فقط باستخراج الدقايق وتأليف
المقدمات واستنباط النتايج والوصول الى سواد الحق وبحبوحة الصواب وربما صارت الحال مصارفة للحقايق
بزوال الوسايط اي من غير اعمال اداة واحضار المقدمات قال وهذه كلها من درجات النفس تارة من ناحيتها بالبحث
والتنقير والنظر والتقليب وتارة بالوحي والالهام والالقاء والسنوح والموافقة والمصادفة وما جرى في نظاير هذه
المعاني والتبس بما يكون شطرا لها وهذه حال تقع اولا في مزاج مهيأ وترتيب معدل وطينة حرة ثم يظهر ثانيا بتهذيب
النفس وتطهير الاخلاق وتصفية الاعمال وقمع الشهوات وكل من كان قسطه من الحال الفلكية اوفر كان مضارعة في
الحال البشرية اظهر وهذا باب طويل الذيل متسع وفيما وقع النفس عليه ووصلت الاشارة اليه بلاغ لمن آثر رشده
وقصد حظه وبذل سعيه وامّ غايته وفقنا الله لما يحب واستعملنا فيما يرضى انه قريب مجيب **مقابسة

٣٣

اخرى** سئل ابو محمد العروضي مرة عن الحركة والسكون ايهما اقدم فقال اما عند الحس فالحركة اقدم واما
عند العقل فالسكون اقدم وبعد فالسكون عدم الحركة وكل حس فقوامه بالحركة وكل عقل فصورته بالسكون و

نظام بالعهد ونخاصته بالطمانينة واثره بالقرار وقوته بالنفس وكان من فيض العلة الاولى وجوده لان هذا النعت لكل
مادونه فالاستعارة له بالواجب والحقيقة والسكون عند العقل عدم الحس والحركة عند الحس تاثير العقل و
المال المالة شك ربما عنى اكثر قوله وسمعت اباسليمان يقول ما هو ربما لهذا القول وجامعه فان سكون العقل
في نوع الحركة وحركة الحس في نوع السكون لان حركة الحس الى الاضمحلال والنكول وسكون العقل الى الكمال
والحصول وقال انما الحركة التي نعتقد لها ضدا اعني السكون هي الحركة التي للفقار وبلاد الحس فاما الحركة لنوع السكون
فلا ضد لها بوجه لان العقل كل بمعنى واحد وواحد بمعنى كل وله هذا باشتمال العلة الاولى عليه واقتباسه منها وقد
وضح ان السكون عدمها فكيف يكون هاهنا وجود قيل له في هذا المكان فالعالم ساكن او متحرك فقال لو كان متحركا
الحركة المعروفة لقلق واحجم ومال وتهافت ولو كان ساكنا لبقي ذلك على حال ولكنه متحرك حركة استدارة فلذلك ما
يظن به سكون وساكن سكون قابل للفيض فلذلك يظن به الحركة فالتشوق حركة ولكن عقلية والدوام على التشوق سكون
ما ولكن عقلي وكل ما قد فاض من العلة الاولى يقبله المعلول الثاني وهو موجود على مراتبه المتباينة ودرجاته المختلفة بين
الطرف الادنى الى الطرف الاقصى ومع ذلك نعقد ونقف الجميع تجاه كل متصفح وقبالة كل باحث فليس يذهب من جميع
ذلك بشيء الا بسوء الاختيار وقلة الاقتداء بالافاضل الاخيار حفظك الله ولو انتفعنا ببعض هذه الفقر الكريمة سعدنا و
نلنا منيتنا فسل ربك ذلك بالتضرع اليه والخضوع بين يديه مع العبادة الدائمة والبحث اللطيف والتؤدة المعتادة و
الانفة الى البرية فانك تعطى بغيتك وتبلغ غايتك وتنال سعادتك ان شاء الله تعالى

مقابسة اخرى

سمعت ابا زكريا يقول وكان صحب عيسى بن عدي دهرا وهو حملني بدعوته اللطيفة الى مجلسه من البين ان الموجود على ضربين موجود
بالحس وموجود بالعقل ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود اما حسي واما عقلي فعلى
هذا النفس لها عدم في احد الموجودين وهو الحسي ولها وجود في القسم الاخر وهو العقلي وقد كان الدليل على
هذه الحال حاضرا في هذا العالم وذلك انها كانت تنقل وتستنبط وتعقل وتستنبط وتنظم المقدمات وتدل على
ينابيع المعلومات وتعلو الى غاية الغايات وليس للحس معها شركة ولا له عندها معونة ومادة فكيف لا تكون النفس التي
هي عنوان كنايتها وصريح كنايتها وفاضل عنايتها بعد مفارقة القشور والحواجز والحيطان والحواجب والغواشي والملابس
عن الحس اغنى وبجوهرها اعلا وبخاصتها اسنى وهذه الاشياء عنها ابعد وعن شرفها اهبط وما هذه الشبهة
الا عادلة وهذه البينة الا مقبولة وهذه الحكم الا مرضي وهذا المثال الا بين ثم قال ولطائف الحكمة لا يصل اليها الحس
الجافي والغليظ القدم والجلف العبام والعبلاجة العلفوف وانما هي تعرض لمن صح ذهنه واتسع فكره ودق حسه
ورق تصفحه واستقامت عادته واستنار عقله وعلت همته وخمد شره وغلب خيره واصل رايه وجاد تمييزه و
عذب بيانه وقرب اتفاقه قيل له هذا عزيز جدا الآن وتحصيلي من ذلك

مقابسة اخرى

ما سمعته الان فسر نفعنا الله به وجلا نا بازينه واستعد نا بقبوله سمعت ابا اسحق النصيبي
المتكلم وكان من غلمان جعل يقول ما اعجب امر اهل الجنة قيل وكيف قال لانهم يبقون ابدا هناك لا عمل لهم الا الاكل
والشرب والنكاح اما تضيق صدورهم اما يملون اما يربون بانفسهم عن هذه الحال الخسيسة التي هي مشاكلة لحال
البهيمة اما يأنفون اما يضجرون واخذ في هذا وشبهه بروح مستحفظا وكان يقول بتكافؤ الادلة ويجيب من اكثر
الناس ويفلح فيه ابن الخليل ونيا قد عليه ولعمري ان من طلب طمانينة النفس ويقين القلب ونعمة البال بطريقة اصحاب الجدل

واهل البلاء حل بهذا البلاء واحاط بهذا الشقاء والكلام كله جدل ودفاع وحيلة وايهام وتشبيه وتمويه وترقيق وتزويق
ومخاتلة وتوريه وقشر بلا لب وارض بلا ريع وطريق بلا منار واسناد بلا متن وورق بلا ثمر والمبتدى فيه
سفيه والمتوسط شاك والحاذق فيهم متهم وفى الجملة آفته عظيمة وفائدته قليلة نعم فاعدت على ابن سليمان
قوله بعقبه وحكيت له ما يلد فيه فقال فى الجواب انما غلب عليه هذا التعجب من جهة الحس لا من جهة شئ آخر وهكذا كل
فرض بالحس ولحظ بالحس لانه قد صح ان شان الحس ان يورث الملال والكلال ويحمل على الضجر والانقطاع وعلى
السآمة والارتداع وهذا منه فى ذوى الاحساس ظاهر معروف وقائم موجود وليس كذلك الامر فى المعاد اذا نوفى
من جهة العقل لان العقل لا يعتريه الملل ولا تصيبه الكلفة ولا يمسه اللغوب ولا يناله الصمت ولا يتحيفه الضجر وهكذا
حكم قال لشاهد الحاضر والعيان القاهر لولا عقله النصيبى ونظر أبيه الربيلى انه كان فى هذه الدار على شوبها وفسادها
وكدرها وثورها كان العقل لا يكل معقوله ابدا ولا ينقضى منه ابدا البتة ولا يطلب الراحة عنه بوجه بل كان العقل اذا
وجد معقوله وتوحد به صار هذا اقداحيى لا يوجد بينهما بين بحال فكيف اذا كان المنقلب الى عالم الصرف الذى
لا حيلولة ولا تغير له وهو الوجود المحض والامر الصرف والشئ الذى كلما عرفته بالصفة بعد الصحة كان عنها اعلى
وكلما اوضحته بالعبارة كان عنها اخفى واطال هذا الفصل وعلقت منه جميع قدر ما قررته فى هذا المكان ولعلك
تجد بما اكون منصورا فيه عندك غير ملوم على اساءتك وفى الجملة القول فى حصول النفس بعد خلع الحد الذى خص
به الانسان صعب ولولا امثلة توضح ايضا ما يثق به الانسان مرة بعد مرة لكان باب معرفة حالها قد ارتج والطريق
قد سد وقد بين هذا كله بالبرهان المنطقى فى مواضعه المعروفة ان كانت الثقة تقع كذلك فاما هذا المقدار فما
جرى فى عرض مقابسة هؤلاء المشايخ بينهم بالحديث والاسترسال فليكن العذر فيه مقبولا عندك بحسب الحال التى
قلبت ظاهرها وباطنها لك مرة بعد اخرى فهذا الولوع منى بالاعتذار احساس بالتقصير اما من جهتى فلسوء الرواية و
اما من جهتك فلقلة الدراية فانا اسئل الله رب العالمين ان يفرغنى لبلوغ غاية هذا الامر بقية عمرى فانها فيما اخال
قليلة وما يرجوا المرء بعد الالتفات الى خمسين حجة قد ضاع اكثرها وقصر فى باقيها الا اذا اراد الله نجاة عبد تولاه بلطف
من عنده

مقابسة اخرى

۴۳

سمعت النوشجانى يقول الباری الحق الاول والاحد منبجس الاشياء كلها ومنبعها و
عنه تفيض فيضا فيه وتغيض غيضا لا على حد اللفظ الذى يرسم نحو عن فصلا وفى فى وصلا بل على حد العقل الذى
يقضى بالشئ على الشئ من غير اثبات بينونة ولا تاسيس كينونة فان الاشكال والحدود من الاقوال والاعراض
منفية فى ساحة الالهية لكنها رسوم محركة للنفوس تحريكا وكلمات مقربات من الحق تقريبا تبلغ بالسامع الى درك
ذلك كله تبليغا وكلما كانت هذه الرسوم اتم واحسن والكلمات ابهى وابين كان التحريك الطف والادراك اشرف
ولهذا ما يضرب عن بيان الحيوان ويؤثر كلاما على كلام ومثال هذا التحريك حاضر من الاشكال والخطوط والصور
والنقوش ثم قال الوحدة شايعة فى جميعها ومحيطة بها كلها ومشتملة عليها باسرها فصارت على هذه الاشياء
بالوحدة تتشاكل وتتكامل وبالكثرة تتخالف وتتفاضل فالمعنى بالتصفح المولع بالتعرف قد يلوح له تارة كالمركز
من المحيط وتارة كالمحيط من المركز وتارة كالدرة فى الصحراء اعنى بهذه الفقرة لا ما بينهما فافطن له فاذ الحظ
الاول فكانه صادر مع الصوادر واذا لحظ الثانى فكانه وارد مع الموارد واذا لحظ الحشو بين الطرفين فكانه
كل هذا وكل ذلك ومن اجل الاحاطة الشايعة والاشتمال الاول ما انقسم المطلوب عند الطالب بين المحيط والمركز

انقساما مفروضا لا محققا فالنسبة على هذا واحدة والوصلة ثابتة ولكن القوابل مختلفة والوجوه والامكنة متباينة والنواحي
والآن متفرقة على هذا المختلف الفروع والراجعة الى الاصل المبدئ للفرع وهذا كلام غامض من وجوه من رجع الى فطنة
ربانية وقريحة صافية لحظ من هذا اكثر ما ضمنت العبارة وانت عليه الاشارة **مقابسة اخرى** قال ارسطو

٣٧ طاليس فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي بو علي الانسانية افق والانسان متحرك الى افقه بالطبع و
دائر على مركزه الا انه موثقا بطبيعته منوطا بالخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه والقى حبله وسيب هواه في مرعاه
ولم يضبط نفسه عن تتبع عواليه بطبعه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الردية فقد خرج عن افقه وصار الى رذل من
البهيمية لسوء ايثاره هذه آخر ما ترجم من هذا الفصل وهو كما ترى وعظ بحكمة وايقاظ برافة وتعليم بنصيحة وارشاد
ببيان لو روى هذا الحسن البصري ومنصور بن عمار وضربهما ما زادا على ذلك وقد اتفقت الاوائل كلها على اصلاح
السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما اثمر واجدى والاعراض عن كل ما شغل البال واثار الشهوة لتبلغ النفس غايتها

٣٨ وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام **مقابسة**
اخرى قلت لابي علي هذا اما معنى قول القائل العقل محرك بكيت وكيت والعقل نطق بكيت وكيت فقال معنى ذلك
استحسانه الحسن واستقباحه القبيح والاستحسان تحسين لك والاستقباح تقبيح عليك والتحسين اطلاق والتقبيح
حظر وانما كان هذا من العقل هداية لذي الطبيعة لانه بري مع الاول والطبيعة هي معنا من لدن خلقنا فاذا استحكم
سوء ادب ذي الطبيعة وطال انفسك حتى يصير كانه بعض هذه البهائم في الجهل او بعض هذه السباع في التنزي و
الوثوب وكان في الاصل محدودا بالنطق ظهر من قوته بالعقل ما حفظ حياته عليه ونشر فضله وشحذ جوهره وبين
امره واظهر مكنونه وذلك كله تنبيه العقل وتحريكه وتحسينه وتقبيحه فمن استجاب كف غرام طبيعته واماتت
عليه شهوته بالتدريج والترتيب ليكون ممن اصغى الى نصح العقل وهدايته اتم ويكون استضاءته بنوره اشمل
واعم فلهذا كان للعقل تحريم وتحليل وحظر واباحة ومنع واجازة وكف وحث واطلاق وقيد وحبس وبعث لا

٣٩ على ما يظنه من لا خبرة له بالحقائق ولا استجابة له عند داعي الرشد **مقابسة اخرى** قيل لابي سليمان كيف يفعل العاقل
اللبيب والحازم الاريب ما ينكه عليه وكيف يقدم على ما يعقبه تبعة ويأتي ما يأباه بعقله ويكرهه بدينه ويعافه بمروته
وينكره بعادته وينهى منه غيره بنصيحته هذا مع اختياره الذي هو اليه واستطاعته التي هي حاصلة لديه مع عقله
الذي هو كاللجام والزمام والقاضي والامام فقال الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والحزامة والعزيمة والرأي و
الروية والشهامة والصريمة والتحصيل واليقظة وكلما كان في قبيلها وجاريا في حلبتها ومشاكلا لها ونازعا اليها وداخلا
في حومتها ليست هي للانسان على طريق الملك يصرفها كيف يشاء ويقلبها كيف يريد بل هي له من جهة التمليك فلو
كانت على جهة الملك ما زل زلة ولا ضل ضلة ولا ندم ندامة ولا ذعة ولا التزم مولة موجعة ولا زحم زحمة موحشة
ولا نكص على عقبيه متحيرا ولا بقي منكسا مبهورا ومتى كانت عنده على وجه التمليك من مالكها بقيت منها بقايا
عند مالكها متى شاء تمام فعله امده منها بما يتم له فعله لئلا يظن ظان ان ذلك لاستقلاله بنفسه وكماله بقدرته
واستغنائه عن مملكته بل يتم له شيء ليرتاح له ويشكر مقتضيه ليستنيله بلا غم بانقطاع شيء آخر ليفزع الى ربه ويلوذ
به بمسئلته ويتبرأ من حوله وقوته ومن علمه وبصيرته ومن جلده وتجلده ومن انفته وشيمته ويلوذ
بمن هو اولى به ويستمد ممن هو املك له ويستامر الى من هو اقدر عليه ويلقي مقاليده كلها اليه ويطرح كاهله

بين يديه
١٨

بين يديه وهذا بيان في موجب الربوبية ومقتضى العبودية لا ينكره الا من لا يبالى الله في اى واد هلك وباى ريح انتشر وفى اى
بحر غرق وفى اى غشاء طاح قلت له هذا كلام على الصالحين واهل الديانة من اصحاب الشرايع قال يا بنى لا تعجب من هذا
فالانبياء والاصفياء ومن هو دونهم يدندنون حول خلوص النفس في العاجلة وخلاصها في الاجلة والقول وان اشتبه والاشارة
وان غمضت فالمراد بيّن والمطلوب متيقن واهل الحكمة اولاد الديانة واهل الديانة الائمة للحكمة واهل الفلسفة
الاصورة النفس واهل الديانة الاسيرة النفس وكنت قد حدثتنى عن شيخكم الحضرمى الصوفى انه قال الكتب
كثيرة والعروس واحدة فقد ارتفع التناقض وسقط التنافى وانما قطعت هذا الامر في طلب الحياة الدائمة التى لا
شوب فيها من الم ولا عارض من اذى ولا خوف من انقطاع **مقابسة اخرى** قال ابو بكر الصيمرى لجماعة عنده

٤٠

ونحن في طاق الحرانى في الوراقين وقد ذهب بالقول في كل عروض وجئ به الى كل باب العلم حياة الحى في حياته
والجهل موت الحى في حياته فاذا كان الجاهل ميتا في حياته فما الذى يكون بعد مماته واذا كان العلم حياة الحى في حياته
فلا شك انه يكون حياة له بعد وفاته ثم قال العلم لا الهيبة في السر لانبساط العمل الصالح والخلق المعتقد والخلق
الطاهر والطاعة الحسنة والراحة في العاقبة ومن عرى من العلم ولزم العمل كخابط عشواء ما يفوته اكثر مما يجده وما
يفسده اكثر مما يصلحه ومن لزم العلم وخلا من العمل كان كلابس ثوبى زور والعلم فنون واشرفه معرفة الحق
الاول والعلم قوام المعقول والعمل قوام المحسوس ولولا الحس لا ستغنى عن العمل لان العمل انما هو رياضة
النفسين اللتين تعاندان النفس الناطقة اعنى الشهوية والغضبية فاما العلم فهو كله في تقديس المعقول بالعقل والتشوق
اليه وطلب الاتصال به والغرق في بحره والوصول الى وحدته والعمل مقوم للقوى التى تموج كثيرا بالزيادة والنقصان وبالخروج
والهيجان والعلم مبلغ الى الغاية التى لا مطلوب وراءها والعمل مهيئ لك نحو المسالك الى سعادتك والعلم مشرف بك
على سعادتك والعمل موصل والعلم موصول والعمل حق عليك لا بد من ادائه والعلم حق لك لا بد لك من اقتضائه ثم
العلم كله نور وانوره ما اضاء لك وسطع عليك واسفر بك وجلا عن حقيقتك وتحلى بعقيدتك ونحّى
تشويرك عنك وازلّ بك منك وصقلك وزينك وابهجك ونورك واهّلك لدركه حدك واحلك دار كرامتك
وقرارك وصار الصق بك من شعارك ودثارك هناك تبقى ولا تبلى وتغنى ولا تضنى هناك الواصل والموصول
والعالم والمعلوم والعاقل والمعقول في فضاء الوحدة ومعان القدس وخطة الراحة ومراد الطمانينة والجذل
والثقة والسكينة وعرصة الهيبة لا تفرقة ولا تمييز ولا كثرة ولا اختلاط ولا تمازج ولا اختلاف حال تجل عن
امارات الحال وامر يلطف عن رسوم الامر على هذا سكتت العبارات وطالت الزفرات اتظن ان الرقى في سلاليم العزة
والتناهى في غايات التوحيد هين سهل وقريب ممكن هيهات ان يكون ذلك كذلك ولكن لواحد بعد واحد
يجوز الواحد فيما لم يبعد عالم وفرد بعد دور وكان كلامه اطول من هذا واشفى وهذا احاصل منه رحمه الله
اسئل تقبله والوفاء به والقيام عليه **مقابسة اخرى** قال ابو الحسن العامرى ان المغمض من ارباب الحكمة يدرك

٤١

بفكره ما لا يدركه المحدق ببصره من غيرهم وذلك ان الحس محطوط عن سماء العقل والعقل مرفوع عن
ارض الحس فمجال الحس في كل ما ظهر بجسمه وعرضه ومجال العقل في كل ما بطن بذاته وجوهره والحس ضيق الفضاء
قلق الجوهر سيال العين مستحيل الصورة متبدل الاسم متحول النعت والعقل فسيح الجو واسع الارجاء
هادى الجوهر قار العين واحد الصورة ثابت الجسم متناسب الحلية صحيح الصفة والفكر من خصائص النفس

الناطقة والنطق في النفس ينصلح العقل بنور فانه والحس رائد النفس بالوقوع على خصائصه وكما قد صح ان الحس كثير الاغلاط
والاستحالة فكذلك قد وضح ان العقل ثابت على باله في كل حالة والحس يفيدك ما يفيدك في عرض لا له التي امنها المادة
والعقل يفيدك ما يفيد على هيئة محضة لانه نور قبل الالهي السنا ترى عاقلا يتحول من معقول الى معقول وينتقل من راي الى
راي وينصرف من معتقد الى معتقد فهل هذا الا لان السيلان الذي ادعي في الحس قد دب اليه وعمل فيه وما
هكذا يرى من اعتقد معتقدا بشهادة الحس فانه اثبت رايا وارسخ يقينا واظهر سكونا وعلى هذا الحس يفيد العلم الذي
لا يمكن معه النقض والعقل يفيد العلم الذي كانه مظنون فقال هذا الكلام من لم يرتض بحكمة القدماء ولم يرتق عما عليه
العامة والضعفاء لا يحسنون حذقك لان من جهة وليس لهما حكم على شيء من حواله الا من جهة النطق النفسي والذي
يوضح هذا ان البهائم كلها ذوات احساس قوية وليس لها قصنا يا منها ولا نتايج بها لانها خادمة للقوة القاضية
بالحق الدالة على الصحة المفضية الى المقدمات المستخرجة للثمرات وانما وقع لك هذا القول لانك ظننت ان
كثيرا من الناس يظنون بانفسهم انهم خاصة من ناحية الحق بل ليس الامر كذلك لانهم يعتقدون اشياء ممزوجة
مشوبة مختلطة كدرة في احكام العقل وسماء دره وحمائل باخذ ونها من اشباح الامور وصفحات الاحوال
ظواهر الاشياء ولذلك ما يزولون عنها بشرعة ويستوحشون منها عند كل شبهة وليس كذلك الفلسفة فانها
علم العلوم وصناعة الصناعات لا تعطيك في موضع الشك اليقين ولا موضع الظن العلم وكلها تعطيك في كل
شيء ما هو خاصته وحقيقته ان شكا فشكا وان يقينا فيقينا وسنصل بهذه المقابسة في الكتاب ما يكون بيانا وشاهدا
بصحته ولو ان هذه الاوراق اشتملت على نكتة ما فيها فقط وكان ذلك لا يكون كافيا في معناه موفيا على اقصاه لان
بحر هذا العلم عميق وقيمته غالية ولكنا وصلنا نكتة بنكتة ومقابسة بمقابسة تذكيرا للعالم وتفريجا للنفس واستدعاء
للنشاط ودلالة على مواضع السعة والغزارة ولا نصل منها الا وهو يوفي على كتاب ضخم اذا حويت على كل ما فيه وكل
ما يتعلق به ويصرف فيه وشبهه فاذا اعتبت علي ابقاك الله في بعض التقصير فقارب واقصد فلو اضمن لك خلو
ما اقوله عن بعض الشوائب وانما عزوت ذلك كله الى هؤلاء الاعلام الذين كانوا مذكورين في الوقت من غير ان
استبددت بشيء عليهم الا بما لا بال به ليحسن ظنك ويقل تعبك بها في تهجينهم والله يعينك بلطفه ويواصلك
بتوفيقه انه قريب مجيب **مقابسة اخرى** قيل لابي الخير حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا ضرورة هي ام
استدلال فان المتكلمين في هذا اختلفوا اختلافا شديدا وتباينوا علينا تباينا بعيدا ونحب ان يحصل لنا
جواب فيه يفسر على هذا الاختصار مع البيان فقال هي ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس ولما
كان كل مطلوب من العلم اما ان يطلب بالعقل في المعقول او بالحس في المحسوس قال وهذا هو الشاهد على
الغائب وساغ ان يظن مرة ان معرفة الله اكتساب واستدلال لان الحس يتصفح ويستقوي بموازرة العقل و
مظاهرته وتحصيله وان يظن تارة اخرى انها ضرورة ان العقل السليم من الافة البريء من العاهة يبعث على
الاعتراف بالله تقدست اسماؤه ويحظر على صاحبه جحده وانكاره والتشكك فيه لكن ضرورة لائقة بالعقل لان ضرورة العقل
ليست كضرورة الحس وذلك ان ضرورة الحس فيها جذب بعنف واختيار وحمل واكراه فاما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا
لانه يبعث ويلاطف وينصح ويحقق وكان بعض اصحابنا في الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا زعم ان مثال
الحق في هذا كامرأة حسناء متبرجة ذات وقاحة وخلاعة قد جلست الى شاب يطوي له شطر جمالها وعليه مسحة من

٣٤م

المرتضى بين النفس الامن العقل والامن

حسنها تخل عد بجلبتها و تراود ه عن نفسه لنفسها وتبدى له محاسنها وتطعمه فى تمكينه منها و تستعجله فى حاجتها و
تحثه على قضاء اللذة والوطر منها فاما مثال العقل فكانه شيخ هم قاعد على بعد ليس به نهضة للزحوف اليه والحيلولة
بينه وبين ما نزل به من صاحبته الوقحة الفاضحة الا انه مع ذلك يصيح ويتأوه وينادى بصوت يحرك راسه ويبسط
يده ويعظ ويلطف ويعد ويخوف ويضمن ويرفق ويشفق ويحنو فاين تاثير هذا الشيخ الهم المحطم من تاثير
هذه الخالبة الغالبة المحتالة المغتالة مع قلة اصغاء الشاب الى الشيخ وسيلانه مع هذا واراد بهذا المثل الفرق
بين العقل فيما يدعوك اليه تسعد والحس فيما يملك عليه لتشقى هذا فى جميع ما يزاوله ويحاوله ويهم به ويتوجه
نحوه فعلى هذا فان الله تعالى تقدس معروف عند العقل بالاضطرار لا ريب عنده فى وجوده ومستدل عليه عند
الحس لانه يستحيل كثيرا ولا يثبت اصلا فمن استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات و
كلا الطرفين قد وضح بهذا الاعتبار وكفى مؤونة الخبط والاكثار وهكذا كل شئ يطلب صله وفصله بالنظر الفلسفى
والبحث المنطقى والاقتراء الالهى فاما ما ينظر منه فى الجدال فلا يورث الانسان منه الا الشك والمرية والحسبان والظنة
والاختلاف والفرقة والحمية والعصبية وهنالك للهوى ولادة وحضانة وللباطل استيلاء وجولة وللحيرة
ركود واقامة اخذ الله بايدينا وكفانا الهوى الذى يوفينا وصنع لنا بالذى هو اولى به منا والسلام **مقابسة**

اخرى قال العامرى الطبيب اخو المنجم ونظيره وشبيه الحال به وذلك ان الطبيب قد رسم بانه حفظ الصحة
بالتدبير المحمود وازالة العلة بالراى الصحيح وكان علم الطب اشرف من موضوعه وموضوع علم النجوم اشرف
من كالا والصناعة محتملة للحيلة والزرق كما انها راجعة الى الصحة والحذق وقد يتفق فى زرق المزارق صواب
كبير كما يعرض فى حذق الحاذق خطأ يسير والحيرة بين هذين الاتفاقين بحال وللمعترض عليهما مقال وفصل
الحال بين الرجلين صعب والخطب مشكل وليس للمصيب بالزرق ان يجعل ذلك قاعدة واساسا ولا للمخطى
ان يقطع منه يأسا قال وقفت هذه الصناعة هذا الموقف وتدرجت هذا التدريج لان الله تقدس كما اراد بالعافية
والبرء والسلامة والنجاة انعاما وامتنانا كذلك اراد بالعلة والمرض واليأس اختبارا وامتحانا ثم اشاع الله العلم
بالطب تعليلا للطبيب بسبب رزقه منه وتعليلا للمريض بسبب تخفيفه عنه فكلا الرجلين اعنى المعانى والعليل
الى غاية مضروبة على اسباب محسوسة وغير محسوسة ولو عافى الله تبارك وتعالى بالطب ابدا لاتخذ الناس الطبيب
ربا ولو لم ينفع بالطب احد لهجر الناس الطب هجرا بل جعله علالة مدة مع احصاء ايام العافية وسبب العافية
مرة مع التنبيه على موقع النعمة ولذع البلية قال وما هذا امره ومرجعه الى امر الله روما اسست عليه وذكر
اهلها به وصرف سكانها فيه فمن لم يفتح بصره ليرى ما فوقه ولا ما تحته ولا ما عن يمينه ولا ما عن يساره كذلك للغيب
سيما المرتطع على سر هذا الشاهد ومكنون هذا الجلى وباطن هذا الظاهر ومعقول هذا الذى تم عليه الحس
وخفى هذا الذى وقع عليه الحدس قال والمرض والعافية فى الابدان بمنزلة الغنا والفقر فى الاحوال والغنا والفقر
فى الاحوال بمنزلة العلم والجهل فى القلوب والعلم والجهل فى القلوب بمنزلة العمى والبصر فى العيون والعمى والبصر
فى العيون بمنزلة الشك واليقين فى الصدور والشك واليقين فى الصدور بمنزلة الغش والنصح فى المعاملات و
الغش والنصح فى المعاملات بمنزلة الطاعة والمعصية فى الاعمال والطاعة والمعصية فى الاعمال بمنزلة الحق والباطل
فى المذاهب والحق والباطل فى المذاهب بمنزلة الخير والشر فى الافعال والخير والشر فى الافعال بمنزلة الكراهة والمحبة

في الطباع والكراهة والمحبة في الطباع بمنزلة الهجر والوصل في العشرة والهجر والوصل في العشرة بمنزلة الرداءة والجودة
في الاشياء والرداءة والجودة في الاشياء بمنزلة الصلاح والفساد في الامور والصلاح والفساد في الامور بمنزلة الضعة والرفعة في المراتب والضعة
والرفعة في المراتب بمنزلة القبح والحسن في الصورة والقبح والحسن في الصورة بمنزلة العي والفصاحة في
الالسنة والعي والفصاحة في الالسنة بمنزلة الاعوجاج والاستقامة في الاعضاء والاعوجاج والاستقامة في الاعضاء
بمنزلة الحياة والموت في الاجساد والحياة والموت في الاجساد بمنزلة الشقاء والسعادة في العواقب فما احوج هذا
الانسان بعد قيام هذه الامور اذا عنه وبحدود طرفه الى يقظة بها يكيس في معاشه ومنها يقتبس لمعاده وتقتني
ما يحمد ربه وجدواه ويجتنب ما يصير سببا للشقاء في عقباه فباب الخير مفتوح وداعي الرشاد ملح وخاطر
الحزم معترض ووصايا الاولين والاخرين قايمة ونزاهتهم موجودة والخوف عارض والامن مظنون و
السلامة متمناة فماذا ينتظر المرء اللبيب بنفسه بعد هذه الايات المتلوة والاعلام المنصوبة والحالات المتقلبة
والنعم المتقلبة والاعمار القصيرة والامال الكاذبة اما يتعظ اما يعلم انه من جنسه محمول على تدبيره وانه لا فكاك له
ولا بد من حلول ما به من الخلال تركيبه واستحالة عنصره وانتقاله الى حال بسيطة ان خيرا فخير وان شرا فشر لي بعلم
ولكن علما مدخولا ويعقل ولكن عقلا كليلا ويحس ولكن حسا عليلا كما قال الاول شعر اشكو الى الله جهلا قد
منيت به بل ليس جهلا ولكن علم مفتون واعلم ان الغرض كله في هذا الكتاب وجميع ما مثبت عن هؤلاء الشيوخ
انما هو في ايقاظ النفوس وتاييد العقل واصلاح السيرة واعتياد الحسنة ومجانبة السيئة فاستصحب الغرض
بالنية الجميلة فلعلك تؤهل للفلاح والسعادة عند توزيع هذه **مقابسة اخرى** رأيت فضلاء من

٤٤

الفلاسفة وهم الذين قد فهمت باسمائهم مرارا يكثرون الخوض في معنى الامكان ويتلون المسئلة والجواب فيه
وقد اقتبست منهم ما رسمته في هذا الكتاب على طريقة قريبة والفاظ معهودة فاشركني في تقييد الفايدة ان كنت طالب
فايدة ولا تسبق الاستحسان والاستقباح والتخطية والتصويب قبل التفهم والتصفح والتقليب والتنقير فانها
مسئلة صعبة فمن ذلك قول القايل زعم ان لا طبيعة للممكن وانما هو موقوف على فرض الفارض ووهم الواهم
ووضع الواضع وظن الظان وليس كالواجب الذي هو ثابت على وتيرة واحدة وجبلة ممدودة معلومة والحد قائم
الطبيعة لا كالممتنع الذي هو ايضا على هيئة واحدة لا يرتقي صعدا ولا يتماثل سفلا والبرهان على ذلك ان الواجب
لا يستحيل ممتنعا البتة لا بزمان ولا في مكان وانه كذلك بذاته لا بشئ اخر وكذلك الممتنع لا يستحيل واجبا على
مثل حكم الواجب لا في زمان ولا في مكان بل لا ينحط الواجب الى الامكان ولا معقولا ولا موهوما ولا مفروضا ولا مظنونا
وكذلك لا يسمو الممتنع الى الامكان في حال من حالاته على ما سلف لبيان عنه وقال الخوض هؤلاء الجلة مما يؤيد
هذه المصادرة ويحققها ويوضح مشكلا ان كان عرض منها انك اذا قلت هذه الالفاظ الثلثة وفحصت
عن عناصرها ورتبت معنى كل اسم منها من جهة وزنه ومرتبته وصنعته وخلقته وجلته وجوهرها
المختلفة دالة على معانيها المختلفة وذلك انك اذا قلت هذا واجب وهذا الوزن وزن فاعل من جهة
اللفظ وانما قلت من جهة اللفظ لان الفاعل من جهة المعنى مقتض لمفعول والواجب مثبت لنفسه عما
يكون هويه مفعولا او عما يكون هو له فاعلا والفاعل من المضاف وكذلك المفعول ليس الكلام فيهما واذا
اعترض من ناحية وزن الاسم وتبرأ من كل صفة موهومة هذا التبري ولقيامه بنفسه واستغنائه بجوهره و

كما انه اعطى الوثبة الاولى والحظ الاعلى والممتنع اذا قلبت معنًا من ناحية وجدت فيه معنًى من معاني الانفعال ونظايره فالبينة تشهد بذلك وهذا نظير بيته لك نظر النحوي وجوفي عليه لا بل فوقه في الشرف وان كانت قوة النحو مقتصرة وشهادته مستعارة لانه كانه قد استضاف فعلا ما الى نفسه كما استضافه فحتمل ومشتبه وملتبس ومقتصد وتقريب هذا لطيف الى التقريب دون ما طال وامتد وكما استوفى الواجب لصورة بالكمال استيفاء وجود انتفى الممتنع من الصورة في كل حال انتفاء عدم فليس في الواجب من اجزاء العدم شيء ولا في الممتنع من اجزاء الموجود شيء ولا لفظا باخر الممتنع ثم ان الامكان بعد هذا كله استعار من الواجب شبهًا واقتطع منه ظلا واستعار ايضًا من الممتنع شبها واسترق منه ظلا وذلك هو عدم ما فصار من اجل الاستعارة والاستراق ينقسم الى مراتب ثلاث الى الاكثر والاقل والاوسط فقال بعض من حضر هذه المقابسة العجيب انه اخذ الشبه من اثنين وانقسم الى ثلاثة فقال له قايل في الجواب انه اذا اخذ الشبه من الواجب في الاغلب لقوة الواجب في صحته نفسه وثبات جوهره وصفاء عينه وفي الاقل اخذ من الممتنع وقوة الممتنع بازاء قوة الواجب وضعا وتمثيلا وقد تقابلت القوتان الطرفين على تعاندهما الا ترى ان الكثرة من الموجود والقلة من العدم اعني ان صورة الوجود في الكثرة اظهر منها في العدم والوجود باسره في الوجود والعدم في الامتناع ونفيهما هو بهما اعني ما ائتلف من الشبه الماخوذ من الواجب والشبه من الممتنع لانه اذا وفي ما قد استعار من الشبه من الطرفين وفي ايضا ما له بالتوسط والاختلاف ابغيته هذه الكلمات تدليل بين وحجة واضحة على تفاوت ما بينهما من الحقايق فاذن الامكان قد خلا من طبيعة يستقل بها وعري من صورة ينسب اليها وعاد وحكمه حكم المركبات في الحس والمفروضات بالوهم قال ومما يزيد ما يمضي من القول وضوحًا ان الواجب لا يقف على ايجاب موجب في وجوبه والممتنع لا يقف على منع مانع في امتناعه فان عرض في نفسك الواجب فاعلم انه قد اقتضى شيئا ولكنه الموجب واستوفاه ولم يفضل منه ما يقتضي شيئا اخر ولا بقي ايضا منه ما يقتضيه شيء اخر وهكذا المانع في قياد ذلك قد اقتضى الممنوع واستوفاه ولم يفضل منه ما يقتضي شيئا آخر ولا بقي منه ايضًا ما يقتضيه شيء اخر وخرج حكم الممكن من الحكم الذي للواجب والحكم الذي للممتنع لان الممكن كانه طالب لمكانه والداعي لنفسه فيكون مكانا وهذا كله لتقلقله في قضاياه وقلة استقراره في بابه لانه عادم لحده وطبيعته وانما يغلب عليه تارة ما يعيره الواجب من نفسه وصورته فيصير للامكان القريب من الوجوب وتارة يغلب عليه ما يستعيره من الممتنع فيصير للامكان القريب في الوسط لا يظن به رفع الحجاب ولا انحراف لمكان الواجب عن الحقيقة من الكثرة والقلة والانقسام والعلة وعن استعارة صورة عن ذي صورة فصار الممكن المنقسم الى الكثرة والقلة والوسط لان الكثرة والقلة قد زالت وانما بطل ما يكون ذا اقل ببطل القلة ومما جرى بين هؤلاء الافاضل في هذا الفصل ما يدخل في حاشية هذا الكلام الذي قلما عجزني عن ادائه على وجهه بالقسطاس المستقيم سوء التاني فيما يحقق المراد ويحيط ثقل الطبع قول اخر ان الواجب واجب ان يكون واجبا والممكن واجب ان يكون ممكنا والممتنع واجب ان يكون ممتنعا فالوجوب صورة الجميع لانه نعت للعلة الاولى واما الامكان والامتناع فانه يشار اليهما بعد الاعتراف بالوجوب الذي قد نفذ سلطانه فيهما وملكت سمته جملتهما واحتوت صفته عليهما والواجب لطبيعته لم ينقسم لان الوحدة تامة فيه محيطة به موجودة له خالصة عليه ولو انقسم لانتقلت الوحدة الى الكثرة وتشعبت عما هي عليه في الحقيقة وكذلك الممتنع لانه يكون في الطرف الاخر يعطي صورة الانتفاء من نفسه توفيرا

لحد الواجب ولا ضير ان يختصر لهذه الجملة مثالا ليكون كالوحي الى الحق لئلا يطيل ما طال القول فيه وتتابع البحث عنه وجب ان يكون الفاعل قبل المفعول ويمتنع ان يكون المفعول قبل الفاعل ويمكن ان فاعلان معًا في مكان او منفعلان معًا في زمان ويمكن ان يكون فاعلان معا ولا منفعلان بل يكون كل واحد منهما منفردا عن فاعل اخر وكل منفصل منفصلا عن منفصل اخر فهذا كما ترى مثال اخر واجب ان يكون الفلك محيطا بالارض ويمتنع ان يكون المركز محيطًا بالفلك ويمكن ان يركب الامير غدا فلو كان الامكان حدًا غير معترف مما قد تقدم القول فيه لكان لا يقف على الوضع والفرض والرسم والوهم والظن والتخيل الا ترى انك لو نسبت هذا الامكان الى الفلك لم يصح اعني انه يستحيل ان يقال ممكن عند الفلك وعند الله ان يركب زيد غدا او في الاول جاز عندنا ذلك لانا قلناه تقديرا وتظنينا ووضعا وتوهما ولا وضع عند الفلك ولا ظن ولا تقدير ولا توهم ايضًا عند الله تقدس اسمه وتعالى جده وقال اخر من جلة القوم ليس لشيء وجود ولا وجوب الا الباري الحق ولا حقيقة اذن لشيء الا له لانه هو الواجب كلما علاه فانما هو واجب به وممتنع وبه ممكن والوجود الحق له فكل وجود يرسم للممكن والممتنع فانما هو بالاستعارة والتقريب والتحلية والتشبيه فاذا انسلخ كلما عدا العلة الاولى من الوجوب ومن الوجود الا على قدر ما يلحقه الفيض يصل اليه الجود ويخلص ما هو بالحقيقة وبالتحقيق هو فيه هذا ابلغ حاصل من قول هؤلاء المشايخ وهم الذين نشرت لك حديثهم وذكرت اسماءهم وذكرت على مقاماتهم مرارا في هذا الكتاب وجل النظر في هذه المسئلة على ما انفرشت من الفلسفة الداخلة اعني الالهية المحضة فلهذا اما تمادى من زيادة لعلها تحط قدر المعرى الذى سلف القول فيه وسقطت المعنى عليه والسلام **مقابسة اخرى** ذاكرت طبيبا شاهدته بجند نيسابور من شيخ العلم فما اذكر تلك المذاكرة وتلك المسئلة وتلك الفايدة الاسخ تخصص لك الشخص وكان يكنى ابا الطيب لعيني وتمثل في وهمي وحتى كاني اراه قريبا معي وحاضرا عندي وطال تعجبي من ذلك فرايت ابا سليمان في المنام فسالته عن الحالة التي قد شغلتني بالتعجب منها والامر الذى توالى علي من اجله فقال لي في الجواب قولا ميقظا ما النائم من جملته في اليقظة مما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع قال اما تعلم ان المبدأ الاول والاصل والعلة مفتقر اليه بالطبع والضرورة ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه مرية ولا شبهة قلت بلى قال فالثاني مشعر ابدًا بالاول والاول لم يشعر بنفسه الثاني مشعور به ايضًا ولكن الاول والاول مع هذا هو الثاني والثاني هو الاول ولكن اختلفت الرسوم ولم تختلف الحقايق الى هاهنا يخلص لي ما نبيته وهو ظاهر كما بدا قال المكان من صدور المذاكرة من حصه وتمت بمطاولته وحصلت الفايدة بوساطته اشتاقت لنفسي تلبست بصورته وجلا تامنها للمبدأ ونزاعا نحو الاول وسنشا للسكون معه لانها تعشق بالذات ابدا الاول ويعشق كل اول للشبه القائمة فيه والشبه الموجودة به من الاول الاول فكل مرئي من كل ضرب طبيعي وارادي وفكري وخلقي وصناعي والهي يجيبها ويؤنسها وينفي وحشتها وعللها ويستعمل بذلك شوقها الى الاول الحق الذي هو اول بالاطلاق واستكمالها فذلك الشوق هو استدل منها الحال وثباتها على صورتها وطربها على ما حصل لها والكلام في الاول والمبدأ في كل ما ضرب فيه بسهم وانتهى اليه بوجه لا يمل ولا يمل ولا يشبع منه ولولا ان بضاعتي في هذا الفن مزجاة وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان ابين مراي واحلا مسمعًا وعلى كل حال فقد كتبت ما امكن التصرف فيه والشغل به والزيادة على ذلك تقتضي تجزيل القول على تقدير السؤال والجواب والتمثيل والايضاح فان نفس الله الخناق قليلا وازاح

لازما وجمع شملا منقطعا اتيت على ذلك شرحا واطمت عليه مثلا فيان شاء الله تعالى

مقابسة اخرى

قال شيخ لي يوما في جملة كلام اقتضبه في اقسام الموجودات لكل صنف من اصناف الموجود في حكم العدل ومكيال خساسة ونقص وتهافت وفساد طبيعة وطموس ضياء وتجهم صورة وانحناء جثة وخمود شعاع ونقد تمام وتقطع نظام مع استيلاء رذيلة وبطلان فضيلة فلا بد ان يكون في مقابلة صنف اخر من العدل في حكم الموجود بصحة وقوة ونفاسة جوهر وكمال فضيلة وظاهر عفة وتجدد تربة وبهاء همة وغلبة علية ونقاء سنخه وصفاء سوسه وطهارة عينه وظاهر بينته ودوام نضرته وتناسب جملته وتفصيله وساير ما لا يحيط القول به قال والاشارة في هذين الفصلين بينة مكشوفة ومتى لم تقف عليها من تلقاء نفسك بضياء عقلك وذكاء قريحتك فصل اليها من جهة ارباب الحكمة واعلام الفلسفة فانك متى جربت هذه الاعراض وتخللت هذه المعارف وثبت على سمت العدل لكنفتك الخيرات عاجلا والسعادات آجلا فتكون حينئذ موجودا وان عدمت وباقيا وان فنيت وحاصلا وان فقدت وثابتا وان نفيت مغبوطا وان رحمت وحيا وان مت وظاهرا وان بطنت وجليلا وان خفيت وواضحا وان اشكلت وشاهدا وان غبت وقادرا وان عجزت ومعروفا وان انكرت وعالما وان جهلت هنالك تصل الى الغنا بلا قنية وتنطق بلا عبارة وتفعل بلا آلة وتصيب بلا مشورة وتعقل بلا مقدمة وتبقى بلا آفة وتلتذ بلا استحالة وتنال بلا كدح وتحيا بلا اذية وتسعد بلا شوم الهيئة ورثتها من البشرية وربوبية وصلت اليها من العبودية وملكة استوليت عليها بالانسية وحال جلت عن رقم قلم وبرق حبر واستقصاء بيان وتخيل وهم ثم قال وقد مر الكلام فيما تقدم عن حال الانسان في وجوده الثاني عن السعادة التي حصلت له والحبور الذي ظفر به قال وانما تلطف هذا القول عليك لانك تنظر الى هذا الانسان من قبل وهو في اسار الحس وحد الجسم وقشور البدن ومحال التركيب وتصرف الطبيعة وسيلان الطين وذوبان العنصر هذا مع سوء الاختيار وفساد العقيدة وقلة ايثار العفة والنجدة والاخذ بالرخصة بعد الرخصة في مساعدة الشهوة وتسلط الارادات الردية المهلكة ومتى يكون لهذا رجوع وثمرة وفايدة ولعمري لو قدس نفسه وباين هواه واختار الحق معتقدا وآثر الخير مجتهدا ونال من ضرورات الطبيعة مقتصدا لانتعشت روحه واستنار عقله وذكت بصيرته وصفت قريحته وصدق ظنه وفصح حدسه واضاءت فراسته وكان التوفيق قائده والسعادة غايته والغبطة حليته والبقاء حليفه والابد نعته وما اسهل هذا الوصف على ما اقول وعليك بالسماع وما اصعبه علينا جميعا بالعقل وكيف لا يكون ذلك صعبا والانسان منوط بالطبيعة من طرف ومضاف الى العقل من طرف فبما يفزع الى ما هو فساده واهلاكه وبالعقل يختار ما هو صلاحه وكماله لكن اختياره ضعيف فيه لانه غال في افق العقل الذي هو موجب الواجب وتحسين الحسن وارادته الطبيعية قوية فيه لانها ناشية منه وكامنة فيه ومترددة عليه والنقص على الجمهور في كل حال وامر وان العجب كل العجب ممن يحل في دار النقص ويهيم في عرصة العلل او يسلم في خطة البلوى او يلذ الصاب والعلقم وتعقل عن غايتهما وينعم وكان بعض الاطبين يقول الاحسان من الانسان زلة والجميل منه فلتة والعدل له منه غريب والعفة فيه عرض ضعيف ومما يزيدك ثقة بما يصرف من القول به نقص هذا الانسان الذي قد اكتنفه الفساد من كل جهة وملكه الجهل بكل حال انا وجدنا في هذه الايام من نظر الى وادٍ اغن بالكلا قد استحالت الارض به خضرة ونديًّا وحسنا لخف حين خالف عينه في اطرافه وبلغ به التعجب الى ان قال ليتني كنت بقرة فكنت آكل من هذا

كله اكلا ذريعا وهكذا امن اعلاه الى اسفله ومن اسفله الى اعلاه وكان يقول هذا وهو على شكل ظريف لا سبيل للعالم الى وصف
و اداته على وجهه وحقيقته واللسان ايضا لا يأتي على خواصه ومعانيه وهو متحسر في قوله على هيئة المجنون لغلبة
الارادة الطبيعية وقوة الحركة الحيوانية وموت العقل الانساني وبطلان الشرف الجوهري فلما فضّنا عنه هذا الحديث
وكثر قال له بعض فقهاء معنفا ولائما ومنبها له على خساسته يا هذا هل رايت قط من تمنى وهو انسان ان يكون بقرة
بسبب مكان معشب وكلام كثير فقال له مجيبا وهو وادع النفس رخي البال حاضر الفكر ساكن الطباع ايها الشيخ لو رايت
بعينك ما رايته لتمنيت ان تكون كما تمنيت وهذا يدل على ان الذي اثار شهوته في ذلك المكان لم يكن جوعا قد توالى
ولا نهمة قد غلبت بل كان لذة النفس ولؤم الطباع وسقوط الجوهر وغباوة الروح وقلة العقل فهل نظن حفظك
الله بعد هذا بمن هذا حديثه وجملته وتفصيله ان ينتعش من صرعته او يستبصر في شانه او يهتدي لسعادته
او يلتفت الى معاده وهل بين هذا وبين الحمار الذي هو حيوان نهاق فرق بل قد سمعت من قال ان الحمار خير من
هذا بكثير لان الحمار لازم لحده غير منحرف الى ما ليس في قوته وهذا اقد بطل حظه بالجملة ورجح النقص كله النفس
بقبح شهوته وفساد امنيته على اني شاهدت قبل هذا انسانا متماسكا وكان له حظ من التجربة بالسفر العالية و
السفر البعيد وكان متميزا بمذهب الصوفية يقول يوما وقد بصر حمارا يمشي ليتني كنت هذا الحمار فعجبت منه
فضل عجب وانكشف لي انه انما تمنى ذلك ليكون ناجيا من تلك الكلفة ومؤونة ما هو بصدده وصائر اليه عاجلا وما هو
ماخوذ به ومتخوف منه ومعد له اجلا فكان عذره هذا عندي اخرج من كل الجهل وادخل في بعض الوهم وانما جرى
هذا في ضميره وجاش على لسانه واتفق بذكره والتشكك فيه لانه كان جاهلا بالجوهر الذي هو اشرف من الانسان
بحده الخالص من كل شوب فنزل من تلك الربوة العالية والذروة الشماء اعني الجواهر العلوية الابدية وتمنى
ان يكون حيوانا هو اخس من الانسان عند كل انسان لا يحتاج في تسليم هذا او معرفته الى عقد متين ونتيجة
بل العلم به اول والتسليم له ضرورة لا لشيء الا ليتخلص من عوارض الدنيا وكلف الحيوة وضرورات الطبيعة
ومطالب الحواس ولو ادرك قوته شيئا وعقله وحكم به لعمد نحوه وطلب الانتساب اليه والاشراف عليه والنظام
فيه والتمام به والبقاء معه ولم يعد ناكصا على عقبيه متمنيا الا ان يكون على هيئة شيء هو الان بنفسه اشرف نفسا و
اكمل صورة واقوم فعلا واكمل وزنا وابقى شخصا واكرم جوهرا او اصل هذا الفصل بحديث اخر وقعنا عليه
في هذه الايام لتكون هذه المقابسة مستوفاة ولعلك لا تخلوا فيها ايضا من فايدة تكون رفد الماسبق وايقاظ النفس
في المستقبل ترى الانسان يبصر فيها بل هي عيونه التي يرى فيها بل هي مخوله التي يستثمرها ونواصحه التي اذا قيل منها
عرف كيف المعرس والمسرى وكيف الصبح اذ ابدا وانجلى وابصر بين يديه كما دب ودرج ونشأ شاهدنا في هذه الايام
شيخا من اهل العلم ساءت حاله وضاق رزقه واشتد نفور الناس عنه ومقت معارفه له فلما توالى هذا
عليه دخل يوما منزله ومد حبلا الى سقف البيت واختنق به وكانت نفسه في ذلك فلما عرفنا حاله جزعنا وجعنا وتوجعنا
وتناقلنا حديثه وتصرفنا فقال بعض الحاضرين لله دره لقد عمل عمل الرجال نعم ما اتاه واختاره هذا يدلك
على عزازة النفس وكبر الهمة لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به وحال كان ممقوتا فيه مهجورا من اجله مع فاقة
شديدة واضاقة متصلة ووجه كلما امّه اعرض عنه وباب كلما قصد دونه اغلق عليه وصديق اذا ساله اعتل
عليه فقيل لهذا العاذر ان كان قد تخلص من هذا الذي وصفت على انه لم يوقع نفسه في شقاء اخر اعظم مما

كان فيه واهول واد وبه واعظم وابقى ولعمري نعم ما عمل لله ابوه ما احسن ما اهتدى اليه وقوي عليه وينبغي لكل عاقل
ان يدفع الى ما دفع اليه ويقتدي به ويصير الى رايه واختياره وان كان قد سمع بلسان الشريعة اي شريعة شيئا القديمة
والحديثة النهي عن هذا واشباهه فقد لقي بما عجل الله به العقوبة واجرى عليه عذاب النار سبحان الله اما كان يسمع
من كل عاقل ولبيب وعالم واديب ومن كل من يرجع الى مسكة ويعرف فضيلة من يرجع الى قوله فينتهي
الى صوابه مرة ويتهادى فنون سيرته وحاله النهي عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه وكثير فكيف لم يتهم نفسه ولم
يتعقب رايه ويرينا ورنصحا انما هذا كله بسبب حال لوانها كانت تنكشف عنه بما ينتهي بعد انحسارها الى كثير مما
ينسي معه القاسي وقد علم ان ما في هذا الفعل المكروه بالعقل الفاحش بالسماع المقشعر منه بالطبع ما يجب عليه من
التوقي بسبب ما قد انتشر بالشرايع واجمع عليه الاول والاخر من كل جيل وطرف في النهي عنه واستسقاط ما اقدم
عليه لانه امر متى ركب بالظن والتوهم الذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ثم استبان له في الثاني عوار
ما اثره وعظام ما عمل به فاته التلافي ولم يمكنه الاستدراك ولا الرجوع فلو لم يكن في هذه الا ما يوجب عليه التشغل
والاستبصار من اجل ما قاله العقل او ورد به الانبياء بالعقل والوحي لوجب ان لا يلقي بيده الى التهلكة ولا يختار ما
يهجنه عليه اهل الروية والبديهة واصحاب الديانة والمروة ولا ينقص لعادة القائمة ولا يخالف الاراء الحصيفة
ولا يستبد براي الطبيعة فكيف وقد قضى العقل قضاء جزما واوجب النظر ايجابا حتما انه لا يجب ان يفرق الانسان
بين هذه الاجزاء الملتحمة والاعضاء الملتئمة وليس هو رابطها ولا هو على الحقيقة مالكها بل هو ساكن في هذا
الهيكل لمن اسكنه فيه وجعل عليه اجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته واصلاحه وتصريفه على ما يعينه على
طلب السعادة في العاجل والاجل ويكون سعيه مقصورا على التزود الى مبوأ صدق ولا بد له من المصير اليه
والمقام فيه على امر شامل وخير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة وحبور مستصحب حيث لا افة ولا حاجة
ولا اذى ولا حسرة ولا اسف ولا كمد ولا فوت ولا تعذر وهذا مع السيرة المرضية وايثار الاخلاق السنية و
مع اعتقاد الحق وبث الصدقة والاحسان الى جميع الخلق فاما اذا كانت الحال على خلاف هذا فالشقاء الذي
يتردد فيه ويتعقد به ويرجع اليه يكون في وزن ذلك ومقابله نسئل الله الذي بيده ملكوت كل شيء ان يهدينا
للتي هي ارشد في العاجلة واسعد في العاقبة فانا ان خلونا من صنعه اللطيف وبره المالوف هلكنا وخسرنا
انفسنا وعدنا في الثاني شر معاد مع طول حسرة وشدة اسف اللهم فارحم ضعفنا واشملنا باحسانك وتوفيقك
حتى نتوجه اليك قاصدين ونفوض امورنا الى تدبيرك راضين ونتوكل عليك منيبين ونصير الى جوارك مشتاقين
مخلصين يا رب العالمين قد تضمنت هذه المقابسة فنونا من القول وما اظن اني اسلم فيها عليك لشدة
نظرك وتقليبك ومع ذلك فهي غير خالية من بعض الفايدة وانا اسالك ان تقبلها على تخيلها وتهب بعضها
بعضا لتكون اخذا بحكم المروة جاريا على هدي ذوي الفضل في حسن الاغماض عن شيء لعله يختل منه بعض الاختلال
ولا ينال من الصواب كل المنال وانت تفعل ذلك ايجابا بالحق اخيك ووفاء بامع احسن اخلاقك التي هي نعتك **مقابسة** ٤٧ م
اخرى قيل لابي سليمان باي شيء تعرف ان في العقل مع شرفه وعلو مكانه انفعالا فقال باستحسان واستقباح
لان هذين انفعالين ولكنهما انفعالان على طريق الاستحالة وكانه يدور على نفسه او يقتبس من الذي
هو اعلا منه ويثب عماد ونه ويشنع عليه فهذا يوهم بالانفعال على جهة التقريب لان مرتبة هذا

الانفعال فوق مرتبة كل فعل بما هو هو ونا العقل ومما يزيدك استبانة لهذا المعنى واستقامة اليه ان هذا الانفعال هو الانفعال الاول الذي ليس فوقه انفعال البتة فا الحق الاولية نسبته الى الفاعل الاول الذي لا فاعل فوقه البتة وكلما هبط الانفعال في المنفعل بعد المنفعل حسن وبعد عن ذلك الشرف الذي كان بالنسبة الاولى كالفعل الذي كلما هبط ايضاً في الفاعل بعد الفاعل يحسن ويبعد من شرف الفاعل الاول بالاطلاق الذي هو علة كل ما هو علة لم فانت اذا اعتبرت فاعلا بعد فاعل حتى تنتهي من عندك الى الدرجة القصوى مررت باقسام الفاعلين ومراتبهم ايضا كذلك اذا اعتبرت ايضا منفعلا بعد منفعل حتى تنتهي من هناك الى ناحيتك الدنيا مررت باقسام المنفعلين ومراتبهم وهذه امور بينة اتم بيان وثابتة على اكمل بهجة وافضل رتبة لا يتخللها خلل بوجه ولا سبب الا ما يحتيل منها الحس المكذوب الذي لا يوثق بقضائه ولا يسكن الى حكمه فاما التصفح العقلي فقد اتى على هذه كلها بما اهدى الى النفس من السكون ونفى عن حقايقها الظنون والسلام **مقابسة اخرى** قلت لابي سليمان ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ما هو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة على مكايل اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس ويحكم به العيان او على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والعادة والمنشا وساير الاعراض التي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء ادب كثير نعم ومع قلة تاله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بجملة والفلسفة ادام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على انها بحث عن جميع ما في العالم مما ظهر للعين وبطن للعقل ومركب بينهما ومايل الى حد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف يفتقر معه الى جناية التقليد مع احكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوايل ذلك موجودة حسا وعيانا وكانت محققة عقلا وبيانا ومع اخلاق الهية واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة ذكرها وتعدادها ولا يبلغ اقصى ما لها من حقها في شرفها ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لاعجب كثيرا من قول اصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ارباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر وصح وظهر كان ساير الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس او سكوت اما يتكلم يا قوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والحديثي والصوفي قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم ان القوم قد احدثوا لانفسهم اصولا وجعلوا ما يدعونه محمولا عليها ومسا ولا من عرضها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصد منهم مرة وبغير قصد منهم اخرى قال وكان يصل هذا كثيرا بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس بعلم انك لو لقيت في البادية شيخا بدويا قحا محرما لم يحضر يا ولا جاور اعجميا ولم يفارق رعيه الابل وانتشاث المناهل وهو على تبجح هيئته التي لا يشق غباره فيها احد منا وان كلف فقلت له هل عندك علم لقال لا هذا وهو يسير المثل ويقرض الشعر ويسجع السجع البديع ويأتي بما اذا سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه ادبا ورواه وجعله



حجة وكان يقول هذه الاشياء العلوم هي قشور الحكمة وما يكثر منها على غاية الزمان لان القياس المقصود في هذه المواضع والدليل المدعى في هذه الابواب مهاطل يسير من البرهان المنطقي والرمز الالهي والاقناع الفلسفي وقد بين هذا الباب ارسطوطاليس في الكتاب الخامس وهو الجدل كل ما في الامكان من التعليق به والاحتجاج منه مع التموية والمغالطة بل كثير من المتكلمين لا يصلون الى غايات ما كشفه ورسمه وحده ونصه واوضحه وابان عنه وان انضوا مطيهم وابلوا جهدهم سوى ما اتى عليه قبل هذا الكتاب وبعده بما هو شفاء الصدور وقرة الاعين وبصيرة الالباب والكلام في هذا طويل

٤٩

مقابسة اخرى قال يحيى بن عدي الحركة صورة واحدة لكنها توجد في مواد كثيرة ومحال مختلفة وبحسب ذلك تولد اسماء مختلفة وقد يظن من اجلها انها في نفسها ليست واحدة وان لها اخوات ونظاير والبحث الفلسفي قد اقرن واحدة بواحدة على ما دل الاسم عليه في الاصل وذلك انه يقال الحركة كون وفساد ونمو ونقصان واستحالة وامكان وانما تباينت هذه له اسماء لمعان تحققت في النفس بالاعتبار الصحيح فالحركة في النار لهب وفي الهواء ريح وفي الماء موج وفي الارض زلزلة هذا باب كما ترى قد حصل في الاستقصاء ولم يغادر منه شيء ثم ان الحركة بعد ذلك في العين طرف وفي الحاجب اختلاج وفي اللسان منطق وفي النفس بحث وفي القلب فكر وفي الانسان استحالة وفي الروح تشوف وفي العقل اضاءة واستقصاء وفي الطبيعة كون وفساد وفي العالم باسره شوق الى الذي به نظامه وبجوده قوامه واليه توجهه وبه تشبهه ونحوه تولهه وتدلهه ثم قال وهذا ابين الحجة وكل شاد من الفلسفة شيئا يسلم هذه الاشارة ويتوصل بها الى ما هو من جنسها اقتداء بما يتراءى منها ويشيع عنها والكلام في الحركة في غاية الشرف لانه دال على كل ما قد اشتمل العالم عليه من العلويات والسفليات ولا مانع من تقصيه الا العجز عن حمله والكسل عن بعضه وبين هذين ذهاب العلم وضلال الفهم وهكذا احكم من قلت دواعيه الى الشيء وكثرت صوارفه عنه الى الله نلتجي فيما دهمنا وفيما ابتلي بنا من غيرنا فما اخسر من لاذ به في السراء ولا خاب من عاذ به في الضراء انه نعم الرب والكافي والمعين والكالئ والمرشد والناصر به يوجد كل مطلوب ويملك كل محبوب وينجي من كل اذية ويتعرى عن كل رذيلة لطيف التدبير عجيب التقدير خبير بجميع الامور لا تتكرر ذاته ولا يدركه كنهه جل معبودا وعز موجودا مشهودا

٥٠

مقابسة اخرى سئل ابو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من امور الغيب وعن التنجيم وما يقدمه على احكام المستقبل وعن النبوة التي هي في محلها الاعلى ومكانها الاشرف فتصرف في الجواب احسن تصرف على سعة من اللفظ والمعنى ولكن لو نقلت كثيرا منه لنسبوه للكفر وقلة العناية ومقدار الحاصل منه قد اثبته في هذا الموضع خوفا من ان يذهب نسيا نا فان وافقني فيه معاند فحاصلة واوحصلت لي حالة محتملة وما علي الا الجهد وبذل الطاق واذا اعذرني المتكلم المنصف لم احفل بالمتعنت المسرف والله يعين اهل الحق بلطفه قال الكهانة قوة الهية توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية واسباب فلكية واقسام علوية فاذا انتوسطت صارت في مصاف البشرية والربوبية فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيرا الى غيب امور الدنيا والى غيب امور الاخرة على حد يكون على سواء والغالب مع ذلك لامور الدنيا لان الانسان بالطبيعة اكثر منه بغيرها في الاعم الاغلب والشايع الاشمل فان تحدرت هذه القوة قليلا كانت الاشارة الى امور عالية شريفة ومحل النبوة بين ابناء هذه القوة بالترقي والتحدر وكلما كان التباس النفس بالمزاج الموافق وكان النور المقتبس من هذه القوة اسطع واعلى فعلى هذه قوة المنجم لانا

الكواكب تتبعها ضعيفا لان الالة لا تساعده والصبر لا يوافيه وذلك انه يتلقا هذه الامور المنتشرة من تلقاء
ومن ناحية اختياره وقصده ويخبر وليست قوى الكاهن كذلك اعنى ليست تتبع بل هي
كالالقاء والوحي والسانح والطارى فان اجتمعت القوتان اعنى قوة التتبع بالصناعة وقوة الاقتباس بالكهانة
ظهر له كل امر عجيب وسمع كل قول غريب ثم قال وعلى ما تبين فان الكهانة اقوى اذا كان صاحبها لا يشوبها بشئ
من الحس والقاها على صفائها ونقائها لان قوتها تكتسب من المحل الاعلى بنسبتها بالعلة الاولى تامة وقوة
صحيحة واضحة قلت له فهل يخطى الكاهن كما يخطى المنجم فقال نعم وليس الخطا محالا منه لان قوته لا تبلغ
الغاية في الخلاص بل بسبب تركيبه الذى هو سبب سنحها له ما يحاوره بنفسه قال له ابو العباس البخارى فهل
يخطى صاحب النبوة قال لا ولكن يسهو كما في حديث ذى اليدين وسهوه لا يقدح في الحال التى رشح لها ووشح
بها وجعل سفيرا الى الخلق من اجلها بل يحرس حراسة ان لم يقف عند كل الظنة لم تطلقه كل فرقة قلت له في هذا الموضع
فهل يخطى بقوة النبوة من غير ان يستقرها ويعرض للخلق من اجلها فقال لا ولكن يعرض له خيال كما في حديث تويج
نخل الانصار ثم رجع عن رايه وقال لهم انتم اعلم بامور دنياكم ولا مانع من ذلك ولولا هذه القوة التى على حلو
بها ومأتيها في اشخاص العلماء والبررة ما كان يصح حدس ولا تصدق نفس ولا يتحقق ظن ولا يتوضح وهم بل هذا امر في
غاية الغلبة والظهور حتى في كثير من انفس العوام ثم حكى هذا الفاضل ان رجلا كان له خادم وكان مكاريا صاحب حمير
يغدو مرعليها غلمان ويثق به في عمله تجار كبار وانه في بعض طرقه واسفاره سيب الحمير وطرح الاثقال وقال لها خلق
من شاء ما شاء وعاد الى بيته على وله شديد لا ينطق بحرف ولا يتعلق بامر ولا يستوضح خيال له شئ فساء اهله ذلك وتمعزوا
فعاتبوه والحوا عليه فلما كان في بعض الايام وقد احترسوه بكل قول ودهوه عن كل قوس توجه نحو الحايط وقال
يا قوم ما لكم ومالى وما هذا التعجب والاكثار اما رايتم من كان قاعدا على مزبلة فنبعت من بين يديه عين صافية
بماء كالزلال عذب حلو فشرب منها وتبجح بها وعاشت نفسه بحياة ورقتها وكانت سبب ريه الذى لا ظمأ بعده
وطهره الذى لا دنس معه هذا تمام الحكاية قال قائل عند هذا الفصل لابى سليمان حدثنا عن قلبه في هذا الموضع
فانه قد جرى ما لا مزيد عليه ولا تقصير معه ولا بد من انتهاز كل فرصة يحتملها هذا الباب فقال الكلام الذى يلتقى به
صاحب هذه القوة يظهر محتملا للطعن ومحلا للتهمة وطريقا الى الغاية الشنيعة فقال هذا بالواجب ان صاحب هذه
القوة يرسل الكلام ارسالا بجدة قوته مرة وبجموده هامرة وبتوسطها اخرى ولها في نفسها شان بالاضافة الى مزاج
صاحبها بل بالاضافة الى كل حال عارضة والى كل سبب واقع والسنة عاملة عليها والبشرية جارية على خاصتها فيخرج
ذلك الكلام بين مراتب ثلاث في الغاية التى لا غاية وراءها وفي الوسط الذى يعتدل فيه وفي الطرف الادنى
وفيما بين ذلك كثير كالارجح والانقص والاقل والاكثر والتاويل يركب منشورها والظن يسرى في اطرافها والقالة
تجد سبيلا الى التشنيع عليها فلذلك واشباهه يكون ذلك على ان هذا اذا تامل بالنصفة مقيسا الى الطبايع
المختلفة والعادات المتباينة والاعراض المتشعبة كان في نصاب الحكمة ثابتا وعلى مدارجها جاريا والى اصولها
وفروعها نازعا ولولا ضيق اعطان الناظرين في هذه الغوامض عن التثبت والانصاف لكان يتجلى هذا كل
التجلي ويزول عنه الخلاف كل الزوال قلت لابى سليمان اليس لو صفت الحال هاهنا من عارض خطأ و
سانح تاويل ومضروب مثل كانت ابلغ في المعنى وانفى للتهمة من القذى قال بلى ولكن ليس كل ما شهد به

العقل بصفائه وطهارته وبعده من الدنس والدرن فى افقه وعالمه يجوز ان يوجد ذلك على كماله فى عالم الحس المشوب
الكدر الذى لا ثبات له ولا مستقر وكيف يجوز ان يوجد كل ما هو بالقوة فى كل شيء بالفعل فى حال واحدة كانك تريد
ان تعرى البشرية وهذا ما لا يكون ولا يجوز ان يكون بل يتفاوت مراتب اصحاب هذه القوة بحسب نصيبهم منها حسب
اقسمت عليهم فتحلوا بها على مقادير مزاجهم وطباعهم ونهوضهم واحتمالهم وذلك التفاوت هو الذى يعلى هذا الحال
عن هذا ويحط شان هذا عن هذا الى اخر افق الانسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريفة ثم ان الاخلاق و
الالفاظ تابعة لها على ما يبدو ابه من ضعف العقل والقوة والبيان واللغو والتوسط ثم قال والبلاء الاعظم فى امر الانبياء
ان من الناس من ظن بهم انهم كذبة اصحاب حيل ومنهم من يظن انه لا يجوز ان يقع منهم شيء من القول والفعل يتعلق
بما يوجب التهمة ويجلب الشك وكان وراء هذين الرايين من هذين الصنفين القول الحق الذى لا يكون بعده تلبيس
ولا تاويل وذلك انه ينبغى ان يعلم ان الشخص المخصوص بهذه القوة على الدرجة بها رفيع المكان معها ما دام يخبر بها
وعنها ولا يمزجها بغيرها فانه حينئذ ينبئ عن اعيان الامور وقلوب الاحوال وعواقب الايام فاما اذا عاد الينا مفارقا
للاقتباس اخلاقى عادة ذوى الاحساس فهو كواحد من ضرباته ولذا امر ان اصاب فبفطنته وان اخطا فبفطرته لانه
فى مسلك غيره من البشر ومسلوب من الطين الاول ذو طبائع اربع متعادية وعناصر متشابكة لا فرق بينه و
بين غيره البتة ما دام الحال على ما وصفنا وحلّ بنا لما اذا انبعثت القوة بسلطانها وانبجست النفس ببرهانها فان
هذا الشخص ياتى بكل ما يهدى العقول ويصلح الاحوال ويقنع النفوس وينظم المصالح ويقوّم الاخلاق ويهذب
الطبائع ويكون نور العالمين ورحمة للخلق اجمعين ثم خرج من سياحة هذا الفرق بين الشريعة والفلسفة وحضر
الجماعة المساء ولم يستوف ذلك على حقه ولعلى اعود على هذه المقابسة فاتى بما يكون محيطا اكثر قوله فى موضع اخر عن
غير قصد يطلب جدل بالكلام الذى يعقله اوله باخره وساء تاليفه من جميع حواشيه وبان التقصير فى نشره وروايه
على انك ادام الله حياتك لو علمت على اى حال نقل هذا القدر وفى اى وقت قلب ومع اى شغل لاستكثرت
قليله وحمدت الموافق له وما اكثر ما اخذت نفسى بتحويل ذلك كله الى نمط اخر يطول افق من هذا الطراز واخلق
اشد من هذا الاحتراز اذا اذن الله بروال ما همّ النفس والبال والخسار ما دهم الصغار والكبار بمنه الشايع
وفضله المشهور **مقابسة اخرى** قلت لابى سليمان لم قيل تقرير لسان الجاحد اشدّ من تعريف قلب الجاهل
فقال لان تعريفك يوصل الى قلبه مرادك من غير ان يقدر على محاجزتك بالمنع والامتناع وذلك انه لا حجاب على قلبه
ولا حاجز دون عقله وليس هكذا تقريرك للسان لانه يشكر بما يعرف بقلبه ويميل الى البهت شرادا على الحق وذهابا
مع العنت واللسان بطّا وعد على السكوت والقلب لا بطّا وعد على الجحود قيل له قد يكون دون القلب يضا لكن الجهالة
وغطا العبارة وضباب البلادة فلا يكون تعريفك موصلا اليه مرادك فقال متى كان الامر على هذا لا يكون قلبه جاهلا
انما يكون بما يرد عليه جاهلا وانما استقام الكلام الاول على قلب عرف فعرف فكان التعريف اسهل على القلب من
الاقرار على اللسان واستشهد فكذب فكانت ذات برهان واضح فمن المحال ان يقال بعد هذا قد يكون
دون القلب مانع كما يكون دون اللسان مانع لان ما حلّ دنا به المسئلة قد فصل الحال وبين المراد **مقابسة
اخرى** سمعت غلاما حدث ببغداد يقول السماء هي الجسم الذى فيما بين نهاية كرة فلك القمر التى تلينا الى نهاية
العالم وجميع اكر السماء على ما صح عند الحكماء تسع اكر اقربها الينا كرة القمر وسمعت بعد هذا ابن بكير يقول انه

٥١

٥٢

ذلك القمر فلكان هنا سبب المد والجزر يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين وكان هذا من اوائر التي تفرد بها ولو اجلنا حكاية موافقه على شيء منها وخاصة هذا الراي ولانه ليس لنا في هذه الصناعة مدخل ولا منفذ لم نقصد الرد عليه ولكنا عجبنا من نحا الفئة الاولى الذين قد اقاموا البرهان على خلاف دعواه والصناعة برهانية مليت شعري اي برهان قام له على هذه الدعوى والبرهان معروف وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا حاملة ولم ايضا اشياء اخر انشأها من تلقاء نفسه وانتحلها ودعا اليها وأعجب بها اعجابا شديدًا والطبيعيات الالهيات قد ذكرناها في رسالة الى بعض الناس ولهذا الاعاية في حكاياته ههنا ومات هذا الرجل اعني ابا سعيد صاحب هذه الاقوال لسبع خلون من ذي القعدة سنة ٣٨٦ ست وثمانين وثلثمائة

٥٣ **مقابسة اخرى** قيل لابي بكر الصيمري لم لم يكن لكل مسئلة من العلم جواب واحد فقال من المسائل ما هو كذب ومن المسائل مسائل لها توجهات وحواشي فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات والحواشي وبحسن العبارات التي تجزل مرة وتضعف اخرى قال وبعد فالاشياء متشابهة متعاضدة اعني ان بعضها يشهد لبعض وبعضها يعضد بعضا لان الفيض الاول والجود العام واصلان الى كل شيء بقدر ما يلائم لكل شيء فاذا وقع بحث عن شيء مجهول وتعاضدت الادلة فيه وتشاهدت المشابهة له وتقاطرت النظائر عليه فصار الجواب من وجه مخالفا للجواب الآخر من وجه فظهر او اشكل كان ما سألت عنه وطالبت به وليس الحق مختلفا في نفسه بل الناظرون اليه اقتسموا الجهات فقابل كل منهم من جهة ما قابله فابان عنه تارة بالاشارة اليه وتارة بالعبارة عنه وظن الظان ان ذلك اختلاف صدر عن الحق وانما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق

٥٤ **مقابسة اخرى** سمعت عيسى يقول لو ان الاولين اجتمعوا في صعيد واحد واعتبر كل واحد قوته الباقين ليجدوا العقل طيبين مسهلين ووجدوا اشعاعه ونوره وشرفه وبهاءه ونبله وكماله وبهجته وجماله وزينته وفعاله لما بلغوا منه حدًا ولا استوعبوا من ذلك جزأ انظر الى من فقده ولم يوهب له شيء منه كيف يرفض ويخذل الحواك ويسترذل ويهرب منه ويستوحش من قربه وكلامه وحتى الذي قد ولده وفصل منه ويجري مجراه قال فاما الحياة فانها ينبوع للفرح والعلم واللذة والمعرفة والحس والحركة لا تمام للانسان الا بها ولا قوام الا معها ولذلك اذا انظر الى الميت استوحش منه وتبرم به وعوجل به الى القبر وابعد في الاقطار لان الحياة التي كانت مهالانس وربا طا بين النفس والنفس فقدت قال وتجري العافية بعد هذين مجراهما وذلك ان العليل متى طالت علته واشتدت الام عظمت تلكما عنه انس الناس به وهرب منه احدب الناس عليه فالعقل والحياة والعافية آثار في العمر الكبرى وودائع العطية الاولى وكل ما عاد لهن فعود ونهن وكلما فارقهن يسقط عنهن والحياة وعاء والعقل متاع والعافية استعمال ثم قال نسئل الله حياة طيبة وعقلا نافعا وعافية متصلة قيل له لم لم يذكر الفقر وهو من قبيل الموت ولا الغنى وهو من حيز الحياة وعاء فقال كل هذه الاشياء بعد الحياة والعقل والعافية فروع فاما الانسان بعقله يصبر على الفقر وبعقله يجتلب الغنى وبعافيته يبلغ الغاية ويكتسب السعادة والعقل في جميع احواله فيتصرف بثمرة الراحة مرة والصبر مرة ويريه الحكمة فيما فشا سره ويؤديه الى السعادة في كل ما اقبل او ادبر لان العقل متى حل شخصا اضاءه وانارة ومتى فارق شخصا كدره واباره والكلام في العقل مضطرب جدا خاصة اذا ترنم بتمجيده من ونور الله حظه منه وصبغ كله او بعضه به وغمس ظاهره وباطنه فيه وبسط سدله ولحمته عليه ولا باس مع هذا الاعتراف بشرفه ان اكتب لك في هذا الموضع ما يحدو وحد ومحبته



الاريحية في نفسك ويشحذ ما كلّ من ذهنك وينزح ما غار من ذهنك ويفتح تغميض بصرك ويطرد سنة قلبك ويؤلف
بينك وبين حسنك اعلم ان العامة وكثيرا من الخاصة لا يعرفون العقل ولا يحققون حده ولا يتصرفون في وصفه و
يكتفون في معرفته بان يقولوا هو عرض او جسم او انه بتمييز هذا التمييز ودعا اجلها بتكلف هذا التكليف ويكلف
هذا التكليف وربما قال الحاذق منهم هو ماخوذ من العقال وسمعت البصري المتبرجحل يقول العقل هو مجموع علوم
هذه اللفظة والعبارة عن العقل اكرمك الله مقسومة على قدر ما يريك منه ويلحظ به ويؤكد السبيل اليه فاما يقال انه موجود
ومكشوف فهو سعة الكلام واقتدار القايل وتقريب للعرف وسمعت في بعض ما يقال ايضا في وصفه انه مطبوع
ومصنوع هذا قريب من الذي تقدم والذي يقربك من الحق في هذا ويليك الى اليقين ويلبسك جلباب السكون
ان تعلم ان العقل باسره لا يوجد في شخص انسي وانما يوجد منه قسط بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والموجود
في العامة واشباه العامة انما هو قوة متصاعدة عن الطبيعة قليلا بعد التباسها بها قد فاءت عليها بظل النفس الناطقة
على ضعف دون ضعف وتزايد فوق تزايد وبها باينوا كل حيوان دونها مباينة تامة من وجه وضارعوا مع ذلك
كل حيوان دونها مضارعة مختلفة من وجه فاما وجه المباينة فظاهر بالشكل والتخطيط وانتصاب القامة وساير الخواص
الدالة على ذلك فلم الجزء الذي هو للجنس بالنظر المنطقي واما المضارعة المختلفة فمعترف بها بشهادة التصفح وثمرة
الاستقراء الا ترى ان الانسان يوجد له زهو كزهو الفرس وتيه كتيه الطاووس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن
الببغاء ومكر كمكر الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعيافة كعيافة الغراب وجراة كجراة الاسد وجبن كجبن الصفرد
والف كالف الكلب واشياء من هذا النحو تكثر وهي تجاه العيون وازاء العقول فقد بان ووضح القدر الذي حصل
لهذه الطايفة وما هو وكم هو بهذا التعريف والتمثيل ثم ان هذه القوة قد ترقى ترقيا بعد ترق حتى تلتبس بالنفس
الناطقة التباسا تاما الا انه يكون معها ظل من الطبيعة على قلة وكثرة وزيادة ونقص فيكون الصواب اغلب والعرفان
اقرب والوجدان اكثب والثقة اكثر والاستبانة ابراخص وهذه هي قدر ما حصل للجميع من فضل عن العامة في
حاله وعلمه ثم ان هذه القوة تصفو في تلك الخطط والمعاني التي هي العقل فيلحظ صاحبها الامور بحقايقها مستوعبة
بحدودها مخلصة من موادها على خاص ما لها من بسايطها وهاهنا يقال ان الولاية للخير الالهي والمعنى الربوبي
وعند ذلك تكون القوتان الاخريان ضعيفتين اعني قوة الشهوة وقوة الغضب وبالجملة تكون الطبيعة معزولة
وحكمها الحكم بعض الرعية المسوسة بعزة السلطان الملك العادل وهذه حال من وصل اليها وحصل عليها فقد
اوفى على رياض القدس وجاز في حاير النفس وتقى من ادناس الانس وذكرت هاهنا كلمات تلتاط بما سلف
كنت سمعت ابا سليمان تناقل بها في عروض حديثه عند طيب نفسه قلت له لم نسمع من المجنون الحكمة بعد
الحكمة فقال اتسمع من الذي ليس بمجنون الحماقة بعد الحماقة فالبادر من هذا كالبادر من ذلك فقال
له البخاري فما هذه الاشياء وما الجزء فيها وما العلة الجالبة لها فقال المجنون من جنس العاقل فيحق هذه المشابهة
ما ينطق بالفايلة ويسبق الى الحكمة ويطلع على البديع وكذلك العاقل من جنس المجنون فيحق هذا الشبه ايضا
ما يهذي في وقت ويزل فاخر وينطق بالخطا وينصر الباطل وهذا منسوب للذي فيه من حصة الهيولى بل
منه هذا النقص ولذلك القسط الذي فيه من صفة الصورة يبدر منه ذلك الفضل الا ان هذين البادرين
في هذين الشخصين لا يرفعان الحالين الظاهرين على الشخصين اعني ان المجنون بقدر ما بدر منه لا

عقلا والعاقل بقدر ما بدر منه لا يكون مجنونا ثم ايضا جميع العقلاء والمجانين مختصين على هذا المنهاج ثم قال فهذا
الذي يقول به اهل الكلام في طرايقهم ليس بعقل وانما هو شبيه به او شيء معه ظلله او حكمة او خيال ولهذا ما غالطهم الهوى
واستحوذ عليهم التعصب وحسن عندهم التقليد ودب في نظرهم وجدلهم اللجاج والضجاج وانفتح باب الحيرة عليهم و
سد باب اليقين عنهم قال ولهذا قلت الفتهم وكثرت تهمهم وصار دأبهم التكافؤ في الادلة متجاهدين ومتسايرين على هذا وجدنا
اعلامهم وكبراءهم ولولا ايثار التقيا لذكرت لك اعيانهم واسمائهم سمعت العبادي بالري سنة خمسين يقول طبع العقل على
ان يشهد الباطل كما يشهد للحق ولهذا اختلف العقلاء في جميع امر الدين والدنيا وهذا ابقاك
الله كلام خبيث وقد تكلمت عليه في كتاب النوادر مع جميع علائقه وغواشيه ولولا ذلك لكان
يجب ان لا يثبت هذا القول هاهنا على وجهه ولعمري ان عقله وعقل ضربائه كذلك ولا ازيد على تهجينه بما يخرج
عن حد الادب المرضي وتزايل احكام الخلق الذكي وقد جرى هذا الكتاب في ترتيب العقل وتحقيق المعقول بلوغها
الى ما يكون به العاقل عاقلا ومعقولا ما يشفي الغلة فانتبه واسعد به **مقابسة اخرى** سئل ابو سليمان فقيل
له لم وجدنا فينا شيئا لا يبرز الا بالروية والفكر والتصفح والقياس وشيئا بالخاطر والبديهة والالهام والوحي والكلفة
حتى كانه كان حاضرا بنفسه مترصدا للبروز فقال لان البديهة تحكي الجزء الالهي بلا انبجاس وتزيد على ما فوق
عليه القياس ويسبق الطالب والتوقع والروية تحكي الجزء البشري وكذلك الفكر والتتبع والاستمداد والتوقع فمن
اجل انقسام الانسان بين شيء ينبعث به مشتاقا الى مطلوبه وبين شيء يبعثه شائقا الى مطلوبه ما وجب انه يكون
له روية وهي به وبديهة هي له وكان يقول ولهذا لا تتوفر القوتان معا بالانسان الواحد اي لا يوجد الانسان
غاية في البديهة غاية في الروية لان احدى القوتين اذا اشتغلت قمعت الاخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى
قلت له فاي القوتين اشرف فقال كلتاهما على غاية الشرف الا ان البديهة ابعد من معلق الكون والفساد واعفى
عن ضروب الاجتهاد والاستدلال والروية الصق بكمال الجوهر واشد تصفية للطينة من الكدر ثم قال والروية
والبديهة تجريان من الانسان مجرى منامه ويقظته وحلمه وانتباهه وغيبته وشهوته وانبساطه وانقباضه
ولا بد من هاتين الحالتين فمن ضعف فيهما فاته الحظ المطلوب في الحياة والثمرة الحلوة من السعي فقال ليس
حكمهما في اللسان اظهر من حكمهما في القلب فان للقلب بديهة بالسانح وروية بالاستقرار احدهما في حيز الهيولى
في حيز الصورة ولما كان الانسان متقوما بهما كانت نسبته فيما يفزع اليه على حد حصته فيما تاهل عليه ثم قال
على الانسان حالات بحسب المواد الحاضرة والاسباب المؤثرة والقابلة تعتدل بديهته ورويته فيهما ويسبق احدهما
ثم يستمر في ذلك الاستمرار ولا بد من ذلك السبق وهما قوتان الهيتان الا ان احدهما متصلة والاخرى واصلة اليه
وليس كل متصل به ينفصل بسهولة ولا كل واصل اليه يسر بعثه ثم قال له في هذا الموضع ابو زكريا الصيمري الكامل عزيز
قال لم وتدري لم قال افدنا ابقاك الله على عادتك ولا تتدمنا قصصنا بمطالبتك قال لان الكون والفساد واسطة
لهما فالمقوم بهما لا كمال له لان الكمال في الوسط لا في الطرف ولكن ليس الرقي كالهوي ولا الهبوط كالصعود
ولا ما يزان به مثل ما يشان به ولا ما نعذب به مثل ما ننثاب عليه انك لعلى جلد لو كان لي منك مدد واندفع في هذا
وشبهه حتى فرق بينه وبيننا المساء فسقى الله تيك الساعات التي كانت تتضمن بهذه الراحات انظر الى بقاياها
المرسومة بالخط المدونة بالقلم المحكية باللفظ والله ان مشاربها في النفس والعقل والروح كانت تنسى كل



واغبط الخلد وربي بما تعلم براتك مفضل فيه على كثير من بني جنسك ولذا اترالناشين معك والضاربين بسهمك فلا تكثر الاسى على شيء هو الظل الزايل والحلم الباطل وعليك في حياتك بما يكملك في الحلة ويجملك من الادب ويفضلك من البيان وينيلك من الخلق ودع ماسوى ذلك فانه خلل

٥٨ **مقابسة اخرى** سمعت اباسليمان يقول نحن نساق بالطبيعة الى الموت ونساق بالعقل الى الحياة لان الذي هو بالطبيعة قد احاطت به الضرورة والذي بالعقل قد اطاف به الاختيار ولهذا الفرق الذي استبان وجب ان نستسلم لاحدهما ونتحرى للاخرة ولا يصح الاستسلام الا بطيب النفس فيما لاحيلة في دفعه ولا يتم التحري الا بايثار الجد فيما لاينال الا به والضروري لا يسعى له لانه واصل والاختياري لا يكسل عنه لانه غير حاصل لديك فانظر اين تدع توكلك فيما ليس اليك ومن اين تطلب ثمرة اجتهادك فيما هو متعلق بك ثم قال نحن نقضي ما علينا ونجتهد في نماء الدنيا ويجري الدهر بما شئنا او ابينا ثم قال ايضا في هذا الفصل على تقطع ملابق الحديث ومحادثة بعض الحاضرين الانسان مسجون بالضرورة والاختيار وعلى ذلك فمعاده الى غايته التي هو متوجه اليها من جهة اختياره ومتوجه بنحوها من جهة اضطراره وهذه كالحيرة ولا سبيل الى نجرها واستبانة كنهها يحق ما عرض لان الصورة عنونت الاختيار والهيولى رسمت الاضطرار والذي يكون بهما يضرب على حد بهما وتيرتهما وانما كان الاختيار منسوبا الى الصورة بحق الشرف وانما كان الاضطرار منسوبا الى الهيولى بحسب الخسة والانسان كالاناء لهما والتباسه بهما والتباسهما به ماعرض هذا الصراخ والعويل واحتيج فيه الى القال والقيل والله المستعان في كل ما عز وهان فليكن هذا مقنعا ان لم يكن شافيا والسلام

٥٩ **مقابسة اخرى** سمعت عيسى بن علي بن عيسى يقول لما كان الحس يحتف بالنفس الغضبية حتى ترى صاحبه تعدى محسوسة بالحياة كرجل يتعرض للسيف والحرب والمقام الصعب ليفشو ذكره ويطير صيته ويعلو شانه ويشار اليه بالاصابع ويتحدث بحديثه في المجامع لم يكن للعقل ان يشرق بالحق ويستنير بالخير ويلتذ بالصدق ويتحلى بالصواب وتستملي النفس عنه حقايق الموجودات ويشرف به على عواقب المطلوبات والمقصودات حتى يجد صاحبه تعدى معقوله بهذه الحياة المموهة الباطلة لينال حياة تامة كاملة دايمة خالدة لا اثم فيها ولا تبعة ولا كدر ولا مشقة هي حلة المهنة ونهاية عتيقة وطيبة وجديدة وحال ليس عليها بيان موصوف بلفظ مستور وموصوف ونتكلم بهذا عند حديث رواه في الوقت بعض الحاضرين زعم انه راى رجلا قد ضربه السلطان بالسياط بالجناية وانه كان يطاف به وهو عريان على جمل بين الاشهاد فبلغ مكانا وقف فيه الجمل لعارض فلا نامنه صبي وشاوره بشيء فقام المضروب هذا على ظهر الجمل قايما وبسط يده على حايط كان الى جانبه ثم سمرها بيده الاخرى بخنجر وبقي معلقا وعبر الجمل وهو كذلك فتعجب الناس من نفسه ومرارته ومن الامر الذي هجم به على ذلك وزينه في عينيه فافادنا بعقب هذا الحديث هذه الفايدة ومدادها على ان صاحب العقل الذي حظي بالرتبة الكبرى واشرف به على الغاية القصوى واستهان من اجله بالحياة الدنيا اجدر ان يفرغ عن خلايقه وتايره التي قد ارتبطته وورطته وانه اهلا بذلك وهو به اليق وعليه اقدر وفيه اغدر وان الصواب موكل به وناصر له بقدر ما كان الخطا موكلا بالاول وواضعا منه

٦٠ **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان وقد جرى كلام في النظم والنثر النظم ادل على الطبيعة لان النظم من حيز التركيب والنثر ادل على العقل لان النثر من حيز البساطة وانما تقبلنا المنظوم باكثر مما تقبلنا المنثور لانا للطبيعة اكثر منا بالعقل والوزن معشوق الطبيعة والحس ولذلك يفتقر له مايعرض استكراه في اللفظ والعقل يطلب المعنى فلذلك لاحظ للفظ

عنه وان كان متشوقا معشوقا والدليل على ان المعنى مطلوب النفس دون اللفظ الموشح بالوزن المحمول على الضرورة ان
المعنى متى صورت بالسانح والخاطر وتوفى الحكم لم يبل بما يقوى به من اللفظ الذى هو كاللباس والمعرض والاناء والظرف لكن
العقل مع هذا يتخير لفظا بعد لفظ ويعشق صورة دون صورة ويانس بوزن دون وزن ولهذا شقق الكلام بين
ضروب النثر واصناف النظم وليس هذا للطبيعة بل الذى يستند اليها ما كان حلوا فى السمع خفيفا على القلب بينه وبين الحق صلة
وبين الصواب وبينه اصرة وحكمها مخلوط باملاء النفس كان قبول النفس راجع الى تصويب العقل ثم قال ومع هذا
ففى النثر ظل النظم ولولا ذلك ما خف ولا حلا ولا طاب ولا تحلا وفى النظم ظل من النثر ولولا ذلك ما تميزت اشكاله
ولا عذبت موارده ومصادره ولا بحوره وطرائقه ولا ائتلفت وصايله وعلائقه وقال كلاما اكثر من هذا وقد اخرته
ان شاء الله لرسالة معدودة فى الكلام على الكلام ثمرة هذا بتمامه فيها مع ساير ما يكون لها بشرح تام وعناية بالغة ان ساق
الله اليه لى غايتها ورقع هذا الفساد الذى قد منع من كل ما تطمح النفس به من الخير وصد عن كل ما يكون سببا للسعادة
ولا ملجا الا الى الله فى كشف هذه الضراء واماطة هذه اللاوا فهو اولى بكل خير وميسر كل طالب وناصره

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان وانا اقرأ عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة ٣٧١ احدى وسبعين وثلثمائة بمدينة السلام ان
النفس قابلة الفضائل والرذايل والخيرات والشرور والاخلاق التى تعسر من وجه وتهذيبها وتاتى ذلك من وجه
اخر لعلة عجيبة وذلك ان الحيوانية منه للانسان اخلاقا وهى لا تستحيل ولا تتغير والناطقة ايضا اخلاق تترقى بها و
تحمل فما اخذ من الاخلاق فى طريق الطهارة والصفاء فهو فى قبيل القوى الناطقة وما صعب منها فهو قبيل الحيوانية
وليس يجب على الناظر المتحرز والمجتهد المتعزز ان ياس من صلاح ما يمكن اصلاحه لتعذر ما لا يمكن ذلك فيه وقد
شفى الكلام فى هذا الباب ابو زيد البلخى فى كتابه الذى سماه باختيار السيرة ومن استوعب ذلك بفهمه وتدبره و
عمل بحفظه من هذا الباب ابعد مرام وفاز منه باوفر السهام وعلى كل حال فالقصد مؤثر والاجتهاد مثمر والراى منتقى
والطريق جدد والشوق باعث والنزاع متصل والنداء عال والاستجابة ممكنة والتقرير اخذ الاهبة وتقديم
العدة فلعلك ترتقى بطهارة اخلاقك وتهذيب سيرتك واصلاح حركاتك وتمييز نومك من يقظتك الى
معادن عزك ومعدن فوزك حيث لا حاجة ولا مذلة ولا كثرة ولا قلة حيث يكتنفك الفطنة والسرور ويعمك
الروح والحبور حيث لا تحتاج الى ذكر لانه لا يعتريك نسيان ولا تفزع الى طبيب لانه لا يصيبك داء ولا تتمنى
شيئا لانه لا يفوتك محبوب ذا المحل لولا ما ندع الخطيب المصقع والعاقل اللبيب دهرا ودهرا للتصنيف بحجته وزينته وشرفه
وكرامته ورفعته وسناه ولم يلم باد فى حقايقه ولا باخف ما يتشتت الوهم به وان اعانوا جنسه وفتحوا عليه ابوابا
فوق ابوابه وكيف لا تكون تلك الغاية نفيسة وتلك النهاية عزيزة وتلك العرصة مانوسة وتلك العقوة مقدسة ولا شرع
الا وهو مشوق اليها ولا عقل الا وهو يحث عليها ولا بال الا وهو منوط بها ولا لسان الا وهو اثر عليها ولا روح
الا وهو نازع نحوها ولا مفاوضة الا وهى مستراحة من اجلها ولا مثال الا وهو يتعلق به طمعا فيها فكل ما دونها
سراب شىء من دون تحصيلها بباب وكل تجارة فى غيرها خاسرة وكل امنية دونها خائبة والله لو ان احدنا حاول
وصلة بينه وبين احد يشرف بجاه عنده وعز بالربه وراحة يتعجلها منه كل عزم رجل وكل كد م وجهك مع
بقيته بزوال واضمحلال اذا نال وادرك كان غير ملوم فى سعيه ولا معذول فى غدوه ورواحه ولا يلحى الرأى
فى ملتمسه فكيف اذا قصر همه على طلب الزلفة فى دار الخلود ونزع الى مواصلة من به وجد كل موجود والسلام

٢

مقابسة أخرى هذه مقابسة آثرتها قولنا لأبي سليمان المنطقي ما احسن كلمات لبطليموس في الثمرة فانها كالشذر
المنتخبة والدرر الثمينة والأعلاق النفيسة ولقد شرحها ناس فادوا فيها وافادوا منها وما احوجنا الى اخراجهن
في الفلسفة الالهية والطبيعية فانها توعى وتحفظ وتروى وتلفظ وتصير كالجواهر التي تصلح للذاخر والاشجار التي تثمر
في كل ابان والمواد التي تخير فيها الانسان فقال خذوا الآن من ذلك ما يسمح به الوقت ويجود به واهب العقل فان فسح الزمان
كر عليه بالتنقيح والاصلاح وما يكون له كالشرح والايضاح ثم قال الطبيعة عش الكون والفساد والكون والفساد
ركبا البقا الكاذب والبلى الصادق والنفس مجال الفكر والوهم وهما بابا التمييز والذهن وللفهم العقل نهاية
الشرف والكمال به يكون نيل السعادة الكبرى من العلة الاولى والطبيعة كذوب لا تصدقك الا باكراه النفس والنفس
صدوق لا تكذبك الا باكراه الطبيعة والعقل رقيب يحفظ وشاهد يودي وثقة يومن فمن استشاره منتصحا اصاب ومن
اضرب عنه مغيرا طاح وخرج عن امانة الحق وظهر الفساد فيه فرق بفيت او يقيد فنظر احرا النفس ذلك
علمات بها يكون ويفسد ذلك وجود واحد به يبقى ويسعد انما دخل الخلل الانسان من ناحية اعتدائه في
عالمه هذا حتى نسي بطبيعته ما كان يزود نفسه من عالمه ذلك اعرف حقايق الامور بالتشابه فان الحق واحد ولا
تستغرك الاسماء وان اختلف فمقولات غير تام وفوت غير بلى وبطل غير ذهب وعدم غير محول وفقد غير
غايب فان السرور هو الفرح والغم هو الهم والمعرفة هي العلم والقول هو الكلام والبيان هو الايضاح لكن بلذة
ودرجة وهيئة وهيئة ومكان ومكان وزمان وزمان ومعرض ومعرض شكوك في هذا العالم في اغشية متكاثفة
بين احوال مختلفة على طرق محفوفة فاشكل عليك بلدك الذي انت منه فانتسبت في الغربة لبلد لست من اهله
واخلدت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت مرمالك فيها فاذا انبهت فخذ في اصلاح ما يرحلك الى مقرك حتى تستريح
من هذا القلق اللازم ومن هذا الطول القائم.   خذ عليك بذاتك ولا تبخل بها الا بال فيفوتك ملا
بد لك منه اعرف تركيبك ثم اطلب بدل بسيطك فان لكل مركب بسيطا اليه ينتهي است طينيا وانما انت طيني فانتفع
بما انت به منقوص انتسب الى ما انت به موفور شغلا لك في انفعالك في الاول والثاني وان عجزت عن ارتجاع ما فاتك
فلا تعجز عن حفظ ما معك ولا ينفعك الآن جهدك فبذلك تتصل الاجرام التي لا ينفعك الامكان وجد فان وجه
اليك وتوجه ورائك فتوجها امامك وتغافل عما وراءك فان الذي وراءك في حكم ما ليس لك فمتى التفت اليه فاتك
متى رجعت الى الآخر فبه الناموس الحق يعترف بالكثير مما يعرف به وانت مجموع معادن اذا انسبكت حصلت وان تركت
نسابت الصور غنية عن الانفعال والهيولى محتاجة الى الصورة فانفعالها على قدر حاجتها الصورة نوبة والهيولى
بحسب العلة الاولى معادن النفس اذ كانت خالصة والها اليه عزوة وهي اوثق من جميع الوثايق والاواصر
الانسان حي ناطق مايت فمن ابرز هذا الحد بالفعل كاحواه بالقوة لم يرتق عن ان يكون انسانا كيف تقلبت حاله
ومن تطاول الى احراز ما هو به ناطق على تهاون بما هو به حي مايت علا عما هو به انسان وصار جرما علويا و
جوهرا نقيا ولا مثال له عندنا الا المشترى وما هو في شكلة الهيولى في عالم الكون والفساد اقوى لانها في محل
عزها والصورة في عالم الحق لانها في معدنها كما انها الفلسفة حب الحكمة ولا يصح حب الحكمة الا بالجمع بين العلم
بالحق والعمل بالحق لا قرابة بين الحكمة والطبيعة فيما يؤثره الانسان اذا غلبت الصورة على الهيولى بطل حكمة الهيولى
العلم ثمرة العقل العقل سلم الى الله بذ الخير كد ورة الانسان موزون بكفتي العقل والطبيعة والرجحان بعد هذا

بالسيرة

بالسيرة المقتناة وكذلك النقصان الطبيعة بالرياضة خادم العقل وبالوضع منشئ الذي العقل النفس عقل بعد
الاستنارة والعقل نفس بعد الفكرة والطبيعة مميزة بالنظر في الاول محرفة بالنظر الثاني لا تبلى الهيولى ولا تبيد لكنها
ابدًا في الاحالة والاستحالة والتاثير والقبول والمتقوم بها هو المكفى بينهما لا فتور في النفس لا كدر في العقل ولا
حقيقة في شيء من العلة الاولى لان كل شيء بما هو به مخلوط بحكمة البارى وبما هو مشتبه به مرفوع الى البارى لانه حد
الاعتدال في عالم الكون والفساد لانه لا واسطة شرف الانسان في ترابه في الهوا والهوا اشرف الانسان من تركيبه هو
انفعال خسيس قبول الحق انفعال ايضًا ولكن في غاية الوجوب وفي ذروة الشرف وفي نظام ما ينبغي العلم شرح العقل بالتفصيل
والعمل شرح العلم بالتحصيل العمل عملان عمل القلب لا تملك الا احد طرفيه وعمل المباشرة انت مالك له فمتى حسن
ايثارك للحق صنع لك في الذى لا تملك لو فاتك بحق ما تملك الهيولى عاشقة للصورة مع المنافاة بينهما الا انها بها
تحل والصورة قابلة للهيولى لانها بها تحسن الا ان يكون المقوم منها وافر النصيب من الاول الخذلان كل الخذلان
في الحرص على سماء الحكمة مع مخالفتها الاصرار الشر مع تمنى الاقلاع منه زيادة في الشر العكوف على الخير مع الشك
خسران العاجلة والآجلة تمنى الخير في الظاهر مع ملابسة الشر والباطن معاندة تقبل الاهتمام بالخير مبدأ والاهتمام
بالشر غاية المعطى لا يتبع المعطى ولا العطا قيل له في هذا الفصل زدنا شرحًا قال محال ان تكون قوى الاجرام العلوية
في الانسان الجزئي تابعة في الوجود والبطلان لا يستجيب شكل المادة لطابع العقل فلذلك يوجد الزيغ في كل معقول
ومحسوس لحل لحل نقيض باليبوس فلا جرم متى وجدت عالمًا وجدته خفيفًا لمال ومتى وجدت موسرًا او
جدته خفيفًا لبصيرة فان ندر شيء فذلك خارج عن القياس كالعلم بين الناس ليلتقى الالهية والبشرية
فاذن لابد من سنن الالهية متصيرًا انسانًا وسلاليم وملاليق بين البشرية والالهية يرقى منها العاجز ويحل بها
الناقص لما اوجبت المغيرك لنقصك وشوقت الى من هو اشرف منك بنفسك فاكمل تغن واتق تبق واغضض
تبصر وانس تذكر واعرف تبجح وخاطر تحرس واعلم في الجملة انك داؤك ولكن فيك داؤك فاذا تسلط داؤك
على دوائك ذلك غار داؤك بدوائك انك واضح فلا تشكل ونيّر فلا تظلم للصورة اسرار لا يفهم الا
بتأييد العقل والهيولى خلاقة لا يتخلص منها الا بتتمة النفس العقل سرح النفس مرعاها فيه والنفس
قلب الطبيعة مستقاها منه والطبيعة صراط الانسان من لدغية حاكم الطبيعة الى النفس يحكم لك ويبلغ الى العقل
ما يفهم عن النفس يردك اعرف الشر لئلا تقع فيه جاهلا بر الشر شر ان شر نا شيء منك فانت قادر على
قمعه بموازرة الخير المؤثر عليه وشر وارد عليك انت محتاج الى دفعه بمعاونة اهل الخير الكارهين له الشر
عدم فمتى لبسته عدمت والخير وجود فمتى لابسته ظفرت وبقيت ومن خلط الخير بالشر وقف بين العدم
والوجود وساء عيشه ومن رجح به الشر باد ومن فاز بالخير نال السعادة ليس الشر اكثر من عدم الخير وليس
الخير اكثر من معرفة الحق والعمل به قد تعرف الشيء منكورًا وينسى مذكورًا فاما عرفانه فمن ناحية ظهوره و
غلبته واما نكرته فمن ناحية حجبه ووساطة الموجود فيه ظل المعقول بدلالة الواجب له وهذا يلم لان الموجود جلبه
لغيره منه صح توحيدك بالمعرفة وصف معرفتك بنفيها ما يخامر سرك هو الاول والآخر والظاهر والباطن والشاهد
والغايب اول بلا مبدأ وآخر بلا نهاية وظاهر بلا تحصيل وباطن بلا فكرة وشاهد بلا ملابسة وغايب بلا مشاهدة
واياك اودع سره وعليك اقام بره ومنك استعارك ولك اعارها اعارك ليكون ارجا منك ذلك او يكون

بل اذا جار عليك بدلك من الحيف ان تجحده وهو بيّنا غيك في ضميرك ويستولي غليك في ظاهرك ومن الجهل
ان قسمه بنقصك وتصفه بجدّ نفسك وتخبر عنه كما تخبر عما تركب عنك وفصل منك فيك لعمري فمن الضعف
ان تكون ذا طبيعة ثم تروم ان تكون ذا معرفة ولكن ليس لك ذلك بحال لانك متى محوت آثارها وجلوت
اصدائها ابصرت ما بين طرفك عنها وتسئل الفك منها او ترقيك الى المحل الاشرف الاسنى كن بطبيعتك
انسانا فاضلا وبنفسك جرما عاليا وبعقلك الها غنيا والطريق الى هذه الغاية ام ان حركت همتك وقويت شوقك
ونفيت الشك عن قلبك وصحبت اليقين بعقلك وهجرت الحس الذي يكذبك وواصلت الناصح لك ولزمت فناءه
واستعنت واعنت وعرفت واعترفت من غمس نفسه في غمار الطبيعة هلك وطاح ومن اجتلى نفسه بزينة
العقل طرب وارتاح ومن سما للغاية بجدّه وجعله نشر وباح ومن تهاون بتحصيل ما لا بد عليه خسر وناح لا يبعد
ما يرجح لديك عما يبهج لعقلك لا تتمن الموت طلبا للراحة مما انت مخنوق به مسحوب عليه دون ان تثق بما انت صائر
اليه فانك متى اهملت هذا النظر حقت عليك ان تكون استراحتك مما انت فيه بالموت طريقا الى شقوتك فيما بعد
الموت فمن اخس منك اذن لا عيب على من جهل النفس الفاضلة ان يخدم الطبيعة الجاهلة انما العيب على
من لحظ العيب في معدنه وشعر بالخير من متوجهه ثم اعرض عنه ساورا ورضي ان يرحل عن هذه الدنيا
حايرا بايرا افرق بين متحرك من كذا او كذا وبين متحرك من كذا الى كذا حتى يصفو عزمك في طلب ما لا بد
لك منه ثم لا تقف حتى يلحظ المتحرك على كذا او كذا فيه شروك الاعلى واليه كان سعيك الادنى والاقصى الطبيعة
شايعة في الاجسام ومحركة لها مبدية قواها فيها فاما النفس فانها تتحرك في الارواح النقية والجواهر الصافية
وهناك يبرز عينها بالحدس والظن والعلم واليقين والحق والصواب ثم العقل بعد هذا كله حركة اخرى في
البسايط العالية والغايات البعيدة وبهذا تنال السعادة ويستحق الخلود ويصار الى ما لا يحويه وصف ولا
يرسمه وصف هناك يقف الشوق عن الازعاج ويجاز الشرف كله بلا ممارسة ولا علاج حركة الطبيعة في الاجسام
نفس وموقوق وحركة النفس في الارواح الشريفة وشيء معشوق وحركة العقل في الانفس الفاضلة معنى انيق العفة
خليفة النفس الناطقة عند الطبيعة المغضبة والعدالة كمال للجميع صحة جسدك بازاء عفة نفسك وشجاعة
نفسك بازاء قوة جسدك وتمام جسدك بازاء حكمة نفسك وعدالة نفسك بازاء حسن جسدك فلا تقطع
بين هذه القرائن فيها شرفك واليها نوجهك انت من نفس وبدن تبيد بالبدن وتخلد بالنفس فاقصر
سعيك على ما يبقى ولا تلتفت الى ما تبيد معه انت صورة لنفسك وبدنك لا انك مستقيم من حقيقة وثبتها
من نفسك ومجاز داخل عليك من بدنك فوفر عنايتك على مستخلص حقيقتك من مجازك وتقضي به الى
شرف غايتك اخذ النفس من الكثر من اعطائها الطبيعة وتقبل الباري اكثر من فيضه على النفس بروز العقل
بالطبيعة اشد من استجابتها للنفس وذو النفس والطبيعة في جهاد دائم وكدح متصل يقبل العقل والفعل و
لكن في الافق الاعلى وشوق النفس نفعال ولكن في الرتبة الوسط وبث الطبيعة انفعال ولكنه في السياح الاول من
ذي الطبيعة كذب بروايدك الخمس الا اذا شهد لدعواها العقل الرضي كنت بدءا في حكم العدم فنظمت بعيدا
من العيب مشهودا له بالعجب فلست الا لامر هو اعجب منه فان شبهت معادك بمبدئك بشهادة الحس اخطأت
وان جحدته على ذلك فيوشك ان تكون مصيبا لك وجود بالطبيعة ووجود بالنفس ووجود بالعقل ومراتب الوجود

مخلوق

مختلفة وكالريشة وجودك الثاني على هذا الشرح وجودك الاول مكن الايشبه وجودك الثالث هذا الذي انت عليه الطبيعة
بسوس قوام البدن والنفس تسوسه واعى الطبيعة والعقل يسوس سكان النفس لنظام المحكم ولكن المنتظم متبدل
انت مسكن لغيرك فاجتهد ان لا يتحول عنك ساكنك كارها لك واعلم انه ان اصطفاك حولك معه الانسان الجاهل
والعالم المتجاهل عليل والموثر للخير حي صحيح اذا كنت تجد حيا تحكم عليه بالموت بسبب تقتضي لك فلا تنكر ان
تجد ميتا تحكم له بالحياة بسبب يقتضي لك لا تتخذ مراد الطبيعة مقيلا فانك ترتحل عنه اهدا ما تكون فيه استر
ما تكون فيه فبدنك طبيعي فتهاون به ونفسك عقلية فتوفر عليها احرص على ان تعلم جيدا الا على ان تقول جيدا وعلى
ان تهوى خيرا الا على ان تحب خيرا وعلى ان تعمل بما ينبغي لا على ان تدعي ما ينبغي فيك درة الحق فلا تحد عنها ومعك
رائد الشرف فلا تعصه والبر رشدك فلا تفت نفسك مالها العمر ملكت مالا تستحق فاحسن سياسته حتى تستحقه
في التجارب مرآة النفس فاستكثر منها فانها انجع في كل داء وابلغ من كل شفاء ان احتميت دامت لك الصحة وان
شرهت حالفك السقم وافضى بك الى الندم ما حيلة المتواني عاقبته حالرو لا ذم الواصد فرصته غب امره ارحم نفسك
قبل ان تسترحم غيرك فانها اذا رحمتها اكرمتك واذا استرحمت غيرك لم يرحمك فان رحمك اهانك وامتن عليك
فلا تنفك من غصة تهون عليك الموت وتسوقك الى العدم كن عاقلا حتى لا تغتر وخبيرا حتى لا تغر وفي الجملة كاملا
حتى لا تنقص فان قلت انى لي بالكمال فاعلم ان كمالك في نفي نقصك بما تعره لا بما يزيله لان نقصك من جهة التركيب
لا من جهة البساطة لا تنم بين الايقاظ ولا تغفل عن الرقباء ولا تقع عنها الملك بين ولا ترتج مالك اليوم الى غد
فان غدا ليس لك فان كان لك فان شاغلك عن يومك ساء ما منتك نفسك ان تنال لذتك وتبلغ شهوتك ثم تدرك بعد
هذا سعادتك ليتك اذا دفنك التراب وغسلك الماء ولطفك الهواء واحرقك النار وتقلبت بك الاستقصا وعلا سفلك
علوا ودرنك نقاء وظاهرك باطنا وصرت مقبولا بكل شكل ومرقى الى كل خصل ومجلوا على كل عين ومذكورا بكل لسان
ومتمنى بكل قلب ومعروفا بكل اصبع ومقدسا بكل مجد وملتجى في كل زمان وماويا الى كل مكان وموجودا في كل
اوان ومخبرا عنه بكل عيان كنت اهلا للبقاء والخلود والكرامة والغبطة ومشاكلة ما لا يزول ولا يحول ولا يبور
لا يجور ولا يصل اليك شيء الا ممزوجا ولا تصل الى شيء الا مكدودا الا ان الواصل اليك من العلو يخرق حجابا يتشبث
ما يمر به ويتعلق هو ما يختار عليه واما الكف الذي يصحبك فلانك في مركز يتطاول الى المحيط وهذه حال الخطر وغرره
الا ان يكون الجد صاحبك والتوفيق كافلك انت سماء فيك كواكب تزهر وارض فيك بحور تزجر وهواء وفيك رياح
تهب وجبل وفيك عيون تنبع اقصد بكثرتك قلة وبقلتك توحدا وبتوجهك بقاء سرمدا لا راحة لمخوف
دون الامن ولا دعة لراج دون المطلوب ولا سكون لمحتاج دون الغنى ولا غنى حتى تدرك المنى ما اجهل الطبيعة
في عمر لبلا انك ما الطف النفس في اهداء النصيحة اليك وما اشرف العقل فيما يجود به عليك اخرج عن الطبيعة
يخرج عنك اي لا تسمح لها بالهوى فانها لا تعتدل الطبيعة تستهوي ذا اللب الوافر وتخدع الحازم الموفور وتقل غرب
اللذة الجسور لها في البدن صلاح وفساد فقط اذا اعتبرت افعال الله وجدت القدرة في وزن الحكمة والحكمة
في وزن القدرة وفي بعضها تجد القدرة والحكمة خافيتين وفي بعضها تجدهما ظاهرتين فلهذا واشباهه اشكلت
المطالب وثارت الشبه واختلفت الطرق والمظان وصار الباحث وان كان نحريرا نقابا يزل من شق الى شق ويميل من
جانب الى جانب ولو استتب البحث على جلده واستتب القول على صلاحه كان العرفان على قدر الوجدان والبيان على

قدر العرفان انما اشكل المطلوب لانك اردت ان تجد بالحس ما لا يوجد الا بالعقل وتجد في العقل ما لا يوجد في الحس ولو رتبت كل شيء موضعه ورتبته لم يسم المطلوب ان يكون يقينا ولم يسم اليقين ان يكون مظنونا الا بعكس جدك في ترتيبه واحفظ نظامك منه فان تمامك بما في الطبيعة غير بطيء وتصفح بالنفس غير ملول ونل بالعقل كل ما تريد فبهذا تسعد وبه تدرك بقاء الابد مت بالطبيعة قائما لما تحيى بالنفس رفيعا بها لا تستشعر العقل ملتحفا باوساخ الطبيعة فانه يعافك ولا ينصحك ولكن توجه اليه ظاهرا من كل دنس عاريا من كل فساد ثم اسمع منه فانك لا ترى به الا الرشد ولا تجني الا الغبطة الاختيار مركب من قوى النفس والطبيعة ولذلك كان معنى الانفعال فيه بالواجب اظهر من معنى الفعل منه والامكان لانه في انتسابه الى النفس ذو صورة وقيامه بالطبيعة ذو هيولى وعلى هذا فنون الافعال كلها الا ما بان فيه وبينه عنها وفي هذا الكلام لعله يقع في موضع آخر مقابسة

٣٤

اخرى قلت لابي سليمان يوما لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وامثلة الالفاظ كما صفا ذلك في المنطق وقد سمعناك تقول غير مرة ان الشريعة اذا كانت حقا لا تكون كذلك الا بقوة الاهية يعاين النمط الذي قد ورد والنشر وصار عقد الديها ونحلة الجمهور حتى صار في غمار هؤلاء من يشبه التشبيه الفاحش ويشير اليه الاشارة الخفيفة فقال في الجواب قد قلنا مرارا في المذاكرات التي سلفت والمعاني التي جمعت وعرفت ان الكلام الذي يراد به استصلاح العامة واستجماع الكافة لا بد ان يكون مرة مبسوطا ومرة موجزا ومرة مستقصى بالايضاح والافصاح ومرة محجوبا بالرمز والتعريض ومرة مرسلا على الكناية والمثل ومرة مقيدا بالحجج والعلل وعلى فنون كثيرة لا وجه لاستيفائها اذا بان المراد في غرضها واثنائها واذا استقر هذا مفهوما وتوضح بيانا فالواجب كان ان يجمع ما يحويه الشرع من هذه الضروب ليجد الخاصي فيه اشارة تشفيه والعامي عبارة تكفيه فقال بعض العرب انا قد وجدنا للاوائل في التوحيد كلاما كثيرا استقام ولم ينتشر صيتهم اليهم ايضا ما اكدر على غيرهم وهذا يدل على ان ما ينطق به الناموس قريبا مما يرسخ في النفوس فقال انا لا اظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غايتهم افاضلهم وعرف حقيقة اقوال المتقدمين منهم بل كان في القوم من راى راي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين العاملين وهذا اذا حل لا يكون قادحا فيما نصصناه من القول في حقايق التوحيد الذي ظفر به خلصا الحكمة وفرسان الصناعة على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد اخلت بخواص المعاني في ابدان الحقايق اخلالا لا يخفى على احد ولو كانت معاني يونان تهجس في انفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل اغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضا نافعا للغليل وناهجا للسبيل ومبلغا الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز المورث عن الهيولى والضعف الثابت في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذا للخلق ومعاذا للعالم وهذا الذي سرى بين الجميع في الانقياد والطاعة حتى حصل هذا مستجيبا لما هو صامت له بطباعه وهذا اصابه الى ما هو مدعو اليه فانه وكنه هذه الغيوب معترف به في الجملة ومسلم اليه في التفصيل فقال له البخاري فعلى هذا اذا فما تقول في التوحيد فقال اما من اعترف بالوحدانية ثم شبه فقد رجع ما قال ونقض ما اعتقد واما من ذكر



اكثر من واحد فقد ضل عن الحق كل الضلال واما من اشار الى الذات فقط بعقله البرئ السليم من غير تورية باسم و
الطبيعة برسم مخلصا مقدسا فقد وفى حق التوحيد بمقدار طاقة البشرية لانه اثبت الانية ونفى الاينية والكيفية
وعلاه عن كل فكر وروية ثم قال لقد احسن من قال ان حاولت فأت فوتا بعيدا وان ازمعت جحوده بان فيك
موجودا مشهودا وكان ذيل الكلام اطول من هذا ثم تركته خوفا من جناية اللسان في الحكاية ونزوة القلم في الكتابة
وايثارا للمحافظة فيما يجب على الانسان اذا نشر حديثا وروى خبرا واثار دفينا واوضح مكنونا خاصة اذا كان ذلك
في شئ غامض ومعنى عويص ولفظ مشترك وغرض متنوع ينبو عنه كل قول فاش ويتجافى عنه كل نازع وان
اغرق

مقابسة اخرى ٤٤

سمعت اباسليمان يقول قال افلاطن ان الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا
اخطأوه في كل وجوهه بل اصاب منه كل انسان جهة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى الفيل واخذ كل واحد منهم
جارحة منه فجسها بيده ومثلها في نفسه فاخبر الذي مس الرجل ان خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة باصل الشجرة
والنخلة واخبر الذي مس الظهر ان خلقته شبيهة بالهضبة والرابية المرتفعة واخبر الذي مس اذنه انه منبسط
دقيق يطويه وينشره فكل واحد منهم قد ادى بعض ما ادرك وكل ما يكذب صاحبه ويدعي عليه الخطا والغلط
والجهل فيما يصفه من خلق الفيل فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطا كيف دخل عليهم حتى
فرقهم وكان يقول اعني اباسليمان هذا امثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لاخفاء بها عند من سمعها بتحصيل و
تأييد هابيان قال ولهذا لا تجد عاقلا في مذهب يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره
السابق الى قلبه والملايم لطبعه والموافق لهواه ولكن البارع المتسع المحصل له المزيد في السبق والفلج بالتدبير

مقابسة اخرى ٤٥

هذه مقابسة يذكر فيها نوادر سمعناها في الفلسفة العالية من ابي سليمان مفيدة واذا وهب
الله نشاطا وتمكينا عدنا الى نظائرهن فروينا هن فانها كثيرة نافعة غريبة سمعته يقول نزلت الحكمة على رؤس الروم
والسن العرب وقلوب الفرس وايدي الصين وقال ايضا انما يخرج الزبد من اللبن بالمخض وانما تظهر النار
من الحجر بالقدح وانما تستبان النجابة من الانسان بالتعليم والمعدن لا يعطيك ما فيه الا بالكدح والغاية لا تبلغها
الا بالقصد ومن نشأ بالراحة الحسية فاتته الراحة العقلية والعاجلة تتصرم والاجلة تدوم وقال الحرف
الذي يدعى في العربية وينسب الى الادب موروث من العرب وذلك ان ارضها ذات جدب والخصب فيها
عارض وهم من اجل ذلك اصحاب فقر وضر وربما دفعوا الى وصال وطي وكل من تشبه بهم في كلامهم
وطريقتهم وعبارتهم ارتضخ ما هو غالب عليهم من الجرب والاحتفاف الذين عليهما الفهم الا ترى ان الشبع غريب
عندهم والجوع مداوم منهم وهذه هي الحال التي عرفت من الحاضرة والبادية وقد زادتهم جزيرتهم شرا لكنهم
عوضوا الفطنة العجيبة والبيان الرايع والتصرف المفيد والاقتدار الظاهر لان اجسامهم نقيت من الفضول و
وصلوا بحدة الذهن الى كل معنى معقول وصار المنطق الذي بان به غيرهم بالاستخراج مركوزا في انفسهم من
غير دلالة عليه باسماء موضوعة وصفات متميزة بل فشا كالالقاء والوحي لسرعة الذهن وجودة القريحة قلت
له قد صنف ابو اسحق الصابي رسالة في تفضيل النثر والنظم فقال قد كان منذ ايام سالني عنهما فقلت له النثر
اشرف جوهرا والنظم اشرف عرضا قال وكيف قلت لان الوحدة في النثر اكثر والنثر الى الوحدة اقرب فمرتبة
النظم دون مرتبة النثر لان الواحد اول والتابع له ثان فقلت له فلم لا يطرب النثر كما يطرب النظم فقال لانا منطون

فلا يمنا اطربنا وصورة الواحد فينا ضعيفة ونسبتنا اليه بعيدة فلذلك اذا انشد نا تر نحنا هذا في اغلب الامور وفي اعم الاحوال
او في اكثر الناس وقد نجد مع ذلك ايضاً في انفسنا مثل هذا الطرب والاريحية والنشوة والترنح عند فصل منثور وفيما
يحدث بهذا الذي نصرناه والمعنى الذي اجتبيناه وان الكتب السماوية وردت بالفاظ منثورة ومذاهب مشهورة حتى
ان من اصطفي بالرسالة في آخر الامر غلبت عليه تلك الوحدة فلم ينظم من تلقاء نفسه ولم يستطعه ولا القي الى الناس عن
القوة الالهية شيئا على ذلك النهج المعروف بل ترفع عن ذلك وخص فعرض ما كانوا يعتادونه ويالفونه باسلوب
حير كل سامع وبرد غلة كل مصيخ وارشد كل غاو وقوم كل معاند وافاد كل لبيب واوجد كل طالب وخسا كل معرض وهدى
كل ضال ورفع كل لبس واوضح كل مشكل ونشر كل علم واباد كل شارد وقمع كل ردي وهذا لا يكون ولا يجب ان يكون
الا في الشخص المخصوص للذي يؤهل لنظم الكلمة المنتشرة باظهار الدعوة العزيزة في ايام السعادة المنتظرة بين خير
اعوان ثم يكون لهذا كله زمان محدود ينتهي اليه على السياج الاول مع العوارض التي تختلف من عجايب الزمان وآفات
الدهر فاذا كان كذا الكر على سالفه يتجدد يد شان شبيه بالدرس الى ان تعود نضرته المعهودة فتزول خلوقته العاتية

٤٤ **مقابسة اخرى** نعود في مقابسة اخرى الى اشياء لابي سليمان فناتي بها على وجهها ونذكر في هذه حكما سمعناها
من الحراني ابي الحسن وغيره . فقد كانت المجالس لا تنصرم الا من فوايد كثيرة فلسفية وغير فلسفية قال الحراني قال بعض السلف
من الحكماء الصلحاء والفضلاء العلماء ما تم فضيلة بالعلم على ان العالم وان لم يعمل حري ان تنزق نفسه الى حال من الاحوال المحاسن ما علم وحفظ
الجاهل منقطع النسب والعالم لم ينفع وان لم يعمل وليس فرك الجاهل والعالم كاسب للجاهل والجاهل كاسب للعالم قال ابن زرعة قال بعض القدماء
العقل والي على الفضيلة فمن اباها استحق لعلمه بلا اثرة اكثر رذيلة ومن اثرها استحق اسم الجهل فما كان مميز التركه العمل بدلا لسر
وقال الصابي قال الاوليون الشكر الاقرار بالنعمة للمعبود وجزاؤها بالحسنى في الضمير والقول والفعل فاما اجزاء الضمير
فالنية والمحبة والطاعة واما اجزاء القول فالثناء والدعاء والنشر واما اجزاء الفعل فالصبر والسعي فيما يرضي المنعم قال والشكر
ثلاث طبقات لمن فوقك بالطاعة والنصيحة ولاكفايك بالمكافاة ولمن دونك بالتفضل عليه والشاكر ان قصر عن ثلث لم
يشكر ويحتاج الى معرفة وطباع وعمل فبالمعرفة يعرف كنه النعم وقدر ما يجب عليه من الشكر وبالعمل يبلغ كنه ما هو عليه وبالطباع
يكون الدوام على ما وجب عليه والشكر مراتب فشاكر قصر عن قدر النعمة ولا عذر له الا ان يكون ذلك منتهى طاقته وشاكر
اقتصر على السوية فانا كفاء ما اوتي اليه وليس يحسن ان الحاق الزيادة وشاكر زاد تنفلا وكرما فهذه اعلى مراتب الشكر و
قال القومسي السلطان في تدبير الرعية كالشمس في تفصيل الازمان والجند كالرياح في التلقيح والعلماء من الجميع كالنبت
والحيوان والعوام في نقل الامور كالارض في حمل الانام وما يكون منه منافع الانسان وقال علي بن عيسى ليس يرى مجد الحكمة
الا من كان بصره عينيه في قلبه لا بصر قلبه في عينيه وما احسن ما اتفق لسان البدوي بهذا المعنى في نظمه السائر ما الفضل فيما
نريه عين بل هو فيما ترى القلوب وقال علي ابن عيسى قال افلاطن من اتصلت الحكمة بطباعه فتحتها واخرجت منها انواع البنات
المخالف لها في الشكل والقوة والصورة وقال غيره قال سقراط كل مصغر ليس بمجبور ما امكن منه الاختيار قال ابو سليمن وقد
سمع هذه الحكاية ما احسن ما قال بطليموس في كلماته في الثمرة حين قال انا اطلب المختار المختار لا الافضل فليس بينه وبين
المطبوع فرق وقد شرح هذه الكلمة في احواتها من الثمرة كاتب نطولون واربى على كل فائدة قلت لابي سليمان اذا كان في
الاختيار انفعال كما في الدخول لا يكون المطبوع افضل منه وان سميته مضطرا فقال قد وضح لك قديما ان الانفعال على ثلثة
انحاء فنحو يحيط به الفاعل من خاصية جوهره باستحالة صورته واختلال كينونته وضرب يتحرك به المنفعل على نفسه اما

تنفعل

نقصًا لما اجتمع او استحال بالمادة الحل عنه وضرب يتطاول به المنفعل الى ما هو فوقه مقتبسًا بالقوة شوقًا الى
القدرة جار على الشرك الواحد فهو بالقوة الالهية افضل من المختار ولكن شرف المختار عليه من جهة القدرة
الموهوبة له يتخير بها وفي هذا اعني التهليل وشرف المطبوع من جهة القدرة الموجودة فيه به ومر عليها
وفي هذا المعنى العيش وقال آخر وهو عيسى بن علي قيل لبعض القدماء كيف يكون المحرك ساكنا فقال في الحجر
المغناطيس الذي يحرك الحديد وكذلك الشهوة للبدن فان الحجر والشهوة ساكنان وكذلك المعشوق والعاشق
فقال القومسي وغيره ايضا من الحكماء البينة قول الأول انما يدرك الشيء من جهة علته المحيطة به فاذا لم يكن للشيء
علة فلا محالة انه غير مدرك وقال عيسى بن علي الملك يحق من ملك رقاب الاحرار بالمحبة وقال الصابي قال ثابت
بن قرة الخرافات توجد من اربعة اشياء وهي عجايب البحر وحديث السحر وحديث العشق وحديث الجن **مقابسة**
اخرى قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين البياض ينشر البصر لانه من جنس النار والسواد يجمع البصر لانه
من جنس الماء قال وقال آخر الفصل بين الجوهر والعرض ان الجوهر لا يقبل الزيادة ولا النقصان والعرض يقبلهما وقال
كل خير حسن وليس كل حسن خير وقال كلما فعلته النفس بالأدب فعلته الطبيعة بالعادة وفعله العقل بالتقبل و
فعله الباري بالجود وقال الغضب يتحرك من داخل الى خارج والحزن يتحرك من خارج الى داخل وقال بعض الأوائل
معرفة الدواب اولادها بالرايحة ومعرفة الطير افراخها بالالوان ومعرفة الناس بالصورة وقال متى كانت
الحركة بشوق طبيعي لم تسكن البتة ومتى كانت باختيار جاز ان تتحرك مرة وتسكن اخرى وقال سقراط ان لم تكن
لك استطاعة فانك تحرك غير محرك ثم قال ابو سليمان هو محرك اذا كان محركا لانه محرك لا محرك فقيل له قد نظن
بالباري اذا كان محركا ان يكون محركا لانه يحرك فقال لا يجب هذا الامرين احدهما ان في القسمة قد تبين ان ههنا
محركا لان في مقابلته محرك غير محرك والثاني ان معقولنا من قولنا الباري يحرك الاشياء لانها تنحوه وتتصل اليه وتتشوق
وتفعل به وتنفعل له لانه تقدس وعلا يوسم ما يوسم به اصناف ما تحرك او تحرك وقال بعض الاوائل العلم والعمل حدا
الفلسفة وكل واحد منهما بين ضدين فالعلم بين الصدق والكذب والعمل بين الخير والشر ثم قال هذه الرذايل
كلها اعدام هذا لفظه فمن الفها واستعملها وانقاد لها وغلب عليها فقد اعدم نفسه وعدمها وعدم معها ونحل
فيها والعدم حال سيئة مكروهة فاحشة لا ياتي عليها نعت وان كان بليغا ولا يحيط بها قول وان كان شافيا فاما
الفضائل فعلى خلاف هذه كلها هي موجودة ولها الوجود المستفاد من الوجود الاول فمن اقتناها واستعملها
وراض نفسه بها اليها واجرى عادته عليها ولان عريكته لها انقطاعا عن ما عداها وانقطع اليها وكل ما قضته
الازدياد منها بقي موجودًا بوجودها وجودًا لا بقاية على قدر اشتماله عليها وتصريفه لها وامعانه فيها فما
ظنك بحال توضح لك الفصل بين الموجود والمعدوم وترشحك لنيل ملك عظيم وتمليك للظفر بشان جسيم
وتوقفك على صراط الله المستقيم ثم قال وليس في التحلي بالحكمة غب كثير قد والله شاهدنا قوما يجهلوا الاماكثيرة
وركبوا اهوالا عظيمة لسبب اغراض هايلة واعراض زايلة ولسبب هوى سول لهم وقرين اغواهم واعتقاد
ردي غلب عليهم وشي محقير تعجلوه بشهواتهم وطلب السعادة باصلاح السريرة واتخاذ الصواب اهون من
ذلك اجمع فلا يصدنك عن سلوك هذه المحجة البيضاء امر مبهم ولا حال مستجمة فان فيها تدركه وتشرف عليه و
تنال الروح به خلفا كثيرا وفايدة عظيمة فلا تكل نفسك الى اختيار السوء والى قرناء السوء فانك ان فعلت ذلك

خسرت امينا منقطعا لا يعاد ا وتحرقت اسفا وتقطعت ندما وان فحصت نفسك واخذت يدك بيدك
واستمررت في امرك واستترت بدايك ورفضت كلا كلي عنك وعرفت المراد منك فزت فوزا عظيما ونلت ملكا ونعيما
وبقيت بقاء بلا انقطاع وسعدت سعادة بلا شقاء وصفوت وعلوت وعرفت وانفت وقدرت وظهرت وتجلت
وشرفت ولحظتك عين الجود غامره والتفتك الخيرات ظاهرة وباطنة واحدا لا ينقسم وناظرا لا يغمض وموجودا
لا يعدم وبينا لا يخفى وشاهدا لا يغيب وحاضرا لا يفقد وعلانية لا تنكتم ومتصلا لا ينقطع وحبيبا لا يقلى
ومعشوقا لا يخفى وموصولا لا يبعد وصاحبا لا يمل ومحبوبا لا يفترق وامنا لا يخاف وساكنا لا يقلق وناطقا لا يعيى و
صحيحا لا يسقم امر يجل عن نعت الناعتين وحال تعلو اقوال الواصفين وشان تدق على خبر المخبرين فاجمع اكرمك الله
بالقبول اطرافك وشمر الى الغاية ذيلك وكن رقيبا على نفسك فلا مشفق عليك سواك ولا ناظر في امرك غيرك وعلى الدعا
والتلطف وعليك الاجتهاد والسعي فما بعد نصح الداعي وقبول السامع الا نيل الاماني وبلوغ الامال

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين الوسط فيه الطرفان فان الماء الفاتر توجد فيه الحرارة والبرودة
ثم قال وهذا بيان قول الاوايل الانسان لب العالم وهو في الوسط لانتسابه الى ما علا عليه بالمماثلة والى ما سفل عنه
بالمشاكلة ففيه الطرفان اعني فيه شرف الاجرام الناطقة بالمعرفة والاستبصار والبحث والاعتبار وفيه صفة الاجسام
الحية الجاهلة التي لها يرتقي بشيء من الخير ولا فيها انقياد لما هو احرى من هذه حاله وشانه ومقره ومكانه ان يخلق
الى ما يعز به ولا يذل به ويوجد به ولا يفقد وينال به ولا يحقق وما اشقى من هذا حده يشرع التمكين والاستطاعة
والقدرة والقوة والتذكرة والتبصرة ان تردى من ربوته ويذهب في هوته وبقي فيها سيا حسيرا ومقيدا اسيرا بلا
فكاك ولا اطلاق ولا رحمة ولا اشفاق قال ايضا قال افلاطن من ملك منطقه سمي حليما ومن ملك غضبه سمي شجاعا
ومن ملك شهوته سمي عفيفا قال وقيل لافلاطن اي الامرين اعلا درجة ان يقول ما يعلم او يعلم ما يقول فقال ان
يقول ما يعلم لان مرتبة العلم فوق مرتبة القول قال وهذا كما قال ما تعلم فالقول تابع للعلم وهذا هو الحق ليكون العلم
اولا فاصلا وانما علم ما يقول فكان العلم مقصورا على قوله من غير ان يكون قائما بنفسه ثابتا في معدنه جاريا من
ينبوعه هذا اخر ما فهمناه عنه في هذا الفصل ولعل المطالبة بزيادة شرح ممكنة فان المغزى فيه لطيف في البيان
عنه عزيز وقال بعض الاوائل الانسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال اخر البخيل الغني كالحيا القوي
وقال اخر من الصورة والهيولى يكون الحد ومن الصورة والعلة يكون الايضاح ثم قال وهذا صحيح لانه لا وجود لشيء الا بصورته وهيولاه
فاما الهيولى بذاتها فغير موجودة وكذلك الصورة فكل ما يقوم قايما يتقوم بهما ثم يصير كذلك المتقوم صورة لاخرى محفوظة الاثار
والباطن الى الاولين الذين هما الهيولى والصورة ثم على حسب ما عليه الصورة في هذا المتقوم يكون شرف جوهره لانه يستفيد البشا من
الصورة والتركيب من الهيولى وذلك على حسب ما عليه هيولاه فيكون صفو جوهره وسيلا عنصره فكل حيوان غير ناطق عادم لشرف الصورية وكل حيوان
ناطق واجد لشرف الصورة الا ان الناطق ناطقان ناطق في الذروة وناطق في الوسط فالذروة الاجرام الناطقة
الحية النيرة العلوية والذي في الوسط الانسان الذي قد حوى بحده معنى النطق ويظهر منه هذا المعنى في الطرفين
بالفطرة التي له فانه يحس ويعقل والاخر بالرياضة المحمودة والالف الحسن والاختيار الجيد والقبول الدائم
ولما علت الاجرام الناطقة عن هذه المهابط التي انتصف فيها الانسان استغنت عن الرياضة والطلب والتحصيل بالكد و
والاجتهاد والاختيار ولما سفلت الاجسام الاخر التي هي في اخر الاطراف لم يطمع لها في ثمرة النظر وعاقبة الرياضة

وما يفيده الاختيار ويتوقع بالقبول وكما حصل الانسان دون الجواهر الناطقة كذلك حصل ساير الحيوان الذي هو
دونه دون الانسان الا ان خساسة ما تباعد عن الانسان من اصناف الحيوان اشد وابين لانها خساسة طبيعية لا طمع
في رفعها ولا رجاء في دفعها فاما ما جازه الانسان في مكانه الذي هو كالمنتصف من النواطق العالية النيرة الشريفة
الدائمة الابدية وبين ما سفل عنه من ساير الحيوان فهو على شرف الطبع في صلاحه واستجابته وانقياده حتى يجود اختيارا
ويذكو ذهنه ويطهر عقله ويصير ما هو في قوته كامنا باديا وما هو معجون في طينته ظاهرا وحينئذ اذا بلغ هذا
المبلغ علم انه ناجح من ناحية الطبيعة وانه متى نزع يده من يد الغاش ووضعها في يد الناصح ثبت نسبه الى الشرف
استقرت قدمه على الصراط وابصرت عينه كلما غاب ووثقت نفسه بالكرامة وارتاحت الى ما بين يديها من الغبطة
ولنبيت ان هذا الانسان في هذه المنزلة الصعبة والمنزلة المخوفة مما قد لا ينجح فيه الدواء ولا يسري اليه الشفا فيعطب
الذي من اجله صرنا نتنادى بشاهد التنادي ونتحارس في هذا العالم هذا التحارس ونتواصى هذا التواصي لئلا يختطف
النجاة الى مهوى البلاء ومعدن الشقاء قد والله لجأ الينا بالنجاة وصرح لنا بالحق ونصب اماما العلم وتلا علينا بيان
الرشد والغي ليكون تحاشينا على يقظة وبيان وتحولنا الى مقام دار امن وسلام ونحن كما ترى ساهون لاهون الى الله المشتكى
والسلام وقال ايضا ابو سليمان قال بعض الطبايعيين منزلة الكواكب من الشمس منزلة الحديد من حجر المغناطيس اما
تراهن اذا ابعدن تحلبهن اليها قال وهذا القول فيه نظر فقال ابو سليمان كل من لا يعرف ما يجب عليه فلا يعرف فقال
ليس هذا من كيسي وقال اخر للدين حجة لا يحتج عليها وللشبهة سبيل لا يعرض لها **مقابسة اخرى** سمعت

القومسي وابو بكر يقول قال بعض الاوايل الرقى باطلة فقيل له بل هي حق الا ترى ان الوعيد يقطع العرق وانما هي كلمات
تدخلها النفس على الطبيعة فتشغلها بتلك الكلمات عن عملها قال وهكذا تفعل الرقى اذا كررت على الانسان وقال ايضا
قال بعض الاولين في السياسة والاخلاق من ملك حقيق ان يحصن عقله من العجب ووقاره من الكبر وعفوه من
تعطيل الحدود وقال بقراط الحمية ان تدع الشهوة تقية فقال بعض الاوايل استضاءة الجسد من النفس كاستضاءة
القمر من الشمس واستضاءة النفس من العقل كاستضاءة النفس للنفس واستضاءة الروح من الطبيعة كاستضاءة
المركز من المحيط واستضاءة العقل من العقل الاول كاستضاءة العاشق من المعشوق وقد قال بعض الاوايل
هذا حق ولكن يقال هذا عدل بحق لان الحق او العدل وقد قيل لافلاطون فلان لا يعرف شيئا من الشر قال فليس اذن
يعرف شيئا من الخير قال فهذا مكشوف لانه يريد ان تكون الامور متميزة عند الانسان الفاضل فانه بعد تمييزها يختار
منها وفيها ما يجب ان يجتنب وفيها ما ينبغي ان يكتسب واذا استقرت عليه ولم يوضحها التمييز بطل اختياره منها واذا
بطل اختياره منها خيف عليه الهلاك فيها قال بعض الطبيعيين الدليل على ان الفعل غير الفاعل وغير المفعول الصوت
من اصطكاك الجرمين والنغم من اليد والوتر وقال بعض الاوايل الطبيعة والعقل مكان النفس والباري محيط
بكل ذلك وهو بكل مكان لا يخلو منه شيء وهو العالم بكل شيء لانه علة كل شيء ثم قال وهذا على السعة المعروفة والمجاز
المعتاد والا فقولك علم ويعلم وما اخبر عن ضرب من ضروب الانفعال والباري لا انفعال له بوجه البتة وقال قال بعض
الاوايل حد الشيء الصناعي خارج منه وحد الشيء الطبيعي موجود فيه قال وانما كان هذا لان الصناعي يصدر عن ذي
هيولى باداة جسمية والة عملية والطبيعي يبرز عاد الصورة نفسية باداة روحية والة لطيفة فالطبيعة من الالهة
لانها تستملي عما فوقها وتملي على ما يتصل بها وقال ايضا قال سقراطيس لو قبل الماء السكون لكان ارضا ولو قبلت

لان الحركة لكانت ماء ولو كان الهواء حاد الزوايا لكان نارًا ولو كانت النار منفرجة الزوايا لكانت هواء وسمعت ابا الحسن
الحراني يقول قرأت في كتبنا يعني كتب الصابئين اذا اردت ان تكثر النحل في مكان فضع نحلة من ذهب واجعلها في سقف
بيت النحل فان النحل يزيد ولا ينقص ولا يهرب قيل للقومسي لم تقبل النادرة ولا ترد فقال كان المعنى في هذا القول ان النادرة
ليست مملولة لانها غير معهودة ولا مردودة فهي لا تستحق الرد ألا ترى انها تعهد اذا اقتدرت ولها حدتان مقدمتها

٧٠ ولها حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة فهي لذلك ليست كالاخرى تدع هذه وتمل وتقلى **مقابسة أخرى**

سمعت ابا سليمان يقول من التمس الرخصة من الاخوان عند المشورة ومن الفقهاء عند الشبهة ومن الاطباء عند المرض اخطأ
الرأي وحمل الوزر وازداد سقما وسمعته ايضا يقول لا يجوز ان يصدر فعلان متضادان من جوهر واحد ولا يجوز فعل واحد
بالذات من جوهرين مختلفين بالذات وسمعته يقول من اراد ان يجود على الناس كلهم فلينو لكلهم خيرًا وسألته عن الفرق بين المعرفة
والعلم فقال المعرفة اخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية والعلم اخص بالمعقولات والمعاني الكلية قال غيره ولهذا يقال في الباري يعلم
ولا يقال يعرف ولا عارف وسئل عن الرطوبة واليبوسة فقال الرطوبة كيفية سهلة التشكل بالاشكال الغريبة واليبوسة كيفية عسرة
التشكل بالاشكال الغريبة وكل قابل لكيفية من الكيفيات فانما يقبلها اذا كان عادما لها وتكلم عشية يوم في التوحيد بكلام جال
ودق فقلت له هذا مشكل فقال اشكاله يدلك على وضوحه فلما خرجنا من بين يديه قال لي النوشجاني اراد ان اشكاله على
شواهد الحس تدل على وضوحه عند شواهد العقل لانه تجتمع ايضاح العقل والحس في معاني الاله وذلك ان الحس
يدرك ذوات الاشكال فيكون الشكل مدركا له بوساطة ذي الشكل والعقل قد يجرد الاشكال عن عواملها وموادها
فيلحظها ولكن يلحظها متميزة فاذا علا اللحظ عن الاشكال كما علا عن ذوي الاشكال حينئذ يصير العقل والمعقول
شيئا واحدا وينتفي كل شكل لاستيلاء الوحدة فيغتاض كل بيان لاستيلاء الحيرة فعلى هذا معنى قوله اشكاله
يدل على وضوحه في نفسه بحسب حقه الذي في ذاته وصفيت هذا المقدار بعد استفهام كثير ومراجعة شديدة لان الاشارة
غامضة والايماء خفي على سعة المواد وتوضح المقصد وقرب المأخذ وانكشاف الغطاء واستنارة المسلك واذا اراد
الله تيسير عسير وتقريب بعيد فعل انه ماجد وهاب وقال ايضا النفس تدبر اولي الالباب والطبيعة اولي الغفلة
والفكر في مرآة النفس يريها خيرها وشرها وظن العاقل كهانة وخدم الملوك خزان ارواحهم واشفاق الانسان يجب ان
يكون على فناء الزمان ومن احب ان يبقى في عالم الحس سليما من آفات الدهر فليغن عن عقله فقد مات ومن احب ان لا
تجري عليه احكام الفلك فليجد سقفا غير هذا السقف **مقابسة أخرى** سألت ابا سليمان عن الضحك ما

٧١ هو فاملى فقال الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية وذلك انه حال للنفس باستطراق وارد
عليها وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة وذلك الاستطراق انما هو تعجب والتعجب هو طلب السبب والعلة
للامر الوارد ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عند ما تنبعث من النفس فانها اما ان تتحرك الى داخل واما الى خارج فاما
ان يكون دفعة فيحدث منها الغضب واما اولا فاولا باعتدال فيحدث السرور والفرح فاما ان تتحرك من خارج
الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف واما اولا فاولا فيحدث منها الاستهزال واما ان تتجاذب مرة الى داخل ومرة الى
خارج فيحدث منها حول لا احد ثم الضحك عند تجاذب القوتين في طلب السبب فيحكم مرة انه كذا ومرة انه ليس
كذا ويسري في ذلك الروح حتى ينتهي الى العصب فتحرك الحركتين المتضادتين وتعرض منه القهقهة في الوجه لكثرة

٧٢ الحواس ويعلو العصب واحد واحد منها **مقابسة أخرى** قال ابو زكريا الصيمري يوما لابي سليمان في حديث

النفس

النفس في ما يغلب عليها ويصير ديدنًا لها لا يفارقها ولا يزول عنها ايّها الشيخ اني اجد في نفسي اشياء هي اركان فكري في
دعائم همتي واسّس وساوسي احدها حديث الوالدة فاني لا اكاد انساها ولا اذهل عن شانها وشاني معها هذا
على بعد عهدي بها وامتداد الزمان بيني وبينها لانها صارت الى جوار الله وانا غلام والثاني حديث صاحب الشريعة
فاني اسيح فيه ايضًا متعجبا مما خصّ به وافرد منه مع ما عاناه من اقاربه واباعده ومع الذي فعظى به من اعمال الحال في
تدبير اصحابه ونظم جل امره ودقته ما كان يلقى وهي الحال التي توجد بها من بين اهل عصره في نشر الخير والدعا
الى الرشد حتى صارت الحجة عند من انكره وقاهرًا لمن عانده وبركة وعضد على من عرفه ونصره وساير ما كان به مشهورًا
من امره الغالب وشانه المعجز ومع الاحوال التي اختلفت وائتلفت ووضحت على الذين عاينوه وخبروه وجاوروه
واستنبطوه مما يطول ذكره وهو بارز لكل احد وموضوع على كل مرصد والثالث الموت وذلك اني ممنوع بتخيله
عن كل استمتاع ولذة التخيل تخيلًا غالبا موحشا وربما غشي فوادي من ذكره وباشره صدري من كربه ما يبلغ بي
الى تمناه لاستريح منه والرابع البارى عز وجل واني في اعلا ارجاء الفكر وفي الحد الاقصى من حديث النفس لا
يخلو من ذكره بالي وقلبي ولا ينصرف عن مناغاته سري وجهري على انه لا صورة له عندي ولا عيار ولا تحديد ولكن ابت
علي انه لا اشعور ابه ووجد انا له واعراضًا عنه وايماء نحوه فقال ابو سليمان هذا الخبر عن محل رفيع في الاستنارة وشان
عجيب في حصول الطهارة واتصال السفارة وقد يظن من لا شرب له من هذه العين ان هذا وسواس يغلب من جهة
المزاج اذا انحرف والاعتدال اذا افقد وليس كذلك بل يوشك ان يكون مصطفى الغاية المتمناة والنهاية
المتوخاة لان الوالدة يلحظ منها المبدأ الحسّي فيعشق لذلك ومن سجايا النفس الفاضلة ومن عادة الفطرة
النقية والطينة الحرة ان يكون المبدأ ملحوظًا فيها وعندها وهذا كله للشعور بالمبدأ الذي هو الاول بالاطلاق
مع احوال تتناصر وتتشابه في خلال هذه الفكرة تتخلل بها النفس تعللًا مونسا مطربا ودافعا للوقت مع حبا قيل له فلم
لم تكن المنزلة دون الام فقال الام شانها في الحس اعظم وتدبيرها في المباشرة اظهر وشفقتها بحسب ضعف قوتها
اكثر والاب هو الفاعل الحسّي ايضًا ولكن لا مباشرة له منفصلة ولا ولاية له متمادية وانما هو اول فقط والام حاملة
واضعة وفاطمة ومرضعة وحاضنة ومربية فالكلفة عليها اغلظ وحبسها للولد الف وهو بها اشغف ثم قال واما
تخيل الموت فلان النفس تلحظ المعاد وتنزع اليه وتتقلب نحوه لان المعاد هو المحيط الذي منه بدا واليه يجب ان يكون
المنتهى ولاستعجام الحال في الثاني ما فتئ تلبد في الفكر فيه فيعتريه التسهر الشديد والفكرة الغالبة نفورًا من الشقا
وحتيرا على ما يكاد يقرب من الخير ولا سبيل للنفس الى هذه العاقبة الا بتخلية البدن الذي هو السور المانع بينه
وبين الخلاص من اسر هذا العالم وتدبيره هذه الاستقصا وهذه التخلية هي التي تسمى موتًا وانما هي تحول من
مكان الى مكان فالغرق مصحوب والخوف قائم والظن متزج والامل بين رياح عواصف فكلما كان استعجام الحال
اشدّ كان الامل اضعف وكلما كان الامر ابين كان الشوق اليه اعظم فاما ما يتعلق بحديث الناموس الالهي الشارع
لطرق الخيرات القائدة الى غاية السعادات فانه ايضًا انما يشتد ذلك ويكثر ويتضاعف لان للنفس الفاضلة
مباحث كثيرة في شان من هذا نعته وكيفيته وتلك المباحث هي مسالك الخير المامول ومراقي السر المعلوم والمجهول و
فالشغف والفكر والنظر انما يتضاعف في شان هذا الشخص ليقتبس من نوره ويهتدى بامره ونهيه ويظفر
بنفس النفس من جهته بقوله وفعله ويمنه وبركته فاما ما يرتقي عن هذه الحدود الى الغاية الاولى الغاية القصوى

فذلك يطلب النفس وسكونها لا قلق بعده وطمانينة لا يخطر بعدها فبحق كانت هذه الخواطر سانحة وهذه المشاعر فاخرة و
هذه الاواخر مشهورة وهذه الاوائل موجودة وبقدر توالیها وتعاقبها وتوافيها وتقاربها تكون نقطة الانسان في اكتسابه
الالهية الحسنة والعيشة الباقية والاخلاق الالهية من العلم والحكمة والجود والسماح والعفاف والهمة العالية والشجاعة البينة و
الخير والعدالة والتقديس والنزاهة فلا عدة للنفس الحكيمة والطبيعة الكريمة الا هذه الفضائل التي هي ينابيع الخيرات
ومصابيح الغايات وثمرات هذه الحياة ثم قال والله نسئل توفيقا ندوم به على هذه المحجة البيضاء واللقم الافيح ثم نزداد
بصيرة الى التمسك بما عادت محمدة علينا عاجلا واجلا ببذل الغاية وتقديم الحرص وبرفض الدنيا ومجانبة قرناء
البطالة وابناء الهوى والشهوة فانه مجيب من دعاه وكاف من استكفاه واقول ما اخرجنا جميعا الى الان نعب نفسا
هذا المجد وتشييد هذا البناء واقتناء هذا الذخر فوالله الذي لا اله الا هو لو ترتيبا بهذه المقابسة وحدها من هذا
الشيخ كانت زينة لنا الى اخر الابد فكيف ولها اخوات تعضدها وامهات تشهد بصحتها

٧٣ **مقابسة اخرى**

املى علينا ابو سليمان فقال الدهر هو اشارة الى امتداد وجود ذات من الذوات وهو ينقسم قسمين احدهما مطلق
والاخر بسيط من قبل ان الذوات اما ان تكون موجودة وجود اطلاق او بالحقيقة من غير ان تقترن مبدا نهاية واما ان
تكون متناهية اذ فهم منه وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء فهو الدهر المطلق واذا فهم منه امتداد وجود ذات ذي
نهاية فيكون الدهر الذي بالاضافة والشرط مثال ذلك انا نقول ان فلانا دهره يفعل كذا او كنت فعل الدهر كذا واما
المثال على الاول بالاطلاق فهو الذي يرجع منه الى الذات التي هي اقدم الذوات واتمها وامدها الى غير غاية ومن غير بداية و
الزمان هو عدد حركة الفلك المشرقي بالتقديم والتاخير قال ومن الناس من قال انه مدة تعدها الحركة وهذا الحد توهم ان
الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة وجوده انما هو في عاد الحركة معدودة
ليس هو الدهر وانما هو الحركة فالاشياء الحادثة على ضربين منها ما هو جار مع الدهر ويتعلق في وجوده بالذات الاولى
وتلك لا يلزمها التناهي وغير التناهي والقبل والبعد الذي من قبل الزمان بل التي من قبل المعنى الذي يتعلق بالتصور والاضافة
الى وجود الذات الاولى والضرب الثاني الحادثة في الزمان وهو محصور بين طرفين بقبل وبعد فاذا حقق النظر فيه رجع
الى فعل وانفعال والجملة الى الحركات من الحركات اما كون واما فساد واما نقلة واما استحالة واما نمو واما اضمحلال من غير
ان يتعلق بوجود ذات من الذوات

٧٤ **مقابسة اخرى** واملاء علي ايضا الفرق بين الوحدة والنقطة ان الوحدة
هي نقطة ما لا وضع لها والنقطة هي وحدة ما لها وضع فالوحدة هي مبدا الواحدية وهي الكم المنفصل بمنزلة العدد المؤتلف
من الوحدات التي تجتمع من غير اتصال احداها بالاخرى والنقطة هي مبدا الكم المتصل بمنزلة الخط الذي يتصل اجزاؤه
بعضها ببعض بحد مشترك هي النقطة فالنقطة اذن هي وحدة ما لها وضع والواحد هي نقطة ما لا وضع لها ولذلك ما
كان وجود الوحدة موضوعها النفس في التوهم ووجود النقطة موضوعها الجوهر الطبيعي ومتعلقا بالحس وان كان
متعلقها بتوسط الحس

٧٥ **مقابسة اخرى** . سالت ابا سليمان عن الفرق بين الفعل والعمل فقال الفعل يقال على
ما ينقضي والعمل يقال على الاثار التي تثبت في الذوات بعد انقضاء الحركة قال والفعل ايضا يعم كل معنى صادر عن ذات وحد
الفعل انه كيفية صادرة عن ذات والانفعال كيفية واردة على ذات فالفعل يقال على التحقيق على هذا المعنى وهو الذي يقال
انه مقولة من المقولات العشر ويقال على العموم اي على اي معنى صدر عن ذات

٧٦ **مقابسة اخرى** قيل لابي سليمان
النفس ليست قايمة بذاتها الا انها لا تحل النفس الا في الجسم المركب فقال هذا لا يكون الا للغالط وهذا الفن وقد يرى الشيء من ناحية اعتبار صورة قبيح وقد يرى

من ناحية بلادة الناظر فيه اذا قلنا النفس قائمة بذاتها فانا نريد بهذا انه لا علاقة لها مع الجسم ولا صلة ولا وصل ولا انفصال ولا تحرك ولا تصريف بل ان قلنا ان النفس في الجسم فلم نرد به انها هي المستكثر فيه او المدبر عليه وان قلنا ان النفس قائمة بنفسها وبالجسم بذاتها بذلك ايضا انها غير ملابسة لكن لا بستر الدهن الماء ومداخلة الحر على النفس في البدن عن تصفية العقول لمنزلة الاعلى تسليط الحس عليه ونقل التمثيل والتشبيه اليه لا فعلوا ان الشيء في الشيء على فنون كالشيء في الشيء كالشيء في الشيء وكالماء في الجب كالجب في البيت وكالبيت في الفضاء فقد يحيط الجوهر في الجوهر على خلاف ما يحيط الجوهر ويحيط البسيط في المركب على شكل غير شكل المركب في البسيط ثم بين الذي قسطه من البسيط على قدر آخر فرق بالضعف والقوة وهكذا الحال في المركب والتركيب وبهذا الغرض الموهوم حصل بين الشبهين فرقا لا يقف عليه الا من توغل وتغلغل وحصل بين المتباينين شبه خاف لا يسبق اليه الا من تحلل وتوصل ولهذا احتاج النظر والبحث الغالب الغامر انما هو في ايضاح الفرق بين متماثلين لشدة تماثلهما وايضاح الشبه بين متباينين لشدة تباينهما فليكن هذا العلم عندك حتى يخف عليك طلب ما اشكل واستيضاح ما غمض وقد سلف في حديث النفس ما فيه شفاء النفس وسيمر فيما بقي الكتاب ايضا ما يكون نافيا الكثير من الشبه ودافعا للكثير من الاعتراض في هذا النهج في حديث النفس انما هو لغلبة عشق البقاء الدائم والحياة الصافية من الكدر وكيف ما انفصلنا النفس في انبائنا عنها فانها باينة الشكل والحال والظاهر والباطن والفعل والانفعال والحقائق والمفضى بها عليه البدن اعني ان قلنا ان النفس في البدن على سعة عرض في مواضعه او قلنا مصروفة الجسم على سعة عرض التصريف في موافقه او قلنا الجسم منفعل لها وبها على سعة عرض الانفعال واختلاف مثالها وبها على جميع هذه الوجوه قد وضح ان شأنها غريب وان سرها غريب والنظر في امرها واجب واليسير مما يستفاد من حديثها كثير واني لا اعجب ممن يظن انها تابعة للمزاج فهلا نامت عند نوم الانسان فان المزاج قد جبل على النوم بحسب الضرورة التي تحلت على الجسم من اليقظة الكادة والحركة المعادة بل الامر كان بخلاف ذلك فانها عند النوم عطفت على ما هو اخص بها واعشق لها فتصرفت فيه وامتلت وانبأت عنه وانذرت فكيف يكون هذا الشأن شرفه وجلالته وشدة التعجب منه والقدر المحمول على احسن الوجوه هذا ما لا يسمح به عقل لم معرفته في الصواب بسبب صحيح او لصاحبه في مواصلة الحق رغبة تامة وكان ابو سليمان في هذا الموضع هذا اماما في الجواب وهو حسنة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقاري والمنطقي والكلامي وجميع اصحاب النظر والقياس

٧٧ **مقابسة اخرى** قرئ على ابي سليمان من كلام اسرتقلس انه اذا استولت المحبة على الاجسام التي منها تركيب العالم كان منها العالم الكري واذا استولت الغلبة كان منها الاسطقسات والعالم الكائن الفاسد فقال مفسرا انما اراد باستيلاء المحبة على العالم استيلاء القوة العقلية فانها هي التي تحيط بجميع الموجودات احاطة كلية وتؤلف بينها تاليفا نظاميا موفقا بين جميع اجزائها وهذا الفعل منها شبيه بتاليف الاكر بعضها مع بعض واحاطة بعضها ببعض حتى لا يتصل بها شيء آخر ومعنى قوله اذا استولت الغلبة حدثت منها الاسطقسات المتباعدة الاقطار المتميزة بعضها من بعض المباين كل واحد منها غيرها وهذا تشبيه بالقوى الحسية المنشعبة المفارق بعضها بعضا فيما يخصها من الاتحاد مع ما يقع فيها من الخطأ والغلط والزيادة والنقصان وهذه صفة الاشياء المتغالبة والمتنافرة هذا آخر تفسيره وليس به غنى عن بقية بها ينكشف فضل انكشاف ويعترف من اجلها اكثر من هذا الاعتراف ولكني قد بلغت هذا الموضع من الكتاب وما بي طرف ولا معي ذهن لاحوال ان شرحتها اورثت الشماتة من العدو واعانت العدو على المحب وحركت ساكن الخصم الالد و[illegible] ارت الصديق بعض المساءة وان كان لا صديق والى الله اشكو غربتي وكربتي ومعادا ان الحلو لا يسمع ولا يوالي فبيده تفريج ما القى وتسويغ ما اشتقى وهو المولى والمعين

٧٨ **مقابسة اخرى** املى علي ابو سليمان فيما املى التسلب هو نفي شيء من شيء والايجاب هو اثبات شيء لشيء والمهمل ليس فيه حكم ولا اثبات شيء لشيء ونفي شيء عن شيء لكنه قول دال على امر بلا

منفصلة كان الاسم دالا عليه لانه بجملته مثال ذلك النقطة فانه سواء قلت شيء لا جزء له ان قلت نقطة من قبل ان قولي نقطة ليس فيه حكم كذلك قولي شيء لا جزء له لا حكم فيه وان جعلت احدهما موضوعا والآخر محمولا حتى تقول النقطة هي شيء لا جزء له

٧٩ ولم يصر حينئذ الحد محمولا على النقطة ويختلف دلالته عما كان عليه **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان ايضا اما الطبيعة اسم مشترك يدل على معان احدها ذات كل شيء عرضا كان او جوهرا بسيطا او مركبا كما يقال طبيعة الانسان وطبيعة الفلك وطبيعة البياض والحرارة بمعنى ذاته ويقال انه اعطى حركة منها ويقال على المزاج الاول اللاحق لكل مركب من الاستقصات ويقال على المزاج العام بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج العام ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج الخاص بشخص شخص من نوع الانسان واما بحسب النظر الطبيعي العام الذي يخص الفيلسوف الطبيعي فهو المعنى الذي حده ارسطوطاليس بانه مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هو فيه اولا بالذات لا بطريق العرض وهذا المعنى يعم مبدأي المركب اعني المادة والصورة فان المادة مبدأ للتحرك والسكون والصورة مبدأ التحريك والتسكين والاولى بهذا الاسم عند ارسطوطاليس الصورة دون المادة عند قوم من القدماء مثل المادة دون الصورة بحسب النظر الفلسفي وحال الطب فهو المعنى الذي يقال انها حياة تنفذ في الاجسام تعطيها التخلق والتصور بالصورة الخاصية بواحد واحد منها وكانها القوة السارية من المبدأ الاول الى جميع الاشياء المنفعلة بها والقابلة لها الرابطة بينه وبينها وهي يوجدها الصورة المؤتلفة من جزئي المركب التي هي غير كل واحد منهما على الانفراد وبحسب موضوع اللغة هي فعيلة من الطبع ولذلك ما صار اشبه بالصورة من

٨٠ المادة وان كان المطبوع هو المادة لان الصورة هي المطابقة وهي المعطية ذاتها لها وحاصلة فيها **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان ايضا الموجود هو الذي من شانه ان يفعل وينفعل فكل ذات موجودة فاما ان تكون فاعلة فقط او منفعلة فقط او فاعلة ومنفعلة فالمنفعلة فقط هي المادة الموضوعة لقبول الصورة والفاعل فقط هو المعطي صورة كل ذي صورة والفاعل المنفعل هو المركب من مادة وصورة فيفعل بصورته وينفعل بمادته وقال ايضا كل موجود اما ان يكون بالقوة واما ان يكون بالفعل فقط واما ان يكون بالفعل من جهة وبالقوة من جهة فالمنفعل الذي بالقوة دائما هو الهيولى المستحيل المتبدل الاحوال بالصورة التي يعطيها الوجود بالفعل والموجود بالفعل دائما من دون ان يشوبه شيء من القوة هو الذات الابدية الوجود الذي هو سبب كل موجود بالقوة والفعل والموجود بالقوة تارة وبالفعل اخرى هي المركبات من المادة والصورة فان لها القوة من جهة الهيولى والفعل

٨١ من جهة الصورة **مقابسة اخرى** وسمعت ابا سليمان يقول الخير على الحقيقة هو المراد لذاته والخير بالاستعارة هو المراد لغيره والمراد منه ما يراد لذاته فقط ومنه ما يراد لذاته ولغيره والذي يراد لغيره بمنزلة الدواء والذي يراد لذاته فقط

٨٢ بمنزلة السعادة والذي يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة **مقابسة اخرى** واملى ابو سليمان على جماعة كنت احدهم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وقد سئل عن الواحد فقال الواحد اسم مشترك يدل على معان كثيرة احدها وهو احقها بهذا الاسم فهو واحد بالعدد وهو اما ان يوجد من حيث هو مطلق وموضوعها النفس من غير ان يوجد معها امر من الموجودات وهو بهذا الوجه مبدأ العدد وعلى هذا سواء اخذ واحدا او اخذت وحدة ويكون مبدأ العدد الذي هو جمع الوحدات كما يقال فرس واحد وانسان واحد وبهذا الوجه يعني العدد وقال ويقال ايضا الواحد على ما هو واحد في الجنس كما يقال ان الانسان والفرس واحد في الحيوانية ويقال ايضا واحد بالنوع كما يقال زيد وعمرو واحد في الانسانية ويقال ايضا بمعنى انه غير متجزئ بمنزلة النقطة والآن وعلى هذا الوجه ايضا يقال في الشخص انه واحد بمعنى انه غير متجزئ من قبل انه جزئي فقط ويقال ايضا واحد في الموضوع وهذا الضرب يقال

منه المتصل الذي هو واحد بالفعل وكثير بالقوة ومنه ما هو واحد في الذات وكثير في الحد كما يقال ان زيدا الكاتب
اذا كان طبيبا او منجما او ذا صناعات كثيرة انه الطبيب والكاتب والمنجم واحد في الموضوع من قبل ان الذي هو كاتب
هو بعينه فاسد وكثير في الحد لان حد الفاسد خلاف حد الكائن ويقال ايضا على ما هو واحد في المناسبة كما يقال ان النقطة الواحدة
وقلب الحيوان وعين النهر واحدة بالمناسبة معناه ان نسبة كل واحد منها الى ما هو مثله نسبة واحدة ويقال ايضا على ما هو واحد
في الحد وكثير في الاسم كما يقال ان الثوب والرداء والانسان والبشر واحد في الحد وكثير في الاسم وكذلك الخمر والخندريس وسائر
الاسماء المترادفة على معنى واحد ويقال ايضا على ما هو واحد في الاسم كثير في الحد بمنزلة الكلب والعين فان الكلب يقال
على النابح والكوكب حذاء الجبار وكذلك العين على العضو الذي يبصر به وعلى عين الذهب وعين الماء وعين الركبة
واليق هذه المعاني ان يوصف به الموجود الاول ما كان واحدا بالموضوع وكثيرا بالحد والصفة اذ لا يجوز ان يكون واحدا بالعدد
من حيث هو عاد ولا من حيث هو معدود اذ الواحد على انه واحد من هذا الوجه كانت الكمية لاحقة به والذات الاولى متعالية
عن ان يلحقها او يحيط بها صفة يلحق غيره من الموجودات المفعولة له وذلك ان القوة التي تلحظ شيئا من الاشياء ومعانيها
معلولة مفعولة ولحظها لها انما هو على سبيل ما يعقمون الفيض وافادة الوجود من تلك الذات فثبتت عندها انية ذلك
فقط من غير ان يمكنها نقل شيء من احكامها واحكام ما يحيط بها هو دونها اليها والواحد بمعنى وهو ذات ما لا معنى الوحدة فيه
يوجب الكثرة فاليق الاشياء التي يجوز ان يشار بها اليها من جميع معاني الوحدة والآحاد التي ذكرناها هو الوحدة المجردة التي لا توجد
من حيث هي في النفس فتكون حاكمة عليها بها ولا التي موضوعها اثر من الامور الموجودة ليكون بها هو واحد وعلى هذا الترتيب يصير
الواحد الذي هو اول موجود يستحق ان يوصف بما هو القوة الاولى التي ذكرناها اول معقول للذات الاولى فيكون واحدا
بتلك الانية التي يلزمها الوحدة التي وصفناها وهي الفعل فيكون الترتيب الجاري على النظام اللازم في مراتب الموجودات
انها الوحدة المحضة وتاليها في الوجود المحض الذي هو المفعول الثاني وثالثها الانيات المحضة التي هي النفس
قبل ان حصل لها من الذات الاولى الوجود ومن الذات الثانية الصورة التي صارت بها كما لا لكل موجود ما هو
دونه ولما كان الانسان الذي هو الموجود الذي ينتهي اليه جميع القوى من الموجود الاول والثاني والثالث من الاجسام
السماوية والاستقصات الكائنة الفاسدة والغاية التي اليها تبلغ القوى وتنحصر فيه صار الواحد المتكثر المقابل للواحد
المحض قوي بسلك مما صعد من جميع ما فوقه الى مواصلة كل واحد منها بحسب الرباط الذي بينه وبينها الى ان ينتهي الى
المبدأ الاول والذات الاولى فيفصح عنه بما لحقه في ذاته عبارة جسمانية بالمنطق الخارج ويشير اليه اشارة روحانية
مطابقة عقله المعقول الاول حتى يصير هو هو ويلحظ اثر الفيض الواصل الى تلك الذات فقط ومشاركته اياه
وينفي عنه جميع الصفات التي نفاها عن المفعول الاول ويقال لهذا الفعل منه توحيد اي تجريد تلك الذات عن
جميع الكثرات التي تتعلق على الذوات وتحيط بها من الصفات **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان اسم العقل
يدل على معان وتنقسم تلك المعاني الى اقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل وذلك له ابتداء وانتهاء وواسطة وهو
بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال وهو الشبيه الفاعل والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانساني ويسمى هيولانيا
وهو في نسبة المعقول والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد وهو في نسبة عقل والعقل الانساني
الذي بمنزلة المفعول هو في حيز القوة التي يحتاج ان يخرج الى الفعل وحده انه الشيء الذي من شأن الجزء منه
ان يصير كلا ما ومعناه ان في قوة كل واحد من هذه العقول الجزئية ان يدرك جميع المعقولات التي من شأنها

٨٣

ان تدرك ولما كان الذي بالقوة يحتاج الى شيء موجود بالفعل يخرجه الى الفعل كان ذلك الشيء هو العقل الفعال اذا تشبه
يفعل في شبيهه والمستفاد بمنزلة الفعل الملابس للقوة والفعل جميعا

٨٤ **مقابسة اخرى** املى علي ابو سليمان
ايضا فقال الخلاء يدل عند الاوائل على مكان عادم جسما طبيعيا واختلفوا في وجوده فمنهم من قال انه لا وجود
لشيء ما هذه سبيله منهم ارسطوطاليس واصحابه ومنهم من قال بوجوده ومنهم من قال هذا المعنى مبثوث في جميع
العالم به يكون الانقباض والانبساط للاجسام والتخلخل والتكاثف والثقل والخفة واللطافة والغلظ ومن اجله
يمكن حركة الاجسام اذ لا يجوز ان يكون حركة في الملأ لما يلزم من مداخلة الاجسام بعضها بعضا ومنهم من قال ان
وجوده خارج العالم ولا نهاية له و سبقية الاجسام التي في هذا العالم فيعرض لها بهذه المعاني التي ذكرناها فاما
بطلان وجوده عند من رأى ذلك المعنى بعد اعني له طول وعرض وعمق يحصره ابعاد الجسم من قبل ان ينطبق طوله
على طوله وعرضه على عرضه وعمقه على عمقه والجسم انما يشغل هذا المكان بهذه الابعاد فقط لا بانه بارد او حار او ابيض
او اسود او ثقيل او خفيف اذ كان ابعاد الجسم يحتاج الى ابعاد المكان بما هي ابعاد فابعاد الخلاء انما هي ابعاد
يحتاج ايضا ابعاده ثم الكلام فيه الى ما لا نهاية

٨٥ **مقابسة اخرى** سمعت ابا سليمان يقول الفرق بين الكلي
والكل ان الكل متاخر عن اجزائه والكلي متقدم على جزئياته والفرق بين الاجزاء ان طبيعة الكلي بمنزلة الحيوان
موجودة في كل واحد من اجزائه بمنزلة الانسان والفرس واما الكل بمنزلة العشرة فطبيعته غير موجودة في كل
واحد من اجزائه بمنزلة الثلاثة والتسعة والفرق الثالث انه ان رفع من الكل واحد من اجزائه بطلت صورة
الكل واما الكلي فانه ان رفع جزئياته تبقى طبيعة الكلي محفوظة بمنزلة الحيوان فانه ان رفع الانسان او اي واحد من
الحيوان لم يبطل طبيعة الحيوان

٨٦ **مقابسة اخرى** قال املى علي ابو سليمان الجوهر اسم مشترك يدل على سبيل العموم
على الذات اي ذات كان جوهرا كان او عرضا كما يقال جوهر الحرارة وجوهر البياض بمعنى ذات البياض وذات الحرارة و
قد يقال على الخصوص على الذات التي وجودها ليس في موضوع ومعناه انه ليس يحتاج في وجوده الى شيء يوجد
به او فيه فينبغي ان يفهم هذا المعنى من الرسم الذي وصف به وهو القائل الجوهر هو الذي ليس في موضوع وهذا
الصنف ينقسم اقساما بحسب معاني احوالها في الوجود فيقال منه بسيط ومنه مركب وهذه القسمة بحسب الوجود
الطبيعي ويقال منه هيولى ومنه صورة وهذا بحسب حالها في ذاتها واضافة بعضها الى بعض ويقال منه كاين و
فاسد ومنه غير كاين ولا فاسد وهذه القسمة بحسب حالها فيما يقبل من التاثير ولا يقبل ويقال منه سرمدي
ومنه حادث وهذا بحسب مدة وجودها في الزمان ويقال منه محسوس ومنه معقول وهذا بحسب حالها
عند الادراك ومنه اول وهو الشخص ومنه ثان وهو الاجناس والانواع وهذه القسمة بحسب اعتيادنا في باب
العموم والخصوص وهذا الصنف هو الذي الواحد منه بالعدد قابل للمتضادات بتغيره في ذاته على ان في هذا
الصنف شكا وهو هل الاشخاص العلوية اعني الافلاك والكواكب هل يصدق عليها الرسم ام لا فان من الناس من راى
ان هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية ومنهم من قال انه يخص الجواهر الشخصية المركبة من المادة والصورة التي تحت
الكون والفساد

مقابسة اخرى سمعت ابا سليمان يقول رايت فيما يرى النايم كاني اناظر ابن العميد ابا
الفضل في مسايل من السماع الطبيعي وبقينا نقسم الموجودات فقلت الموجود ايضا ينقسم بنوع اخر انه يكون
اما خفي الذات خفي الفعل او ظاهر الذات ظاهر الفعل او خفي الذات ظاهر الفعل او ظاهر الذات خفي الفعل ثم قلت

الاول هو الباري جل وعز والثاني الحرارة والبرودة وما اشبههما والثالث الطبيعة والرابع الكواكب عرضنا هذه المقابسة
على الشيخ المجتبي فقال هذا والله الحكمة وفصل الخطاب قسمة مستوفاة وحقيقة ذات برهان وكلمة ما عليها مزيد

٨٨ **مقابسة أخرى** سألت ابا سليمان عن البلاغة ما هي وقلت احببت ان اعرف قولاً على نهج هذه المطابقة
لان لهم كتابة والخطابة في عرض كتاب الفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ واللفظ طباع الكلمة والكلمة موصلة
مفصلة وخواتيم احكمها اعتمد فقال هي الصدق في المعاني مع ايتلاف الاسماء والافعال والحروف واصابة اللغة و
تحري الملاحة المشاكلة برفض الاستكراه ومجانبة التعسف فقال له ابو زكريا الصيمري قد يكذب البليغ ولا يكون
بكذبه خارجا عن بلاغته فقال ذلك الكذب قد البس لبسة الصدق واعير عليه حلة الحق فالصدق حاكم وانما ترجع
معناه الى الكذب الذي هو مخالف لصورة العقل الفاظ الحقائق المطلوب للاعراض القريب فالبعيد المحضر للقريب فقلت لابي
سليمان فهل بلاغة احسن من بلاغة العرب فقال هذا لا يبين لنا الا بان نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق ثم نضع القسطاس على كل
واحدة منها حتى ناتي على اخرها واقصاها ثم نحكم حكما بريا من الهوى والتقليد والعصبية والمين وهذا ما لا يطمع فيه لاحد وما
ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من اهلها اعني من فاضلهم وبلغائهم فعلى ما ظهر لنا وخيل الينا لم نجد لغة كالعربية وذلك لانها
اوسع مناهج والطف مخارج واعلى مدارج وحروفها اتم واسماؤها اعظم ومعانيها اوغل ومعاريضها اشمل ولها هذا
النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع اذاننا وصحب اذهاننا من كلام اجناس الناس
وعلى ما ترجم لنا ايضا من ذلك ولولا ان التقصير عن [illegible] سر هذا العالم ونوسه لكان علم المنطق بعينه الطبيعة بالغريزة
وكانت تسوق العربية الى طباع اليونانية فكانت المعاني طباقا للالفاظ والالفاظ طباقا للمعاني وحينئذ كان الكمال يحط اليه
عن كثب والجمال يصادف بلا رعب ولا رهب قال ايضا اصل الله وربع الله وربما الكون ربع الكون نسيانه هذا الذي
شمناه لقوم يكونون بعد ما فات العالم مشتاق الى الكمال ومشتاق الى الجمال عند ما يكون الغاية واليها تقف النهاية وقال
ومما يوضح هذا المشكل ويبين هذا المجمل صورة العالم في كل وقت وساعة على حال لم يكن عليها قبل ذلك بما يفيض عليه
يسري اليه من الحق الاول والوسائط الاول بالجود الاعظم والاشمل وانما كان للعالم ولكل ما فيه صورة محدودة و
شكل ما انسان مصير في كل وقت ولحظة الى هيئة لم تكن عليها من قبل فهل ذلك الا لان العالم متوجه نحو الكمال والجمال
ينالها حالا فحالا ثم يكون لجود الحق الاول مبتدأ بر متجدد ويسوق وتمتد عليه نقلته من غير انفعال بتوسط
ولا تخوم بعينه هذا المبدأ مفروض والا فالحال متصلة اتصال الواحد بالواحد من حيث يلحظ ما هو واحد
واتصال الوحدة بالوحدة من حيث يلحظ ما لم وحدة وقال ايضا وهو الذي اشرنا اليه العالم انما هو من ناحية قبوله
وانفعاله وما هو بسبيله والا فالجود الاول هو الجود الثاني والثاني هو الاول والى ما لا غاية معلومة ولا نهاية موهومة
الا ان هذا لا يليق بالاله الذي له ينبغي وبه يليق فاما العالم فتجدده وحسنه وكماله وتمامه مضاف اليه وملحوظ
فيه ولما دق كلامه واعتاص لفظه وتسلسل ايماؤه وسقط عن اتقاني جل ما كتبت حويته ورايت الخط لي ولمن يرى
ذامي ان لا اخل بما امكن من ذلك فاثبته على ما تجده من الفتق والرتق والرقع والخرق وانت ابقاك الله اولى
من تدارك خلله وستر خلله وارجو ان لا تخرج من حسن الظن بي ولا تغلط الفراسة فيك ولا تدخل فيما رسمنا [illegible] لا
يساوي عيبا نخبرك ولا يلحق كلا بعضك كان الله لك ومعك وهو حافظنا لك ودافعنا عنك وموسنا بك

٨٩ **مقابسة أخرى** نذكر في هذه المقابسة اشياء سمعناها من ابي سليمان في مجالس لان لم يكن في

صلى والفلسفة فانها لا تخرج من جملتها ولها فايدتها التي تحتاج اليها ولا يستغني في الاغلب عن الوقوف عليها قلت له
يوما كيف اصبحت قال مالك الظاهر مملوك لا اقعد عدو لا اولى اتلذ لا اعفو ان حزنت حزنت طباعا وان فرحت فرحت
نزاعا ان انا خالطت ذممت الناس وان اعتزلت اجتلبت الوسواس ان بحثت دهشت وان قلدت استوحشت هذا
مساي وصباحي وعليه غدوي ورواحي واشوقاه الى وطي ذلك البساط واكرباه من عقد هذا الرباط يا لها سعادة لو وجدت
والتشمير وزهد من اجلها في التقبير والتطمير وهذا كما ترى وحدثنا يوما قال اجتزت بالري متوجها الى سجستان سنة
السنين وكان بها ابو جعفر الخازن في زمرة كاضيا لحقه وسنه ولما انصرفت اتبعني برقعة يروى في الرقعة بسم الله
الرحمن الرحيم من استحقر في قضا حقوق الاخوان ما يلغو عاجل الاستطاعة فقد عرضها للتقصير والاضاعة لان الايام تكاد
تسعف بكل المراد ولا تزول عن عادتها في الفساد وجرى يوما بحضرة ابي سليمان حديث احكام النجوم فقال من طريق
ما ظهر لنا منها انه ولد في جيرتي ابن نباتة فقال لي لو اخذت له الطالع فاخذت وعرضته على علي بن يحيى نعلم و
نجوم فقال لنا فيما قال هذا المولود يكون اكذب الناس فتعجبنا منه فدارت الايام حتى ترعرع الغلام وبلغ وخرج
شاعرا كما ترى معدودا في عصره ثم انشدنا له مستحسنا وتاخذ من جوانبنا الليالي * كما اخذ المساء من الصباح *
اما في اهلها رجل لبيب * يحس فيشتكي الم الجراح * ارى التشمير فيها كالتواني * وحرمان العطية كالنجاح * ومن لبس
التراب كمن علاه * وقد نخلد على اخا سر الرياح * وكيف يلذ مجتهد حريص * يرى الارزاق في ضرب القداح * ثم انشد
ابن نباتة فاقر لي بها وقلت لابي سليمان يوما انشدنا ابو زكريا الصيمري عن سكة القمي عن ابن محارب لفيلسوف
لنفسه صدفت عن الدنيا على حبي للدنيا ولابد من دنيا لمن كان في الدنيا وادفعها عني بكفي ملالة واجذبها جذب الخادع
بالاخرى فقال هذا كلام رقيق الحاشية حسن الطالع مقبول الصورة يدل على ذهن صاف وقريحة شريفة واختيار محمود
وذهن ناصع ورأي بارع ثم انظر الى قول شيخنا ابي زكريا يحيى بن عدي فانه انشد يوما لخالد الكاتب لست ادري
اطال ليلي ام لا * كيف يدري بذاك من يتقلى * لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلا * فقال لنا يحيى بعد ايام
قد عارضت خالد الكاتب في قوله ثم انشد ان يكن لا ادري فلا المخلا * لست تدري ان كنت تدري ام لا * او تكن داريا
بذاك فهلا * كنت تدري الطول ليلك ام لا * قال وانقلب صحابنا عنه بالضحك والتعجب انظر كيف يسلب الفاضل فقه
في وقت مع البصيرة الثاقبة بالعلم ولم ينشدنا ابو سليمان هذا ليحيى بن عدي حتى الححنا عليه وكذلك انه قال قد دل
شعره على ركاكته في هذا الفن والستر عليه احسن بنا وكان ابو سليمان يستحسن للبديهي قوله لا تحسدنه على تظاهر
نعمة * شخصا تبيت له المنون بمرصد * او ليس بعد بلوغه امالة * يفضي الى عدم كان لم يوجد * لو كنت احسد ما
تجاوز خاطري * حسد النجوم على بقاء سرمد * فقال ما افلح البديهي قط الا في هذه الابيات وصدق كان عسيل
الشعر سريع القول فاما ابو سليمان فانه كان يقرض البيت والبيتين وينشدنا ذلك وينهى عن نشره عنه ويقول من
انحل لضعفه قوة غيره فحة وجسارة فقد استجر الى نفسه فضيحة وخسارة فمن قوله واني عزوف النفس عن كل ريبة
* ومعطي قيادي للحبيب الموالف * اشاطره روحي ومالي واتقي * حذارا عليه من رايح عواصف فان خان عهدي
لم اخنه وان اكن * على ما ارى من عذره بمواقف * واترك عقباه لعقبى فعاله * فهي يعقب الايام كل التناصف ومن
قوله ايضا بكيت على مفارقة الشباب * وايام البطالة والتصابي * وايام التغازل والدلال * وايام التجني والعتاب *
مضت فكانها ما قولت * معقبة نسيسا بالعقاب * لتشكل ملبوس جلالية * وتمزج كل معسول بصاب * بياض الشيب

اعلام المنايا * نشرن نذيرة لك بالذهاب * هو الكفن الذي يبلى وشيكا * ويأتي بعده كفن التراب * ثم قال لا اقلال من هذا الباب ولي
بنا فلسنا من اهل هذا الفن وسمة التقصير لايحة علينا ودالة على نقصنا وان خفي لك نظرنا الان لا انشأنا شوق نفسه
وليس بمؤاخذنا على تقصيره ثم قال لي انشدنا ما سمعناه منك لبعض الالهيين فانشدته * لمتجاوز حشوي وذات مثوى
المسوي والزلا انقرا * دليل ابناء جنسي فلم يكن فذ التجني * ولا يعود باسني * رجعت نحو بشرط * يغيب عنه حشى * فلاح تحت
ضلوعي ما قد من قرن شمسي * فقلت هذا طريقي من غير شك وليس * وغصت حتى تجلى * واشرقت منه نفسي * فقال ابو سليمان
ما الحسن للاديب وللحكمة اذا كان هذا من ثمرها وسمعت ابا سليمان يقول للجرجاني الكاتب وكان يحدث نفسه بالوزارة
ايها الرجل ان الدنيا نار ذات دخان فلو سلوت عن صلاها لدخانها لكان اجدى واسلم فقال افلا اصبر على دخانها
لانتفع بضيائها واستمتع بصلائها فقال ما احسن هذه المعارضة لو كنت في الاستمتاع بضيائها على ثقة ومن الانتفاع
بصلائها على يقين وكنت اذا ادركت ذلك دام عليك وصفا لك فاما والعادة جارية بخلاف قولك وبمثل اقتراحك وتوهمك
فلا فقال الجرجاني الله الموفق وهو حسبي فقال ابو سليمان حكم الكتاب واصحاب الخطابة مخايل تصدق قليلا وتكذب
كثيرا ليس لها رسوخ في القلب ولا ثبات في العقد فلما قتل الجرجاني قال ابو سليمان مسكين ذلك الرجل صبر على دخانها
ان خنق وتعرض لصلائها حتى احترق ثم قال اللهم لا تكلنا الا اليك ولا ترغبنا الا فيما لديك ولا تعرضنا الا لطلب ما عندك
انا العجزة عن قدرة نطلبها بنا وضعفة على قوة ندعها فينا ارنا الحق حقا ثم هيئنا لاتباعه وارنا الباطل باطلا ثم وفقنا
للاعراض عنه يا من بيده العيان والخبر ويرينا بهما العجائب والعبر قد قوي رأيي ادام الله توفيقك ان لا تكون هذه المقابسة
في هذا الموضع لانها نائية عن اخواتها المواصي لكونها على حال قد اخذت بنصيبها من الحسن ولعلها تفيد بعض الفائدة قيل
لابي سليمان لم قيل اذا اجل السؤال بعد المنع فقال لان الحال يلتبس بشيء كالاغراء والاكراه والارجاء فيقع للمسؤل انه قد ظلم
وان السائل قد اعتدى فاذا استقر هذا في نفسه وتردد على باله لم يجد في عقابه شيئا اقرب ولا اخصر من منعه ليكون
ما اتاه من جنيته من جنس ما اتاه السائل من جنايته وهذا حفظك الله وان لم يكن من سراة الفلسفة ومن بحبوحة
الحكمة ومن غامض الفوائد كان يجري مع اخوانه في مجالس هؤلاء الاعلام لسبب من الحفظ ولم يعرض لي الفائدة فكرهت ان
لا يكون لها رسم في عرض ما رويناه وهذا الاعتذار مني قد تكرر ولولا سوء ظني بالزمان واهله لما رايت ان عادته تنفع
وتكريره يفيد والسلام **مقابسة اخرى** هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام ابي الحسن محمد بن يوسف
العامري علقت وسمعت اكثرها منه وهي التي مرت في شرحه لكتابه الموسوم بالنسك العقلي ويصلح ان ياتي عليها هذا
الكتاب فاتيت بها على وجهها قصد التكثير الفائدة واحث الجماع الحزم قال اعزه لا بالنفس بل بعيان النفس واشبهه لا للكمال
بل لكمال الجمال واطلبه لا للاتحاد لكن لاستخلاص الاتحاد وقال ايضا لن يوثق بالصديق بل بميزان الصدق ولن تنجح التبعية
بل الكلية التبعية ولن يهجر الكذب بل افات الكذب وقال انظر من جعلك مريدا فاجعله مرادك وجرد الانتساب الى من هو
اولك واخرك وقال وزن النفس بالنفس هو العبارة بالنفس وربيع النفس بالنفس هو العلاج للنفس وعون النفس
بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس وعشق النفس هو المرض وقال سل واهب العقل
اضاءة العقل ولاحظ الحقايق بنور الحق وقال ابدا بالاول فايثار الاولى واعرب الاولى بايثار الاول وقال مبلغ وصال الاحسن
بحران الاقبح ومنشور الراي الاقوم وجدان الاصلح وقال المختار الاول عاشق للاحسن والمقدم الاول مريد للاتقن
وقال امن المؤنة اشرف القنيان واخلاص العمل اشرف للاعمال وعلا وقال الشيطان اشرف من المجاهدات والتهور ولاجنا

٩٠

الداعي الى شرف ... الى تمييز بينها من القنا اشرف من النظر وقال دوام الصحبة للفضلاء من السعادة يروض الطبع على
الجميل من العادة واحالة الفكر في نظام الخليقة يحلي النفس بحال الفضيلة وقال ليس اللطف في تزيين الشئ بل اللطف
في تانيق التزيين وليست المحنة تادية الصنائع بل المحنة سهولة التادية وليس لكمال المطلق اقتناء الفضيلة الانسية
بل ما يتبع اقتنائها من الجود الذي لها اجل النعم هو الاستقبال بشكر المنعم راشرة المواهب هو الفوز بالخلوص لرب المواهب
من لم يؤيد من نفسه باحكام الحكمة ويان يحصل العقل فقد صيرها حجة عليه لا له الفائز بالاشراف اما ان يوجد مستوليا
على المشروف واما ان يوجد مستغنيا عنه والمقتصر على المشروف ان يستقل بالاستيلاء على الاشراف او يستعين بالاستغناء
عند الوضيع اشد حالا من الخسيس فان الوضيع مذموم في الوجود ... والخسيس عرض ولعلى كل حال اشرف العبيد
اخلصهم للمولى واشرف افعال العبيد ارضاها عند المولى واشرف ... العبيد هو ان يصفو له المولى واشرف
هم العبيد ان يتحد بالمولى من خصايص اللذة سلوك النفس الى التقصير بعد الفوز بالتمام ومن خصايص التشبيه
بالضعاف مع وفور الطاقة الحكمة مقتضية لوجود العقل والمعاني الثلاثة في الاقل شئ واحد وهو هو فاما الحق
فاما فيمن دونه فمختلفة في حدودها وان اتحدت في وجودها النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات والنفس الكريمة
هي التي لا تثقل عليها المؤونات مقابل العزيز هو الذليل في التلون في احوالها بسرعة علمه ومقابل الكريم اللئيم والوضيع
من اضاله بالخلل عامة مراتب العبودية بحسب القوة العلمية اربع اولها مرتبة المتقين وهي من علايق الخوف والثانية مرتبة
المحسنين وهي من علايق الرجاء والثالثة مرتبة الاولياء وهي من علايق المحبة والرابعة مرتبة الصالحين وهي من علايق
الاستقامة صورة لكل حاجة بها القاذورات مدرجة في الخيرات والتمسك بالخيرات محصنة عن العفوات والا
من العفو مرتعة للمقامات ومعالي المقامات مجمعة للسرور واللذات متى لم يجلب الموانع فقد يتم الجوهر الجسماني نحو
كاله الاخص العلم الصحيح ابلغ من صلاح العمل السالك من الاعتبار بالعكس فان الرياسة والتكبر بين اليدين فاتحة للسعي في
طلب المولى لا ترك الجميع من هو دون المولى وتمام السعي في طلب المولى الاستغناء عن جميع من هو دون المولى متى جاوز
البعض البعض فقد استغنى الجميع عن الجميع ومتى تكل البعض على البعض فقد اضطر الجميع الى الجميع بدو
التعاون افتقار وتمامه استغناء وبدو التواصل استغناء وتمامه افتقار متى استتبت الحرمة على هذا العرض
الحقيقي فقد سلم المحترف بها عن وصمة التقليد فيها فراق العبد للمولى يكون على صور اربع وهي القطع والطرد
والحسر والحجب نبعاث الخاطر النفساني وان عرض منه التادي الى الحرص فلن يجوز ان يعد مرذولا فان لكل واحد
منهما مقصود آخر عظيم الجدوى فاتى له وبمثله الحالة مكافاة ما ينبعث في النفس كان المتدين يفتتح تدينه
من درجة التقليد ثم يترقى منها رويدا رويدا الى معلوم التحقيق ومهما اقتصر من تدينه على الرتبة كان مذموما وان
وجد في البداءة مختصا بالكنه الحال في اللذة والكرامة والثروة والرياسة المعونة والحرمة قد تقع بحسب القرب وقد تقع
وبحسب تقريب مراتب التقريب بحسب العمل يفتقر الى الآت وهي الاتصال والتفويض والتوبة ومراتب التقريب
بحسب العمل تنقسم الى ثلاث مراتب وهي الخدمة والطاعة والعبادة وقال الحال لا يجب ان تكون حال ... في
الوقت لا يجب ان يكون قريبا من احوال الصبا والطبيعة لا يجب ان تكون ذات فعال او ذات الخلال والشبب
الداعي لا يجب ان يكون اما الثروة واما اللذة واما الرياسة واما المحمدة بل يجب ان يكون اما شرف الفضيلة او تحصيل
السعادة والرفقاء لا يجب ان تكون سبعيين او بهيميين وقال النحو الموضوعة في غير موضعها قد تحسن بعرض



الجهات ثلاث وهي المحبة والغيرة والمدرجة اقفال القلوب اربعة اوّلها الرّيغ ثم الرّين ثم الغشاوة ثم الختم وعلاجها
الايمان والدعاء واليقين بالآخرة والتصديق للرسالة الخلال الانفس يكون على اربعة اوجه اوّلها الكسل ثم الغباوة
ثم القحة ثم الانهماك وعلاجه استشعار التقوى والمحافظة على العبادات والانفاق في سبيل الله النفس اعلى النفس صمما هو ان
لا يفرح بشيء من السنخ كفرحه بصحته ما الك الملوك وهو الحال الفصلي للطبيعة الانسانية اختصاصا كل موجود بفعل
له على حدة يحقق ان وجدانه ليس بعيب والخسران لعقل عن ان يتوهم ان ذلك الفعل موجود الاخر صالح لم منه تحقق له
انه ليس بناقص الذات اذ قد تفرع كل من الموجودات بفعل له على حدة فمن اين تعرف وبالذى يصدر عن مجموعها من الفعل
المختص به من وجد مجموعا ان ينتفع بسيا قه الشيء الى الكمال اذ لم يحفظ علته ولن ينتفع بحفظ علته اذ الم يصر ذاته بنفسه
مستحفظا لطباعه على اخص كمالها ولم يصر امنا في سربه من طغيان الاثر الغيرة الاعداء ولن ينتفع بالامن عنداء الا اذا الركز
الامن ابديا على الاطلاق ان شرف الانسان هو الفوز بالسعادة العظمى ونيل المنزلة عند ربه ومن الواجب ان يكون غرض
الصناعة المعينة بشان الانسان بما هو انسان اعني النسك والزهد هو تحصيل السعادة العظمى والمنزلة عند الله تعالى
وكان الشخص الواحد من اشخاص الناس غير صالح لاستبان صور الموجودات كلها في ذاته فيصير بذلك عالما على حد ما
حسب ما في اشخاص الحيوانات للاخر لما امتنع ان يغني فناءا ابديا ويخلفه الاخر مكانه ازدحام الصور المتقابلة في الجوهر النفساني
ليس ممتنع وازدحام الصور الكثيرة الى ما لا يتناهى ليس ممنوع فبو جد التلاشي عليه اذ نليس بواجب وحصرها اذا انحلت بالابدان
الكلية بطباعها الخاصية غير بعيد ان يكون الكمال المطلق هو ان يصير جوهره بحسب السعي الاختياري حكيما تادرا جوادا وهو
يصير العبد ربانيا بالحقيقة لما جعل الشخص الحيواني توليد المثل ببقاء نوعه فقد اهلك بالطبع المتمم لغايته وبالعكس لما حرم الكمال
الاشرف بنفس حيلته قصر طباعه عن التصور لهما سافلو ضاهاه الانسان في هذا الكمال لشاكله في القصور عن التصور اذا سعد
العبد بوصال مولاه على الحقيقة فقد صارت دنياه اخرته وموته حياته وفقره غناه ومرضه صحته ونومه يقظته وضعفه
قوته وهمه فرجه واذا اشقي بالحجب عن مولاه فقد انقلب الامر بالضد مراتب العبودية في المعيشة الدنيا وية على الحقيقة
اربع اولها الاهتمام للسعادة ثم التشاوك اليها ثم الحصول عليها ثم الاستمساك بها وفي المعيشة الاخروية تبيان وهما الاغتباط
بنيلها والاغتباط بالامن من زوالها كما امتنع عليها بزوال المختص به فقد صار وجوده على ما هو عليه مضاهيا للعدم وتلك
هي حسنة ذاته صلاح الواحد ينزل منزلة الملك وصلاح الجميع ينزل منزلة الملك وحيث وجد الملك وجد الملك ع
لا ينعكس فان الانسان لن يشرف بان يصير مالكا بل يشرف اذا صار ملكا وفعل المالك حفظ القنية على صورتها وحفظ
الملك حفظ مراتب القنيات على درجاتها متى علم ان الشيء مما يجب ان يعلم وانه ليس بعلم فقد صار المفعول عنه بحره وما عليه
ذلك هو مفتح الشحي وهو في الحقيقة اكثر من ضعف جهلته كما انه ليس يسكن العقد الصحيح الى معرفة المبدأ القريب من الشيء
دون ان يعرف المبدأ الاول على الاطلاق وما بين المبدأين من الوسائط كذا ايضا لا تهدأ النفس لقوية على معرفة الغرض
القريب للشيء دون ان يعرف الغرض الاخير على الاطلاق وما بين الغرضين من الوسايط ان كان الاول المحض والاخر المحض بالذات
شيئا احدا وان اختلف الوصفان عليه بالاضافة فبالحري ان يكون المبدأ والغرض المحض غير مختلفين وبالذات وان اختلفا
بالاضافة التعرف للذات بحسب المنتهى اربعة وهي ان تعرف لما ذا هو وكيف السبيل اليه وما الذي يحتاج اليه في التوجه
نحوه وما الذي يعوقه عن بلوغه مراتب التعرف للذات بحسب المبتدأ اربعة وهي ان تعرف ما هو ومن جاء به ومن دا جيه
وكيف كان تجيه ومن اجل ان المستخدم قد يضطر الحال الى استصلاحها واستحفاظها فيصير فعله فيهما عند ذلك شبيها

بفعل المتادم بها في الظاهر فليس بعجيب ان يعرض منه الغلط او يبلد ومن جهته لا انخلاع من سوس العقل الصريح التفرقة بين
الحسن والقبيح ومن سوسه ايضا السكون على الحسن والالتفات عن القبيح لان الشيء متى كان مفرطا في الحسن فانه يبهر العقل
الجري ويحتاج منه الى التدريج اليه والقرين عليه خصوصية هذه الصناعة رياضة للانفس الناطقة على تادية الافعال البشرية بصورة
مستحسنة لاكتساب الزلفى عند خالق البرية ان يكون الغاية محدودة في نفسها موجودة بذاتها بل يجب مع ذلك ان تكون متصورة
عند القاصد لها على ما هي عليه وان تكون ايضا متشوقة محبوبة وهذا يجب ان نعرف من درك الغاية اهو من جملة النعم ام ليس هو
من جملة النعم وان كان من جملة النعم اهو مما ينال بحسب الاتصال ام بحسب التعويض ام بحسب المثوبة هذا آخر التعليق عن نفس
اللصوجهر وقد كان قادرا على هذا الجنس من الكلام المطول ارتياضه وكثرة فكره فيه مع سيرة جميلة ولقد ورد بغداد سنة اربع
ستين وثلثمائة في صحبة ذي الكفايتين فلقي من اصحابنا البغداديين عنتا شديدا ومناكدة وذلك ان طباع اصحابنا معروفة
بالحدة والتوقد على فاضل يجيء من غير بلدهم وذلك كالجالب لتنافس مانع من التناصف وهو خلق تابع لهواهم وترائيهم
تلد حتاجوا من اجل ذلك الى علاج شديد ومقاومة طويلة وقل من يتخلص الى غاية هذا الباب لغلبة الطباع وسوء العادة
وشرارة النفس والحكمة على السنتهم اظهر منها على افعالهم ومطالبتهم بالواجب لهم اكثر من بذلهم الواجب عليهم وهذا
باب وان كان فاشيا في جميع الناس فهو في اصحابنا افشى وهو من جهتهم امد وهو على ذلك لا يعشر واحدا منهم ابدا من
في عشرة من غيرهم واذا كان الكمال عزيزا في النوع كيف لا يكون عزيزا في الواحد نسأل الله خلقا طاهرا وعملا صالحا
وعلما نافعا **مقابسة اخرى** ٩١ قد عرفت في هذه المقابسة التي تقدمت فنون من الحكمة وانواع من القول يشتمل في جميعها
الا حظ النفس لرواية عن هؤلاء الشيوخ وان كنت قد استفرغت الطاقة في تنقيتها وتوخي الحق فيها بزيادات يسيرة لا
تمنع الابهام او نقص خفي لا يبالي به وانا اسألك ان تاخذ منها ما ينفعك وتدع علي ما بار عليك ولاجل ما سلف من القول
في المسائل ما احببت ان احكي لك حدودا حصلتها على مر الزمان بعضها اخذ من اقوال العلماء وبعضها التقط من بطون الكتب
بعد ان عرض الجميع من يوثق بصناعته ويرجع الى نقده واختياره فاشركني في فوائدها وهب لي من بعض استحسانك لها
وتعهد في بكرمك وفضلك اللذين لا يستغني مثلي عنهما واستقر اني نقلت هذا الكتاب والدنيا في عيني مسودة وابواب
الخير دوني منسدة بثقل المؤنة وقلة المعونة وفقد المونس بعد المونس وعثار القدم بعد القدم وانتشار الحال بعد
الحال هذا مع ضعف الركن واشتعال الشيب وخمود النار وافول شمس الحياة وسقوط نجم العمر وقلة حصول الزاد
وقرب الرحيل والى الله التوجه وعليه التوكل وبه المستعان ولا موفق غيره ولا معين سواه وفي الجملة اسالك بالله
الذي يتقاسم به الفتيان ظرفا ان تعذرني في تقصير تعثر عليه فوالله ما شرعت في تحبير هذا الكلام وايراد هذه الوجوه
لاشتغالا بالعلم لا ثقة ببلوغ الغاية وانت اولى من عذرني الى الحق منا عتذر وهذا كله يجري في مجالس مختلفة بين
مشايخ الوقت بمدينة السلام ورايت ان اخلالي بتحصيل على اي وجه كان اشد من اخلالي بتقصير يمر في جملة ذلك
فتعرفت له على علم مني بقلة السلامة على ان من اخا علي بحده وكشر لي عن نابه وجعل صوابي خطاء وخطائي فيه عارا
احتملت وصبرت وتغافلت وعذرت واذ كنت في جميع ذلك راويا عن اعلام عصري وسادة زماني فانا افدي اعراضهم
بعرضي واقي انفسهم بنفسي وانا اذود عنهم بلساني وقلمي ونظمي ونثري وارجو ان لا اخرج عند التصميم وضيق
العطن عند الحمام الى مفارقة الادب والى ما يقبح لاحد ثم فاقول قولا لا يورث الندامة وابرز بروزا يجلب الملامة ولست
انا فسل حلا على هذا الحديث لابعد ان يرسم بقلمه في هذا الفن عشر اوراق يسلم فيها كل السلامة ويتبرا فيها من

كما قال

كلا قالته وهذا مما لا يتطاول له كل احد ولا يعثر به كل انسان والطعن بالقول سهل من جميع والعنف خفيف على لسان كل
غايب والتعقب مركوز في كل وقت ولكن الستر اجمل والابقاء احمد ولان يطلب التاويل في سهو يعرض احسن من ان يتتبّع
الخلل فيما العلة يتسبب على ان الحسن لا تقدم فاما كان الحسنة لا تقدم ملاما والسلام والمقابسة التي من قول العامري قد
جعلناها مقصورة على حدود حصلناها ونفثرها فوائد جمة ولو كان الوقت يتسع لوصلنا جميع ذلك بما يكون شرحا له وتابعا
معه واتساعات ملا خفاء به من المكروه واعلم ان النفس ذا الحالة الاخوان تلائمه من الرضى بالممكن والنزول عند التسهل والقناعة
بما عند الكلام الجواب انه مولف من صوت وحرف ومعاني يقال كيف يحصل الجواب يجذب الانسان الهوا بالحركة الطبيعية
وحصره في قصبة الرئة ودفعه ومصاكته بالحركة الارادية للهوا الخارج بحروف يجذبها الة الاصوات وهذه مركبة دالة
بحروف اتفاق والتساق على معاني فكر النفس الناطقية بقدر الهواجس الطارية والخواطر السانحة والصواب المؤيد من العقل
والاثر الحاصل في القلب يقال ما الشعر الجواب كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقواف متواترة ومعاني معادة ومقاطع موزونة
ومتون معروفة يقال ما الغناء الجواب شعر ملحن داخل في الايقاع والنغم الوترية منعطفة على طبيعة واحدة ترجع مشاكلة
اليها يقال ما الايقاع الجواب فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة يقال ما اللحن الجواب صوت تميّز جرمه
خارج من غلظ الحلق ومن حلة الى الغلظ بفصول بينة للسمع واضحة للطبع يقال ما النغم الوترية الجواب استحالة الصوت
من نسبة شريفة الى نسبة غير شريفة القاطع ومواضع استراحات الانفاس مع تمام دور من ادوار الايقاع يقال ما الطنين
الجواب هو رجوع الهواء من جرم المقروع الجوف منه وذلك ان الجرم العميق الاملس اذا قرع شي نبا عنه ثم عاد اليه كالكرة
اذا ضرب بها الارض وكذلك الصدا من المتكلم يقال ما الجدل الجواب مباحث مقصورة بها ايجاب الحجة على الخصم من
حيث الا يقوى ومن حيث لا يقدر ان يدفع يقال ما المحال الجواب الجمع بين المتباينين في شي ما في زمان واحد وجزء
واحد واضافة واحدة وسمعت ابا سليمان يقول المحال لا صورة له في النفس فقيل له الباري في هذا اما يقول فيه
المحال هو فقال لا لان عليه شهادة من العقل فبشهادته ثبتت انيته وبارتفاع صورته انتفت كيفيته وهذا غير التوحيد
وقد مر الكلام في التوحيد عن هذا الشيخ وعن غيره على سعة اطرافه وضيق عباراته فلا وجه للاطالة في هذا الموضع
لولا ان هذا القدر كالبيضاء ما اقترن به واشتمل عليه لكان تركه اولى وعلى كل حال ففيه تحليل لهذا الباب وبعث على ما
تنزع النفس اليه من هذه الحقايق وليس من فصل في هذه الرسالة الا وهو يحتمل ضروب من البيان واصناف من القول ولكن
الاقتصار اليق بالحال واحسم لمادة الشغب والجدال فقال ما الكون الجواب خروج الشي من القوة الى الفعل يقال ما الفساد
الجواب خروج الشي من الفعل الى القوة يقال ما الجمع الجواب انضمام المادة الى نفسها وتلاقي اجزائها يقال ما الانفراد
الجواب انفصال المادة باقسام لطيفة صغيرة القدر يقال ما الباطل هو ما باين الموجود هو ما هو يقال ما الخير بالحقيقة
الجواب هو ما يراد ويوثر لاجل ما يراد لا لاستعارة لذاته يقال ما الشر الجواب هو ما يهرب منه لاجل ذاته وايضا الشر
هو ما يهرب منه لاجل انه يودي الى الاستعارة الى ما يهرب منه لاجل ذاته يقال ما الذكر الجواب احضار الذهن ما تقدم وجوده
في النفس يقال ما الذهن الجواب جودة التمييز بين الاشياء يقال ما الذكاء الجواب سرعة الانقداح نحو المعارف يقال ما
التواني الجواب هو نهاية الفكر يقال ما الشك الجواب هو تردد النفس بين الاثبات والنفي يقال ما الارتياء الجواب تجارب
يقال ما اليقين الجواب مطابقة العقل معقوله يقال ما العلم الجواب وجدان النفس الناطقة الاشياء بحقايقها يقال ما
الحكمة الجواب هو حقيقة العلم بالاشياء قائمة ووضع كل شي في موضعه الذي يجب ان يكون فيه الموضع تمييز فقط يقال ما ا

الجواب هو جمع القضايا واستخراج النتايج ويقال ما العزم الجواب الراي على الفعل يقال ما اليقين الجواب سكون النفس
مع ثبوت القضية ببرهان وايضا هو وضوح حقيقة الشيء في النفس يقال ما المعرفة الجواب راي غير زايل والراي هو
الظن مع ثبات القضية عند المتادي فهو اذن سكون الظن يقال ما الجزم الجواب هو قوة يحدثها قوة الثقة بالراي لانه
مع سكون الظن بمواقيتها يقال ما الوهم الجواب هو الوقوف بين الطرفين لا يدري في ايهما القضية الصادقة يقال ما التوهم
الجواب موافقة الظن العقل من غير اثبات حكم يقال ما التصور الجواب هو حصول صورة الموجودات العقلية في النفس
يقال ما الذكر الجواب هو سلوك النفس الناطقة الى تحصيل المعاني ومعرفة ماهياتها يقال ما الحفظ الجواب ثبات صور
المعقولات والمحسوسات في النفس يقال ما الحس الجواب وهو قبول صور المحسوسات دون حواملها يقال ما التخيل الجواب
هو حصول صور المحسوسات بعد مفارقتها وزوالها عن الحس يقال ما الادراك الجواب هو تصور نفس المدرك بصورة
المدرك يقال ما المعرفة الجواب هو ادراك الصور الموجودات بما يتميز عن غيرها وهي بالمحسوسات اليق لانها تحصل بالوسم و
الوسوم ماخوذة من الاعراض والخواص والعلم بالمعقولات اليق لانه يحصل بالحدود والمعاني الثابتة للشيء يقال ما
الاستقصاء الجواب هو ما يكون فيه الشيء ويرجع اليه منحلا منه الكائن بالقوة يقال ما الصورة الجواب هي التي بها الشيء هو ما
هو يقال ما المكان الجواب هو حيث النقل لانطباق المحيط والمحاط به وايضا هو ما بين سطح الجسم الحاوي والظاهر على
الجسم المحوي يقال ما الزمان الجواب مدة تعدها الحركة ثابتة الاجزاء يقال ما الجرم الجواب ما له ثلثة ابعاد طول وعرض وعمق
يقال ما الكثرة الجواب هو انفصال الهيولى باقسام كثيرة عظيمة القدر يقال ما الملازمة الجواب امساك نهايتي الجسمين
بجسم ثالث بينهما يقال ما الاجتماع الجواب هو تقارب الاجسام بعضها من بعض والافتراق تباعدها يقال ما السيال الجواب
كيفية سريعة الزوال يقال ما الاتصال الجواب هو اتحاد النهايات والانفصال تباين المتصلات يقال ما الرطوبة الجواب علة
سهولة انحصار الشيء بذات غيره وعسر انحصاره بذاته وايضا هي الكيفية التي لا يحيط بشكل الجسم الذي هي فيه على شكل
محدود ولا يعسر انه يتشكل بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما اليبس الجواب علة انحصار الشيء بذاته وعسر انحصاره بغيره
وايضا هو الكيفية التي تحفظ شكل الجسم الذي هي فيه وحتى لا يتشكل بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما البرودة الجواب جمع
الاشياء التي من جواهر مختلفة والتفريق بين التي هي من جواهر واحدة يقال ما الحرارة الجواب علة جمع الاشياء التي هي من جوهر
واحد وتفريق الاشياء التي هي من جواهر مختلفة يقال ما المؤلف الجواب المركب من اشياء متفقة بالحس مختلفة بالحد
يقال ما الروية الجواب هي التمثيل بين خواطر النفس يقال ما الفعل الجواب تاثير في مؤثرات التاثير وايضا هو الحركة التي
تكون من نفس المحرك والقابل عنه يقال ما الاختيار الجواب هو ارادة تقدمتها روية مع تمييز يقال ما التحديد الجواب جمع
ذوات مختلفة الى ذات واحدة يقال ما النفع الجواب الشيء المشوق من الكل يقال ما القسمة الجواب هي تفصيل مجمل ما فصل
الكتاب يقال ما المدخل الجواب هو قول يفصل المعاني فيما يحتاج اليه في معرفة ما هو مدخل اليه يقال ما المنطق الجواب
يقال هو صناعة اداة ويتميز بها بين الصدق والكذب في الاقوال والحق والباطل في الاعتقادات والخير والشر في الاحوال
يقال ما الصناعة الجواب بالاطلاق هي قوة للنفس فاعلة باعمال مع تفكر وروية في موضوع من الموضوعات نحو غرض
من الاغراض يقال ما الصدق الجواب قوة مركبة من الحق يقصد بها العدل والحق يقال ما اليقظة الجواب هي استعمال النفس
المنطقية لاستعمال الات البدن من غير مرض عارض وللانسان على طبعه يقال ما الحياة الجواب هي رباط الحركة وحس
ومتقلبهما وتربيتها والموت ضد ذلك يقال ما الشجاعة الجواب هي قوة مركبة من العز والغضب تدعوا الى الشهوة لا

الجبن

الجبن ضده يقال ما الفرح الجواب هو انبساط النفس من داخل الى خارج على المجرى الطبيعي الخوف ضد ذلك يقال
ما المجهول الجواب الذي لا يقتنع بما يتخيل في وهمه تخيلا ضعيفا من غير نظر ولا فحص والغيظ هو ابتداء الغضب يقال
ما الركين الجواب هو الذي يكون العزيمة منه مع تمييز وتفكر يقال ما الحسود الجواب هو الذي لا يحب لاحد خيرا ويحبه
للاضرار بهم وبنفسه كي يستمتع بذلك مكروه يقال ما الذحل الجواب هو حقد يقع معه رصد الفرصة والانتقام يقال
ما الحقد الجواب هو غضب يبقى في النفس على وجه الزمن يقال ما الغضب الجواب هو غليان دم القلب لشهوة الانتقام وهو الحركة
لقهر ما اضر بالبدن يقال ما العجب الجواب هو ظن الانسان بنفسه انه على الحال التي يجب ان تكون عليها من غير ان تكون عليها يقال
ما الرضى الجواب هو قناعة النفس بما لانه غير تافهة يقال ما الحياء الجواب هو خوف الانسان من تقصير يقع منه في هذا خصلة
في شيء ما او في كل شيء يقال ما الاستطاعة الجواب هو التهيؤ لتفعيل الفعل بارادة المختار من غير مانع ولا عائق يقال ما الشهوة
الجواب هي التشوق على طريق الانفعال الى استرداد ما نقص مما في البدن والى نقص ما زاد فيه يقال تزيد بالانفعال انه شيء يجري
على خلاف ما يجري به الامر الذي هو بالتمييز والفكر يقال ما المحبوب الجواب هو مطلوب النفس ومتمم القوة التي هي علة
الاتحاد ما من شانه ان يتحد يقال ما الوقت الجواب هو نهاية الزمان المفروض للعمل يقال ما البصر الحسي الجواب هو اتصال
النور النفساني بنور الشمس بتوسط الهواء يقال ما الحد الجواب هو قول دال على طبيعة الشيء الموضوع بمنزلة ما هو
يقال ما الرسم الجواب قول مميز للموضوع من غيره مركب من صفات عرضية اكثر من واحد يقال ما الخاصة الجواب هي كالرسم
الا انها من صفة واحدة عرضية يقال ما الانسان الجواب هو ناطق مايت حي دلالة على الحي النطق والحركة والناطق
دلالة على العقل والروية والمايت دلالة على السيلان والاستحالة يقال ما الممكن الجواب هو الذي بالقوة تارة وبالفعل
فيما يوصف تارة يقال ما الممتنع الجواب الذي ليس بالفعل ولا بالقوة فيما وصف به ابدا يقال ما القول المطلق الجواب الا ان
يشبه بها انه اخر يقال ما الكيفية الجواب ما هو شبيه وغير شبيه يقال ما الكمية الجواب ما احتمل المساواة وغير المساواة يقال
ما الصدق الجواب مطابقة القول لما عليه الامر ويقال ايضا الاخبار عن الشيء بما هو عليه يقال ما الكذب الجواب لا مطابقة
القول لما عليه الامر وايضا الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو يقال ما الحق الجواب هو ما وافق الموجود وهو ما هو يقال ما العنصر الجواب هو
طبيعة كل ذي طبيعة يقال ما الهيولى الجواب قوة موضوعة لحمل الصور منفعلة يقال ما الجوهر الجواب هو القائم بنفسه
الحامل للاعراض لا يتغير ذاته موصوف لا واصف يقال ما النفس الجواب تمام جوهر ذي آلة قابلة للحياة وايضا هي جوهر
عقلي متحرك من ذاته بعدد مؤتلف وايضا هي جوهر علامة مؤلفة بالفعل يقال ما العقل الجواب جوهر بسيط يدرك
الاشياء بحقيقتها لا بتوسط زمان عند فطنة واحدة وايضا هو الذي من شان الجزء منه ان يصير كلا وفي معنى هذا القول من
شان عقل زيد مثلا وهو عقل جزئي ان يعقل كل المعقولات التي من شانها ان يعقل ان يقصر به الزمان او يعترضه عائق
وليس شيء من الموجودات لهذا المعنى سواه يقال ما القادر الجواب هو الذي ينفذ ارادته فيما له بالقوة العاجز ضد ذلك
يقال ما الفعال الخير الجواب هو الذي لا يبخل على احد في شيء من الاشياء يقال ما الازلي الجواب الذي لم يكن ليس وما لم يكن
ليس لا يحتاج في قوامه الى غيره والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره لا علة له يقال ما القائم بذاته الجواب هو الذي حله ما
غيره وما ليس هو قائما بذاته هو الذي حله خارج منه يقال ما العلة الاولى الجواب مبدع الكل متمم الكل غير متحرك وايضا
فقط وايضا خير محض يشتاقه كل شيء سواه ولا يشتاق الى شيء سواه وايضا هو وجود مطلق الكل وجود عقلي وحسي وايضا
الواحد بالقول المطلق لا كالجنس الواحد ولا كالشخص الواحد يقال ما النفس ايضا الجواب روح الله منبجسة بتوسط العقل

يقال ما الكتب الجواب قوة روحانية تنقل فعلها من خارج بها ما الحركة الجواب هي على ثلاثة اوجه مستوية ومستديرة ومنفجة يقال وما
الطبيعة الجواب هي قوة عنصرية ذات قوى متوسطة بين النفس والجرم لها مدد وحركة وسكون عن حركة يقال ما السماء الجواب جوهر
مستدير مركب متحرك حركة شوقية دائمة يقال ما الفرح الجواب ايضا انبساط الطبيعة من داخل الى خارج والطبيعة
هنا الحرارة الغريزية والحزن انقباض الطبيعة من خارج الى داخل يقال ما النوم ايضا الجواب فتور القوى في عمق النفس يقال
ما الارادة الجواب هي ينبوع حركة قوة بسيطة نفسانية عن فهم بعد الشوق يقال ما اللذة الجواب انطباق الشهوة الطبيعية من
النفس بالملائم يقال ما الكل الجواب هو جوهر محيط بالاجزاء لا شخص له هذا اخر المقابسة التي اتت على حدود هذه الاشياء
وهي وان كانت تحتمل التخفيف فبعض الطالبة ولا اعتراض بعض الاستقصاءات فقد حوت معاني غريبة وطرقا واضحة وقد كنت
عرضت اكثر هذا على ابي سليمان وعلى غيره فما اصبت عند احد منهم ما يحكى الا ما قال الجماعة من النحويين فانهم يعرجوا لكل كلمة
بعد كلمة منها من ناحية الاعراب والصوغ فاملت على ابي سليمان ذلك فقال انا استقام لك عمود المعنى في النفس بصورته الخاصة
فلا تكترث ببعض التقصير في اللفظ قال وليس هذا مني في تصحيح اللفظ والتلاف التزويق وتحبير البيان ولكن اقول متى تحب اللفظ
والروايات واعتاص ولم يسمح فلا تفت نفسك خصايص المطلوبات وغايات المقصودات فلان تخسر صحة اللفظ الذي يرجع الى
الاصلاح اولى من ان تعدم حقيقة الغرض الذي يرتقى الى الايضاح ولولا هذا الذي قاله هذا الشيخ لما اخترت نثر هذه الحدود على
ما عرفتك من اعلالها والموارد القول عليها ومن يجر الحكمة قد نقر نقدا اوفى فضلا كثيرا وان عوز اعطيها واخر ملكا كبيرا

٩٢ **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان انما صار العلم والمعرفة واليقين والفضائل باسرها قليلة في هذا العالم لشرفها في انفسها واتصالها بما
وهكذا اعز كل شيء شريف في نفسه وعز في جوهره انظر الى المعادن في الارض والى قلتها اذا انتدرت سائر الاجسام ثم انظر الى
قلة الاشرف منها وهو معدن الذهب ثم انظر الى محل العلة بما فيه الا المستهتر بالطلب والجهد والمعاناة والكدح وهكذا العلم
والفضايل تعرف في هذا الحساب لانها تنبو عنه قلة يقر فيه ولا يانس به فمن هنا كان علما اشتهر وفشا وكثر فانما ذلك بمعونة الطبيعة
وكثرة المادة وغلبة الهيولى ولاختلاف النفوس باصناف المزاج والتربية فاما كيفية النفس وارتضاء العقل واثارة الفكر وان
من باب الحقايق ذا يقين والطمانينة والسكون وروح البال وطيب النفس فانما ذلك بمعونة العقل واتصال بجوده وعزازة
فيضه وغلبة سنخه وتعهد الباري الذي اليه ينتهي العقول والوهم وعنده يقف النثر والنظم وعليه يشتد اللطف والذي هو الكل
المستولي على الكل

٩٣ **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان انما عرض الاختلاف من الناظرين في العالم اقديم هو ام محدث
لامر لطيف وذلك ان الناظر الى المركز وجد الشيء الكائن ثم وجد الشيء الفاسد فحكم بان الحدوث والقدم قد تعاقبا عليه
قدم الزمان وحدوث ايضا بالزمان في اتي الحكم بانه محدث واجب والناظر الى هذه الاجرام العلوية وجده لا يكون ولا يفسد
ولا يعتريه ذبول فحكم بانه قديم وكان النظران صحيحين من الجهتين المختلفتين والشرف على الحقائق وهو الذي يقضي
بالواجب لانه ينسى السفلي الى العلوي او يبتدئ النظر من العلوي الى السفلي فعند هذا التصفح والاستبانة يحكم بالحق و
يقول قديم بالسوس حديث بالتخطيط وكيف لا يكون كذلك واثار الصورة فيه ظاهرة واثار الهيولى فيه حاضرة فاثار الهيولى
هي التي درست وعافت وبادت وانتشرت واثار الصورة هي التي ثبتت واستمرت وبقيت وشرفت وحسنت وعلت ظاهر
هذا عند من لا دراية له بهذا البحث متناقض وانه قد جمع في هذا الحكم بين السلب والايجاب

٩٤ **مقابسة اخرى**
قال ابو زكريا الصيمري عند ابي سليمان في مذاكرة طويلة ان كانت النفس واعتبار حالها بمنزلة الدرة في الحقة والجوهرة
في عمق البحر وما اشبه ذلك فليست النفس في حكم البدن ولا حالها الا يقربها حال الكائن الفاسد لان الدرة ليست في

الحقة التي فيها والغشاء الذي هو عليها في شيء وان كانا يتصل وتشوبه فهي بائنة لا ابقاء لها ولا خير فيها وفي المكوان كو
مع خواصها الشريفة وعجايبها الغريبة في حكم السائل الذي دثر والدارس العافي وقد اتت المقابسات الاولى على نفر
يلغم في تحقيق شان النفس واثبات امرها وما خصت به دون البدن والمزاج وتوابعها ولواحقها لا وجه للولوع بالاكثار
فان ذلك ربما اخرج الى التقصير وحمل على الاعتذار وهذا علم كلما قلت الحروف فيه كان للمعنى بها اتم واخلص وكلما اكثر اللفظ كان
ما يراد به ويعنى فيه انقص وليس كذلك باقي العلم والسبب في ضيق هذا العلم انه بحث عن حقايق الموجودات وفصلها الى
المعقولات والخصايص عرية من العلل والشبهات بعيدة من الشكوك والمعارضات غنية عن التاويلات والاحتمالات لانها
اعراضها عن زخارف القول وترتفع عن مواقع الاستعارة والغلط والتجوز والاتساع ولهذا ما اتساع نظرهم الحصر للموجودات
في دائرة العشرة حتى لحظوا الجوهر والكم والكيف والمضاف والاين وكذلك متى والواحد له ويفعل وينفعل وفصلوا الخواص
وحققوا حدودها واوضحوا علاماتها واستوفوا جميع احكامها المفصلة بين المعاني اللفظية والحقايق الالهية والمواد
الطبيعية والمناسبات الكلية والجزئية وفي ضمن هذه الكلمات الشريفة الحاوية لكل ما علا وسفل معنى هو الجنس الاعلى ومعنى هو
النوع الاقصى ومعان بينهما اذا اضيفت الى ما علا منها كانت انواعها واذا اضيفت الى ما سفل عنها كانت اجناسها ولما
فات ساير العلماء هذا البحث تاهوا واضطربوا وحاروا واحترقوا وصار ذلك ثبوتا للعداوة وسببا للاختلاف وبهذا
النظر ايضا عرفوا القوى الاول من النفس الا تراهم اذا سموا شيئا بالباقي كيف يعنون به الجسم المتنفس اي الذي له جملة القوى
النفسانية القوة المولدة وبها يكون النسل والقوة المربية وبها يكون البقاء والقوة الغاذية وبها يكون الزيادة وبهذا النظر
استعملوا من العقل ما الشيء الذاتي وما ذلك الذي ليس بذاتي وما الكلي وما الجزئي وما المحمول والموضوع وما
الخاصة وما الاعيان والذوات والمواد وما المعاني المنطقية التي انما تضيف الاضافة وكيف حصل معنى يعم الحيوان
الذي هو جنس للثور والفرس والانسان وكيف حصل الناطق الذي هو فصل بين الانسان والفرس حتى تميزت
الاشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض ما هو بالوضع وما هو بالطبع وما له مبدأ وما له من المبدأ وما علته فيه و
ما علته سواه وما لا علة له علة لما هو اول في العقل وما هو علة في النفس وما هو اول بالطبيعة وما هو اول بالزمان وما هو
اول بالدهر وما هو اول بلا سبب عنى بالاطلاق وما هو بسيط وما هو ممزوج وما هو حق وما هو باطل وهذه تلاع
لا يرقاها الا الاقوياء الاصفياء وبحور لا يركبها الا السعداء الفضلاء وانا اعتذر من انشقاق الكلام في هذا الموضع وفرش
الحديث به مع تباعدي عن كثير مما هو اولى بي وانفع لي ولكن الكلام صوب لا يملك اذا اهطل وهيمان لا يحصر اذا انتشر
ووسمي يتبعه الولي وخيره ما كان عفوا وشره ما كان تكلفا ولست اعني بهذا بلاغة البلغاء ولا خطابة الخطباء ذلك
شان عن غير هذا الحكم لانه ملحوظ بالهذر وربما يستغنى عنه في الاكثر وانما اعني ما يطيق الفصل ويحققها ويحثها بالمعنى و
ياتي على المراد ويشفي عليل النفس ويهدي اليقين فذلك كالعرض لا ثبات له ولا سكون معه وقد يعرض ايضا في تحقيق المعاني
وتحصيل الاغراض بعض التجوز والسعة ولا يكون ذلك معتمدا بالقصد الاول ولكنه يكون كالشيء الذي لا يعرى عن محاسن
الامر الذي لا يخلو من ضده وكيف يصدر عن الانسان المركب الممزوج بانه لا عيب فيه او كيف يصح له فعل لا عتب عليه فيه وانما
يصدر من المركب مركب مثله ومن الممزوج ممزوج شبيهه ولكن بين المركب والمركب بسيط وبين الممزوج والممزوج
صاف وبين المعقول والمعقول صلاة وبين المظنون والمظنون فنون تشير الى اليقين فما احرى من فتح الله بصيرة
ايقظ نفسه ان يعترف بنعمته عليه وينشر ما قد وهب له وقد رويت في هذا المكان عملا وجدته لبعض اصحابنا

كتبوية وكان تذكرة نفسه وبا تحبير لسانه ومشهد طرفه وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه الله فلان بن فلان
وهو يومئذ آمن في سربه معافا في جسمه عنده قوت عمره لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ولا يوالب
مخلوقا ولا يستجلب منفعة من الناس ولا يستدفع مضرتهم عاهده على ان يجاهد نفسه ويتفقد امره ما استطاع بعزم
وتشمير ويجاهد وعلامة عفته ان يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسما او يهتك مروءته وعلامة شجاعته
ان يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه وعلامة حكمته ان يستبصر في اعتقاداته حتى
لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح اولا نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها
التي هي العدالة بذكر ايثار الخير على الشر في الافعال والحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الاقوال هي ذكر
السعادة وان تحصيلها يكون باختيار ما اذكره للجهاد الدائم لاجل الحرب اللازمة بين المرء ونفسه التمسك بالشريعة و
لزوم وظايفها حفظ المواعيد حتى ينجزها واول ذلك ما بيني وبين الله عز وجل قلة الثقة بالناس بترك الاسترسال محبة
الجميل لانه جميل لا لغير ذلك الصمت في اوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل حفظ الحال التي يحصل بها شيئا بعد شيء
حتى يصير ملكة ولا يفسد بالاسترسال الاقدام على كل ما كان صوابا الاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون
غيره ترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي وترك الدنية ترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم
وللانفعال لهم حسن احتمال الغنا والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور
والرضى عند الغضب ليقل الطغى والبغي قوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى فاذا يسر الله تعالى اصلاح نفسه بما
عاهد عليه تفرغ بعد ذلك الى اصلاح غيره وعلامة ذلك انه لا يبخل على احد بنصيحة ولا يمنع احدا رتبة يستحقها ولا
يستبد دون الاخيار بما يتسع له فاذا اكمل الله ذلك ورفع عنه العوائق والموانع وبلغه ما في نفسه من هذه الفضائل
ليصير بها من اوليائه الفائزين وانصاره الغالبين وعباده الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون نقله سبحانه
لجملة الى كل ما دعاه به ووثق بعد ذلك الى ما جانبه الى كلها وكله الجود ومن اعطاه ما لا يحسن ان يرغب فيه واعادته
بما لا يحسن ان يستعيذ منه وهو حسبه وعليه توكله ولا قوة الا به وهذا آخر العهد وهو غني عن تقريظي ودلالتي على حسن
لفظه والحق عليه فمن جعل هذه كبيلة صدره وعقيلة سره ووسيلة بينه وبين ربه فهو الفيلسوف المحق المبرز المحقق

٩٥ **مقابسة اخرى** روينا لابي سليمان كلاما لبعض الصوفية فلم يفكه ولم يعش عنه وقال لو قلت انا في هذه الكلمة
شيئا لقلت الحواس مهالك والاوهام مسالك والعقول ممالك فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن
قوي على المسالك اشرف على الممالك شرفا يوصله الى المالك قال ابو الخطاب الكاتب ايها الشيخ هذا والله احسن من كل ما سمع منهم
فلو زدتنا منه فقال الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقل مدلة فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني ادرك في الثالث ومن
ادرك في الثالث فقد افلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف في الثالث فهو من الهمج واستزاده مظهر
الكاتب البغدادي فاستعفى وقال هذا حديث قوم باعد بيننا وبينهم بعض المشاكلة وما قلناه كاف فيما قصدناه فاستتب
خفت العار واستحليت الغار ولكل افق يد ورون عليه وركن يطمئنون اليه وجو يتسقون فيه وفن يقطعون منه
ولولا هذه الطوائف التي هي شعلة النفوس الحائرة والناقصة لكانت الصدور تنفرج باسا والعقول تتحير يأسا و
الارواح تزهق كمدا والاكباد تتفتت صمدا فسبحان من له هذه القدرة وهذه الخليقة وهذه الاسرار في هذه الطريقة

٩٦ **مقابسة اخرى** هذه مقابسة رسمنا فيها كلمات نافعة كانت متفرقة في ديوان الحفظ ولم ينسبها الى شيخ واحد

كانت تجري في مجالس مختلفة وهذا موضع يقتضي حصولها فيه لتكون مجاورة لأخواتها وداخلة في جملة ما لاق بها وفي
النفس بعد هذا جمع النوادر للفلاسفة مع التصحيح والإيضاح ان أخر الله مدة الأجل وأعان على إظهار ما تحقق النفس
يكون شرف الجامعة وفائدة للظافر به وغنيمة للطالب لرويته تسهيل ما عسر وهو ولي الحمد في الأول والآخر لكل زمان قائل
ولكل طاير مايد وما كل تربية تصلح للعقبان وما كل طبيعة محتاجة إلى برهان وقال الحق يتبين منها جزء وغير سراجه ومعقول بأ
ومعلوم برهانه واستغنائه بإفلاح ومن سلك سبيله نجح قال قائل أنواع الاختلاف ستة الإضافة والتضاد والقنية
والعدم والإيجاب والسلب والمضاف مثل الضعف والنصف والتضاد مثل الصالح والطالح والقنية والعدم مثل البصر
والعمى والموجب والسالب مثل فلان جالس فلان ليس بجالس قال قائل لكل صانع صناعة ولكل تابع طبيعة ولكل مدبر تدبير
وما كل صانع حكيم وما كل طابع كريم وما كل مدبر مصيب ولكل إنسان لسان ولكل لسان بيان وليس لكل لسان بيان ولا لكل بيان
برهان وما كل ذي قلب بلبيب وكل إنسان ذو نطق وما كل ذي نطق بلبيب وكل إنسان ذو نفس وما كل ذي نفس
بأريب وكل إنسان ذو حس وما كل ذي حس بلطيف وكل إنسان ذو عقل وما كل ذي عقل بعاقل وقال الآخر ما ترى هذا
الرباط المعقود والسرج المشدود والأفق الممدود والمركز المعهود والمدد المحدود وقال آخر التعليم الهندسي صناعة من
الصناعات العقلية والأنسية ويقع بحثها على المقادير والأبعاد والأشكال والزوايا وما يقع تحت كل مقدار ومنه الزوايا
الخطية والسطحية والجسمية وقال الهندسة صناعة معرفة المقادير وطبايعها وحدودها وخواصها وما يقع تحتها
من أجزائها وأشخاصها والمقادير هي الأشياء ذوات الأبعاد وهي ثلاثة طول وعرض وعمق والمقدار الخطي بعد واحد وهو
الطول والمقدار السطحي بعدان وهما الطول والعرض والمقدار الجسمي ثلاثة أبعاد وهي الطول والعرض والعمق فالجسم
المقدار التام وقال قائل إذا غاص الإنسان في البحر واستخرج درة فيها غناه فقد حاز سعادته وملك إرادته لأنه
ليس من شرط الغنى أن يستخرج جميع ما في قعر البحر من الدر والجوهر فإن طالب هذا مغرور وعقده مختل ولكن إذا حصل
له الغنى بدرة واحدة خاصة إذا كانت ثمينة فقد كفى وأغنى وهذا معناه على ما سبق إلى الفهم أي لا يلجج بالاستكثار بالعلم و
بالتوغل في فنونه وكذلك في السير المختلفة والأحوال المتباينة فإن الرشد إذا أصيب والغبطة إذا نيلت والخير إذا وجد فقد
سعد المرء بها من العطب وإن فاته وراء ذلك جميع ما هو داخل في باب الخير وموجود في ناحية الزيادة ولعمري إن الاجتهاد
حسن وطلب الأقصى شجاعة ولكن الغاية المتوخاة موهومة ولا سبيل إلى بلوغها والذي يجب بذل الاستطاعة وقلة الرضى بالقنوع
ومصابرة الزمان بكل حال وما أحسن ما عبر بهذا المعنى بعض الموفقين حين قال أنا أحرص على بلوغ الغاية لعلمي
لأنه لا راحة دونها ونشح على ساعات العمر لقصر المدة لأنه لا عمل بعدها وهذا كلام عال وينبغي أن يكون الحرص نقياً من الكد
والاجتهاد بريئاً من التعب المؤدي إلى العطب وقال آخر إنما أنت لب في قشر فاحفظ لبك بصيانة قشرك ولا تصن قشرك بإضاعة
لبك واعلم أنك ذو لب واحد وذو قشور كثيرة وتنقيتك من قشورك صعب وقيامك بلبك أصعب والأمر الأهم يجب أن يتمم
هو أنك تلوك قشراً بعد قشر حتى إذا وصلت إلى القشر الحافظ اللب اشتغلت عليه وبسببه يبقى لبك مصوناً في قشرك فإن
زايلك لعل القشر باب إلى التواء وجالب إلى الفساد وستقشر عن ذلك في الثاني على حسن ما يصير من هواك وحبك وأقك
عليك وأنفذ حكمه فيك و الذي نطقك وأنت بدد وجمعك وأنت متفرق ونظمك وأنت مشعب ووجدك وأنت عديم وأقلك
وأنت عاجز وأهلك وأنت ساه وأنبهك وأنت راقد ولاطفك وأنت جاف وألفك وأنت متناف وقادك إلى حظك وأنت
نافر وأتاح لك الخير وأنت يابس وأعلى بأهدأ حظك وأنت كاره وعلى هذا أنظار لا تحصى عددها بعد لا تستقصي فهي

ينحل بعد هذا الحجة او منطق **مقالة اخرى** منه متابعة استفرناها من مواضع مختلفة هي ايضا كلام الاوائل المترجمة
المنقولة الينا وهي وان كانت محتاجة في بعض معانيها الى تفصيل وشرح فانها اصل كثير الفوائد كثيرة الجدى ولعلها تتعلق ببعض ما يكون
فيما قاله الرواية المنظار هنا قد مرت شافية بالبيان مستوفاة بالبرهان والقليل من هذا الفن كثير والصغير كبير نافع لذلك
قال بعض الاوائل الكرم والنبات المشبه به اذا اخذ منه الجزء بعث مثل قضيب الكرمة والتفاحة والرمانة فان هذا منه ما ينبت ومنه
ما لا ينبت الا في اصله وعلة ذلك لان صورة الكرمة وما اشبهها غالبة على صورتها فلا تنمى ولا تنبت الا بالاصل الذي يجتمع فيه القوى
الطبيعية وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وقال ايضا النفس في العقل صورتان يحتملها او احدهما فاذا اتمت تلك
الصورة وا... اعطتها النفس تمام ما تهيأت له فيكون اول طبقات الانفس وهي النامية ويكون في الحيوانية ولا تكون الا ثنائية
فتمام الشيء الفصل انبعث من الشيء الخالص المحض الذي لا هيولى له ان ينتسب اذ ليس لهيولى بالشيء الذي انبعث منه على قدر
احتماله تقصير لم ينل حقا وضم شبهها اليها من الانفس لعاقلة منها وغير العاقلة وقال قائل لم كان للعقل ثلاث جهات جهة
الصورة وجهة الى معقولاته وجهة الى ذاته فقيل لان جهته الى الباري هي التي جعلته عقلا اولا ثم نظره اليه انما هو استمداده من الصورة
التي صورت فيه بدلا الامر وقع فيه جميع الصور فاستمداده ليس بزيادة صور لم يكن كانت ولكنه ليبقى ويقوى كما يستمد
الهواء من نور الشمس فهو يزداد من غير صورة تحدث فيه كذلك النفس انما تستمد من العقل الصورة هي على حالها وكذلك الطبيعة
تستمد من النفس يقوى بها ولكن اشراقها عليها يبقي قواها ولولا ذلك لضعفت وانتقصت وقال لنا علمان احدهما علم محض
كعلمنا بالاشياء الاوائل بلا روية ولا فكر كما نعلم ان علة كل ذي زوج او فرد فانه لا يمكن ان يكون الشيء الواحد في حالين مختلفين
كالانسان لا يمكن ان يكون قائما قاعدا معا وكعلمنا ان كل متحرك من ذاته دائم الحركة وكقولنا كل دائم الحركة بجوهره دائم الحياة
ولنا علم فكري مثل علم القياس الذي يستنبط منه الشيء من شيء آخر كقولنا الانسان حي والجوهر حي فالانسان اذن جوهر وقال
قائل اذا قويت الهيولى علينا لم نقو على وجدان الذي فينا الا بطلب وبحوص وبحث وغوص فاذا استولينا نحن على الهيولى
وجدنا الشيء باهون السعي بل بالجوهر اذ كنا نحن نعقل العقل الاول وكانت الاشياء فيه وهي هو فكيف يمكن ان نذكر
الاشياء والاشياء فيها والتذكر انما يكون في ذات الاوقات لانا ننسى في وقت ونذكر في وقت آخر وهناك الدهر لا الوقت
وقال الفيلسوف الذكر انما هو حركات الفكر على الوهم الجاري حتى يرد ما في خزانته على ما كانت الفكرة تحركت به وقال
قائل الفكرة انما تقع على الشيء المفقود والعلم يقع على الشيء الموجود والاشياء في العقل الاول حاضرة ابدا وقال اذا
اردنا ان نحس بانفسنا فان نعلم العلوم الشريفة حرصنا على تعارف انفسنا الهيولانية فنكون كانا نصير الى الصنعة بيدنا انا
فاذا رأينا انا استفدنا منها علوما شريفة وكنا نحن الناظر والمنظور اليه والعالم والمعلوم وقد قيل لارسطو لم لا نذكر العالم
العلوي ومنه هبطنا الى هذا العالم فقال انما صرنا لا نذكر العالم العلوي لانا صرنا في هذا العالم الحسي واختلطنا بالاشياء
الهيولانية وفارقنا ذلك العالم لانا لا نقدر على ان نكون هناك وفينا شيء من الاشياء الهيولانية فصرنا كانا لم نصر هناك الا قليلا
علينا وصرنا كانا انما بدينا من هذا العالم لشدة ميلنا اليه والى الآثار التي كانت منه فان هذه الاشياء الهيولانية انما هي
آثارنا وذلك ان كانت النفس هي التي اثرت الآثار الحسية بمعرفة العقل وتسديده اياها وكنا نحن العقل فلا محالة ان هذه
الآثار انما هي آثارنا واختلطنا بها كنا ذا اننا مكونين وكانت الآثار من آثارنا وانما هي آثارنا لا نحن من آثارها وقال انما
لا نذكر ذلك العالم لانا قبل ان نصير في هذا العالم لم نكن اصحاب ذكر وذلك ان الاشياء هناك حاضرة ظاهرة وليس
هناك مستقبل ولا ماض بل كلها حاضرة بحضورها الآن عندنا فكذلك لم نكن نحتاج الى الذكر لانا لم نكن من ابناء الزمان

بالزمان من ابناشنا لانا كنا في حيز الدهر فليس هناك تذكر البتة دائما نحتاج الى التذكر في الاشياء الزمانية التي تكون مرة
وقد لا تكون مرة فحيث اننا هنالك التذكر فاما الموضع الذي ليس الحمي فيه مساغ فليس هنالك تذكر وقال ايضا الاشياء التي علمناها
لم نعلمها في وقت من الاوقات فنحتاج الى ان نذكرها بل قد علمناها بنوع الدهر لا بنوع الزمان وقال ايضا انا قبل ان
نتلطخ باوساخ الهيولى ونحن في العالم الاعلى كنا علماء ولم نكن اصحاب ذكر ولم نكن نحتاج الى ان نذكر ما قد علمنا لان الاشياء
قد علمنا انها حاضرة تحت ايدينا لا يغيب عنا منها شيء ولا يستتر وقال كل اثر لزمنا في هذا العالم الحسي فانه لا يلزمنا في هذا العالم
العقلي مثل النما والحس والوهم والقياس والتذكر وما اشبه هذه القوى وقال الاشياء التي لزمتنا في هذا العالم فان فيها ما لا
يلزمنا في ذلك العالم وذلك ان الذي يلزمنا هاهنا النما والحس والروية ونحن هنالك لا نتمنى ولا نحس ولا نروى فلذلك
لا نقدر على ان نذكر ذلك العالم لانه واقع تحت العلم لا تحت التذكر وكل شيء هنالك انما يعلم ولا يذكر لان الاشياء هنالك
حاضرة بحال واحدة ولم يكن وقت لم يكن ثم كانت لان كان ويكون من باب الزمان والزمان اثر من اثار ذلك العالم والاشياء التي في
العالم العقلي ابدية لا تتغير ولا تستحيل عن حالها وهي افضل واكرم من الدوام لان الدوام بها كائن دواما ولم تكن هي دائمة
الدوام وليس الدوام غيرها بل هي الدوام وذلك ان الصفة والموصوف هنالك شيء واحد قيل فما حاجة النفس الى العقل
الى العلة الاولى قال حاجة العليل الى العلة فانه ليس من معلول طبيعي ولا صناعي ينقطع عن علته الا فسد وباد كالحي فانه
اذا فارقته حياته باد وفسد وكالنامي اذا فارقه النما باد وفسد وكذلك الصناعات والتجارات والبنا وقال العقل الاول يدرك
الاشياء بغتة والعقل الثاني ايضا يدركها بغتة اذا كان متصلا بالعقل الاول ولا تعوقه عنه الاشياء الهيولانية فاذا اعاقته احتاج ان يتوصل
بالمقاييس فيدرك شيئا بعد شيء وايضا العقل الثاني بالوهم هو الذي عليه الاقاويل والمسافات الجسمية وانما كان
ذلك لانه يقبل اثار الجسم فيجسم الاشياء ويكون الصورة الجرمية واما اذا مال الى العقل الاول اتصل به فاذا ادى اليه الوهم
الاثار التي قبلها من الحس علمها علما عقليا والقى عنها الاقاويل والمسافات وذلك انه يعلمها علما صوريا وقال للعقل النفساني
طرفان احدهما طرف الوهم والاخر الى العقل الاول فاما اذا مال الى الوهم كان فكرا وروية لا يلتبس عليه الوهم فيريد ان يتخلص
واما اذا مال الى العقل الاول كان عقلا مدركا بلا روية ولا فكر ولا زمان فالفكر انما هو العقل الوهمي والعقل النفساني المدرك
بالوهم والفكر ولا يقدر الوهم على ان يتوهم شيئا بلا شكل ولا قدر وجرم وقال الفيلسوف العقل وحده لا يموت اراد به
ان يميزه من قوى النفس النامية والحسية لان الحس والنما يضمحلان لان النفس تستفيدهما من العالم الهيولاني و
اما العقل فلم يستفد من هذا العالم فكذلك يبقى قال فرفوريوس وهو المفسر ان هذا الراي الفاضل قال في كتاب النفس ان
العقل النفساني اذا اتصل بالعقل الاول الخالص كان عاقلا دائما ولم يكن عاقلا مرة وغير عاقل مرة فاذا فارق البدن كان احرى
ان تلزمه هذه الصفة ولا تفارقه واما الاخر من الحس والنما والتوهم والفكر فانها كلها تبطل مع بطلان الجسم وذلك انها
اثر النفس في الجسم فاذا بطل الجسم وفارقته النفس بطلت هذه واما العقل فليس من قبل الجرم كان ولا من قبل النفس بل
النفس كانت من اجله وصورتها وقال اخر الرسم من حين الحلو من حين الموعد فاما الحريف والمر والعفص والحامض وبينهما يعني
بين الحلو والمر قال ويكاد يكون عدد صور الطعوم مثل عدد صور الالوان هذه سبعة وتلك سبعة فالطعم حلاوة و
مرارة وملوحة وحرافة وعفوصة وحموضة والالوان بياض وسواد وقتمة وخضرة واسماجونى وشقرة ولون السماء
وانكر ان تكون الصفرة منفردة فجعلها بين الشقرة والخضرة وقيل ما بال الطعم منبعث من الشكل مثلا وكذلك في الالوان
وليس كذلك في الاشكال لانه لا ضد لها فقال ان الشكل واحد منه منبعث كل شيء وهو المدور والاشكال كلها ماخوذة منه

لكثرة زواياه وتميل ما بالشيء من الرايحة اذا لم يكن من حيث الغذا فيقال ان الدهن وما اشبهه لا ينقسم الى جنسين انما الجنس واحد
والشهوة كلها تكون في ذلك الجنس فلا يجلب بجنس اخر اليه مثل التفاح فانه لا يجلب به اليه حسن الطعم مع حسن الرايحة
والشهوة لطعمه مما ينقص رايحته عند الشم واذا كان الطعم وحده لا يجاذب حاسة اخرى كان اقوى له قال فاما اهل هذا فانهم
يخلطون قوة الطعم والرايحة يريدون بذلك اجتماع اللذتين فاذا كان ذلك كذلك لم يكن الشام الذايق يجلب ما يجلب الذايق
وحده ولا الشام وحده وقال الرايحة الطيبة تصحح الاعضاء وكانت الغذا بينهما وقال زعم بعض الاولين ان الجسد يكون مواتا
وهو بهيئة من الهيئات ومقدار من مقادير المزاج ثم يكون حيوانا اذا تغيرت هيئته ومزاجه وعلى بعض ضروب التغيير وضرب
مثلا فقال لم نر الترفط من الات الصناعات بعد الاهية سوى تمييزها من الالات ورايناها انها اذا فارقتها استحالت الى غير ما
كانت عليه كقدوم النجارة ينحت قدوما فاذا قلبت هيئتها الى المنشار بطل النحت بها وحدث النشر بها لان ما في الحديدة
المصنوعة قدوما او منشارا امر حسن ولانه اذا زاد على مزاجها او نقص لم تكن الحديدة بالحال التي تقطع بها فلو ان يبسها اشتد
انقصمت وكذلك لو اسرف لينها لما مضت فيما تحمل عليه من الابدان فالمزاج الذي مزج بها طبيعة الحديدة كانت الحديدة لا
ماهية فاجتماع قدر المزاج والهيئة تكون الاعمال للعمل وزعم ان الطبايع الاربع لما كانت بمقادير معتدلة في بدن الحيوان
المهيا بهذه الهيئة القابل للحس كان البدن حيا واذا تغير المزاج وانقلبت الهيئة كان مواتا ومنهم من زعم ان البدن
يكون على قدر المزاج وتهيئة من الهيئات يحصل في ذلك البدن عرض تكون حياة ونفسا وضرب مثلا فقال انا لم نر شيئا مفردا من
العالم يفعل بوحدته فاذا ازدوج بغيره نتج فعلا وذلك انا لم نر برد الحجر يبطل ولا حره ولا لونه ولا عرضه ولا طعمه ولا صنعته لما
ازدوجت كان الهبوط لها فعلا قال فلم ار الا نفراد بفعل ورأينا الحيوان ركب من اشياء مفردة قلنا ان الحياة ثمرة افراد
ازدوجت وهي عرض في البدن لان العرض واقع عليها الا انه لا يكون ولا يفسد بل الافساد للموضوع فلما رأينا الحياة تكون
وتبطل بالافساد البدن جعلناها عرضا حادثا في البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثلها في حدوثها بين الابدان كمثل الصوت
الحادث بين اليدين المتضادين او كاللون الحادث من بين يدين كالسواد الحادث من بين العفص والزاج وكغيره من
الاشياء الالوان والطعوم والاعراض الحادثة من بين الالوان المختلفة وذهبت في هذا القول الى ديمقريطس وهذا ظن زايف
وراي مضعوف وقد سبق في صدر هذا الكتاب ما يستبان معه تأييد النفس من البدن واستقلالها بجوهرها ونمائها
بحقيقتها وانها غير محتاجة الى البدن الا اذا احدث البدن واستعملته وصرفته عن لوازمه واعراضه اللايقة به وان النفس
ذات النطق والعلم والحكمة والبيان والفكر والاستنباط والعقل والنظر فهي اعلا واشرف من ان يكون لها الوصف
بمعونة البدن وارفاده والاسباب الحادثة بالبدن العارضة له معروفة محصاة وليست تلك من حقيقة النفس بسبب وان كان
مجموعا منها كله يوجد في الانسان وبالانسان ونعوذ بالله من الخبط في القول والعمل وقال اخرون البدن يستحيل من
حال الى حال فيكون مرة مواتا ومرة حيوانيا وضرب مثلا فقال لما رأينا الاجسام تستحيل عن طبايعها وتستحيل عن انفعالها
لم تكن لها كالماء السائل يستحيل جمدا فيبطل سيلانه ويستحدث جمودا وسكونا ويبسا وكالماء يستحيل بخارا صاعدا
بعد ان بدأ هابطا او كالماء يغذو ثمر الانهار ويستحيل دهنا ثم يعود الدهن نارا عند قلب اناه واغتذائها به فلما لم يكن
في الطبع من استحالته الا يستحيل فعلا واسلم من فعل غيره قضينا على ابدان الحيوان بالاستحالة والتكفؤ بين الموت و
الحياة والحركة والسكون فعلت الحي هو الميت مستحيلا والميت هو الحي مستحيلا وضرب مثلا فقال مثال ذلك عصير العنب
يكون عذبا حلوا غير مسكر ثم يستحيل خمرا مرا مسكرا ثم يعود خلا حامضا مخدرا والعنبة واحدة لم تبرح الا انها استحالت

فتتغيرت

تغيير افاعيلها التغيير كلا انها وكذلك البلحة تكون بُسرة ثم رطبة ثم تمرة فهذه جملة اقاويلهم في ان النفس ليست بعين واما من زعم ان
النفس عين فانهم اختلفوا في كيفيتها وموضعها وزمانها وحركتها وسكونها وجميع افعالها فزعم منهم زاعم انها عين سوى البدن فلا تكاد
يعلم بمفارقتها البدن وزعم اخرون انها في جميع اجزاء البدن النامية وزعم اخرون انها ليست تكون الا في مواضع الحس واحتج اخرون انها
لا تعلم الا بمفارقتها الجسد وقال لو ان النفس تعلم الاصوات او عرفا او طعما او لونا او لمسا وهذه الاشياء الخمسة لا تقع الا في هذه الاجزاء
الخمسة الباقية من البدن وهي العين والانف والاذن واللسان وساير البدن الحسي فلما راينا النفس محتاجة الى هذه الحواس الخمس قضينا
عليها بالجهل اذ كانت مفردة وحدها وقضينا لها بالعلم اذا قاربت البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل النفس في حاجتها الى ما ذكرنا
كمثل النور الذي لا يرى الا على بدن لا يرى في ذلك البدن الا به وكالنافخ في المزمار لا يسمع لنفخته صوت الا بالمزمار ولا يسمع للمزمار
صوت الا بالنفخ واما الذين قالوا انها في جميع البدن فانهم قالوا لما راينا النفس اذا فارقت البدن لا ينمي علمنا ان النفس حيث الاجزاء
النامية لذهاب النمو عند مفارقتها وضربوا مثلا لذلك فقالوا مثل ذلك مثل القوة لا تكون الا حيث تجد غذاءها فاذا فارقها غذاؤها
بطلت كالنار كذلك البدن ينمو بالغذاء بالنفس واما الذين قالوا لا تكون الا في الاعضاء الحسية فقالوا لما راينا النفس لا تفارق البدن الا
بموت ولم نرها عدمت الا في بعض البدن علمنا انها ليست في جميع البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل اعضاء الحس والنفس المغناطيس
بالحديد فجعلوا فرقا بين الحديد والحجر وكمثل النجار الذي لا يحتاج الى الحس لذلك ومنهم من زعم انها غير ذات موضع
تغتذي من البدن بما يشاكلها وانها اجزاء من اجزاء البدن يعلم ببعض اجزاء البدن وتفعل باجزاء اخر فزعموا انها تعلم بالـ
والصماخ والخياشيم وما اشبه ذلك مما لا يقال له ظاهر ولا باطن وزعموا انها تفعل بالمعدة والوتر والطحال والدماغ والدم و
المرتين والبلغم من القوى التي لا حس لها وزعموا انها تدبر وتفعل بالكبد والقلب والكليتين والعصب الذي فيه الحس وفي الحركة و
وصفوا بها فزعموا انها هي الروح الحارة الرطبة التي انشاتها الطبيعة من رقيق الدم الكاين في القلب المصطفى من دم الكبد الكاين
من تصفية الغذاء وزعموا ان هذه الروح تنبعث من القلب في عرق اجوف ذي طرفين حتى تصل الى الدماغ منتشرا في عصب الحس
والحركة واحتجوا بقول كسندروس الى بعض سايلهم وافلاطون حيث يقول ان في البدن ثلاثة ينابيع ولكل ينبوع جداول تجري
ما حملت الى اقطار البدن فاحد الينابيع الثلاثة الكبد وهو ينبوع الغذاء وجداوله عروق الدم الساقية لجميع الاعضاء والاخر
والاخر القلب وهو ينبوع روح الحياة وجداوله عروقه الاوراد الضوارب الناشرة لروح الحياة في جميع الاعضاء والاخر
الدماغ وهو ينبوع الحس وجداوله العصب الحسي الشامل لجميع الاعضاء الحسية وقالوا ايضا لما راينا الطبيعة تحكم افعالها و
تفصيلها العلة ورأينا العلة غاية الفعال ورأينا غاية افعالها استنبالا لها روح الحياة لان الحياة افضل افعال الطبيعة التي
اياها عمدت واليها صمدت واول فعلة فعلتها من هضمها الغذاء في المعدة واحتجوا على ذلك بان قالوا لما راينا اعضد
الافعال واكثرها واقواها الحرارة ورأينا فلك في جملة العالم والجنس المستحيل منه الجنس النامي والجنس الحي فلما قضينا
للحرارة بشرف الفعال ورأينا الفعال اشرف افعال الطبيعة شهدنا ان روح الحياة جرم من الحرارة وضربوا مثلا فقالوا انما
مثل النفس في البدن كالشمس في العالم المسخنة بنفسها الفايضة بخيرها على جميع العالم وزعم اخرون انها ذات موضع وتغتذي
بما يشاكلها مع غذاء البدن وانها عين سوى البدن تكون في البدن وانها علامة بنفسها متحركة ووصفوها بصفتها فقالوا
النفس نور مفرد لا حر فيه ولا برد ولا طعم ولا عرف ولا صوت وضربوا مثلا فقالوا لما لم تر الابصار بذلك الا الالوان و
الاثار بالنور علمنا ان الابصار عاجزة عن العلم بالالوان الا بافادة النور اياها ذلك العلم ولما لم يكن الشيء ان يفيد ما ليس
من جوهره علمنا ان العلم من جوهر النور فلما راينا العلم من جوهر النور علمنا انه معلول واحد والمعلول الواحد لا يكون من علتين

متضادتين بالحر لا يكون من النار والثلج فلما صح هذا عندنا علمنا ان النفس ليست بخلاف النور فقضينا على النفس والنور
بالموافقة وانهما من جنس واحد قلنا ورأينا الاذان لا تدرك الاصوات الا بالهواء الموصل للاصوات الى الاسمخة ولم نر الهواء
اوصل ذلك الا برقته وصفائه المتشبهين اذ ان النور وصفائه قالوا وكذلك رأينا الخياشيم لا تدرك الاعراف الا بالهواء ورأينا
اللسان المدرك للطعوم لا يدركها الا بالرطوبة واللين المتشبهين لرطوبة الهواء ولينه قالوا ثم رأينا الحاسة تدرك الحر والبرد في الهواء
والماء ورقيق الابدان وان غليظ الابدان مستغلق على ما فيه محسوس لا يظهر منه الا الارق من الابدان فيما يجيء فيظهر
الى الحس قالوا فلما رأينا الاشياء الموصلة متفقة على صفة واحدة من الرقة واللين التي في صفة النور قضينا للنور بجميع وجوه ايصال
المحسوس الى الحس وجعلناه سبب العلم ومفيده ومستفيده فقلنا النفس نور غير بواسطة الا انه قالوا مثلها مثل السراج المنير
عن نفسه المنير غيره المفيد العلم لغيره وكذلك النفس حيث كانت عالمة بما افادت العلم قد حويت ابقاك الله هذه المقالة
ضروبا من الكلام في النفس مختلفة ومؤتلفة وانت انما عنيت بما سبق في الكتاب وبما يتلوه ايضا في الثاني غنيت عن الاشكال التي
ربما صد عن تحقيق المرام والكلام كله بين زيادة وربما جلبت الفساد وفتحت بابا الى الشك وبين نقصان ربما جلبت الاشكال وصد عن
طريق الحق المبين هذا اذا كان المتكلم عليه من باب الجلي ومن فن الواضح فكيف اذا كان في الغامض الخفي اللطيف المحتجب وهذا
اقتصاد مني وتحفظ واستشعار المراقبة والتيقظ فقل من استرسل وخطب مطنبا واجاب بما يأتي به مستحسنا الا دخل على
ما يثلمه ويكسره وغلب على خطله ما يتأدى به ويشينه وحين الكلام في الواضح الجلي ان يكون لطيفا يستجمع الى السامع ما يربط مراده وفي
الغامض الخفي ان تكون مكشوفا ليلحق السامع منه ما غاب بحشوه ولا يبرز لهما اذا انهما اقتت المعاني تارة بسوء التأليف وتارة بالاكثار وتارة
بالتعريض دخلها الخلل ولم يبلغ المحصل لها على ما قد ثبت رأيه وساق نظره وسعيه اليه على انا امام كل خطيب مصقع وكل بليغ
وكل باحث متوغل وكل طالب مترفق اذ الكلام في النفس بحيث من شأنها ان يعيا ويحصر ويقصر فان المطلوب في هذا الامر صعب
والغاية بعيدة والشوط بطيء والعجز شامل والناصر مفقود والمتأمل مرتفع والقوة محدودة والقلم زلال والمنتهى حيرة
واذا كان النظر في النفس على ما اصفه مع روادف لا اقي بتسطيرها في هذا المكان فكيف الكلام في العقل وهو البحر العميق
الذي هو فوق ذلك ابيق فكيف الكلام في العلة الاولى وهو الذي كان اليه القصد وعليه وقف العمل ومن اجله يحل غيب هذا الامر واشتعل
بارقة هذه الجبال وصبر على اثار الكون والفساد وترقى في سلاليم الغرور والخطر ويتجرع كل كأس هي امر من الصاب والصبر ونقل
الاتصال بالباري ودقة البحث ولطف النظر وبقدر رتبة العقل التذ الكلام عليه وطرب على الخبر عنه وبقدر محاسن النفس عرض العشق
وبذل الصوت وجرد السعي ويتبرى من كل الف وكيف لا يكون الكلام في هذه المعاني صعبا والبحث شديدا والقوة عاجزة وانت
لو اوردت اثار الطبيعة في عرصة الكون والفساد من هذه الرتبة المكلة للابصار بعد استنفاد قواها المستعدة للاتيان بقليل
استيفاء ما فيها لم تستطع ذلك ولم تقدر عليه نعم ولو كان كل من هو في مشكل ظهيرا لك ونظيرا معك وكان ابو سليمان اذا راى
بعض صحابه يتشدد في هذه الوجوه قال له يا هذا ارفق فالاستقصاء فرقة اكتف من هذا المطلوب بما يجاد به عليك ويلقى نزرا
اليك ولا تعنف فالعنف محرمة وعليك بالرفق فانه سحر النفس والشاعر يقول والتأني يقطع حبال المطالب وقد والله صدق وقال
الحق ان طلب ما لا ينقاد لك لتبويه مثل ما لا انقياد لمجسدك عنه شقا وملالة وتضييع زمان وامارة تيه واحتمال خسف في
اختراع اسف النفس حاطك الله قوة شريفة الهيئة بهية واصلت ابناء الطبيعة على قدر قوابلهم بجود العقل المتولي الرتبة
الاولى بقدر ما امده الفيض من العلة الاولى وهي مراتب ابناء الطبيعة مختلفة اختلافا لا نهاية له وكل قد نال شيئا فلا ما نال به عرفه
وطلبه وما حرمه لا يتيسر اياه وكرهه ولكن هكذا كان وعلى هذا بان فليكن الرضى واقعا بحسب الموجود فذلك الموجود به عليك

والعلم

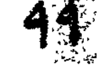
واعلم ان الصورة التي هي محيطة من الاول الى الاخر شايعة بين الطرفين لا بينونة هناك ولا فصل ولا حيلولة ولا نقص فكيف يكون من هذا النهج شيء عن شيء او سوى شيء او شيء دون شيء او شيء فوق شيء او شيء على شيء او شيء مع شيء او شيء في شيء و انما ثبتت هذه الاسماء بالنظر الثاني في هذه الطبقة مواصلة لاثارها ومواصلة لقوابل اثارها وعلى الحالين كان الاختلاف و الايتلاف والتباين والتراصد والتفرق والتجمع والجية والذهاب والورود والصدور والعظم واللطف والكبير والصغير وجميع ما يجري الى هذا الجانب ويجوز بهذا المثال في بلاد القوابل لا في بلاد الفواعل فيسيل بحرها بين الجنبين طرفك وشريت اليها عقلك ولطفك فانك تجد المواد التي من شانها ان تنفعل على مراتب الانفعال وتجد الصور التي من شانها ان تفعل على مراتب الفعل وتعلم ان الاعتبار تارة ينفرد بالصورة وتارة بالمواد وان ما تركب منهما وبينهما واستبد بهما و استند اليهما هو فرع من ذلك الاعتبار وفي حومة ذلك النظر وان الشك ان قدح والغلط ان سنح فانما هو من اضافة شيء الى غير شكله او تخليته بغير ما هو لايق به وقد طال النفس والمدى في هذه المواضع فان كان لك سمع فاطرب وترنح وخذ وجد واعدل واعقل واسلم واقدم وانعم وارق وابق وان كان بك صمم فاعطف على بابك وسل عن دوائك فليس يحسن بالاخشم ان يفتري على من يشم والسلام

٩٨

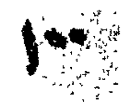
مقابسة اخرى

حضرت القومسي ابا بكر المتفلسف وكتب نصر الدولة عامين وكان كثير الفضل فقيل له هل يجوز ان يكون في اثبات الناس المعاد والمنقلب اصطلاحا منهم ومن اكابرهم وعقلائهم في بدء الناس ثم سالف الزمان ثم الف الناس ذلك وهتفوا بنشره ولهجوا بذكره مع تاكيد الشرايع وتأييد الكتب الناطقة بمقال المعاد اثبت في انفس الناس واوسخ في عقولهم واعلق باذهانهم من ان يكون اصله راجعا الى التواطؤ و التشاعر ومردودا الى الاصطلاح والتبادر وهذا الذي يعرج وذاك ما قال وعقل مغرور قول رد لمن خلط فاسدا و مزاج ما ثوب وهلا وقع الاصطلاح على نقضه وابطاله بانه لا حقيقة له ولا دليل عليه ولم ترد الكتب بالحاثة وبقية ومن الظنون منه ومنع الخلق اعتقاده بحثه ولم يعرضوا ابطاله والترك الايمان به وادب وعواد وبقية وسبب والناس من جهة الحواس والشهوات وحب العاجلة ونيل اللذة اكثر نظرا واقوى وانفذ عزما واشد انقيادا واسرع ارتكابا واثقل احتقابا للهوى سماعا واقرب نزاعا ولكن العقولة لذا ظاهرا ودعت الى اثبات الثواب والعقاب في الثاني دعوة مشهورة متصلة على اختلاف لغات اربابها وتباين اشارات المخبرين بها ولم تكن هذه الدعوة عن قسر وتمويه ولا حيلة ولا مكر بلد موثقة وايضاح وبينة وافصاح وكيف يسع عاقل ان يظن ان الناس على ما هم عليه في دنياهم ونحلهم وعاداتهم وشمارستهم فعاديهم وتظالمهم مع الاستطاعة الحاضرة والتكليف العام ومعرفة الاصلح والافسد والاحسن والاقبح يفنون و يبيدون دونه ويهلكون عن حال باقية بها يحسن الحسن مثابا به فيعرف المتعدي هذا مما لا يجوز بجوازه عقد وان قيس ولا يلين له قياد وان استثقل ولا يدنس به وهم وان استكره وانما يتحرك عند هذا الظن من ضاق حجمه وقل علمه ونبا سماعه وفهمه وفسد حسه ومزاجه وجعل نفسه مصبا لكل ريح ومغيضا لكل سخف وامتاز للحاجاقرنا الناظر في اثناء الامور الداعي لاحاديث الزمان الفاحص عن السراير الغالب لظاهر الاحوال وباطنها فانه يربا بنفسه عن جنس هذا الراي والفساد هذا العقد ويشتمل على ما نطقت به الكتب القديمة وتضمنت الاسفار الصحيحة وانت به الشرايع الصادقة وبنيت عليه الاذهان الحديدة وشهدت له الفطرة السليمة ودعت اليه العقول الراجحة وهذا وان تمادت في الاحداث الاعمار وتقلب على من لا خبرة له بما ياتي به الليل والنهار فانما من له رغبة في حياطة دينه وهمة في معرفة الغامض الغايص من نفسه وعالمه وبحث عن المراشد والمصالح في الظاهر والباطن ونظر في السياسة الالهية

او الانسية وخير المورد والمصدر ليصير ذلك المتولد مليه فقد حاه الله غاية هذا الراي وكفاه مؤنة هذا الخطر وجعله في الاعليين في حظيرة القدس وحضرة الانس حيث لا عبث ولا ثقل ولا فراغ ولا شغل ولا هجر ولا وصل ولا ذنب ولا عذر



مقابسة اخرى سمعت بعض مشائخنا ببغداد وغالب ظني انه نظيف الرومي يقول العالم من حيث هو كائن فاسد ومن حيث هو فاسد كائن فلذلك نظمه بلبه وبدده نظم ومتصله مفصول ومفصوله متصل وعقله موسوم وموسومه عقل ويقظته رقاد ورقاده يقظة وغناه فقر وفقره غنا وحياته موت وموته حياة قال فلا اجل ما ههنا مثلا ينزع الى الحس ضرورة ويعترف به العقل اضطرارا انظر الى السماء نظرا شافيا وتاملها تاملا بليغا وجل في افاقها بحسك ونظرك مليا واستقر صورها استقراء تاما فانك تجد نجومها منتثرة متساقطة كان سلكها قد وهي ونظمها قد انخرط على هذا ادراك الحس وسابق العيان وشهادة المنظر وظاهر الخبر والاثر ثم انك لا تستثبت بعد امعان النظر وانعام الفحص ومواصلة البحث ان تجدها متسقة اتساقا ومتفقة اتفاقا وموزونة وزنا ومعدلة تعديلا ومنظومة نظما ومعباة تعبية ومزينة بحلي زينة ومحلاة بحلي حلية حتى يقضي اختيارا او اضطرارا وانتهارا او اقتدارا انها زالت عن حالتها المعروفة او حالت عن صورتها المالوفة باقل من مثقال ذرة او هباة تربة تهافت اصله وبطل بعضه وكله واضمحل خفيفه وثقيله وبار كثيفه ولطيفه واضطرب اوله واخره واختل محيطه ومركزه وهذا لان الحس حس قضى في الاول قضاء بما في الطبيعة من الخلل والنقص والتلون وقد بما قيل الحس حاكم مودنس وساع مفسد ومتوسط عياب وقاض خصم ودليل سوء ومشاطة مشوطة وموضع لا ابقى ناقد مدلس وخاطر ملفق وصديق متملق ومعلم معضل ومقوم مزل وناصح مزور ومرشد معزر وجار مخاتل وشريك سروق ووافد كذاب لا مقنع به ولا مفزع اليه ولا خير فيه ولا معول عليه فاما العقل فانه يقضي بانتظام وده وامره وسلامته وصحته وثباته واتصاله والتيامه وذلك لان العقل عفيف وقاض عدل وصديق مشفق ووالد حدب وجار محسن وشريك ناصح وهاد صدوق وصاحب مؤنس وخطيب محقق وزاد مبلغ وملاح مفهم ومحدث مطرب وجليس فكه ونور شايع وضياء ساطع وقول فصل وركن وثيق وجوهر شريف وطود منيف ونقطة متصلة وذات مقدسة وخير محض وجود بحث من فايده وعلى مادحه وتقريظه ونشر خصايصه وتحصيل فضايله الوجود الحق من الموجود الحق له الحكم الفصل من الحكيم العدل وانما اومى هذا الشيخ الى المعنى ايماء خفيا اتسعت عنه هذا الذي تراه وتقراه والعلم ظاهر لنا فلهذا يزكوا على البذل ويزيد على الانفاق وثمرته حلوة وعوده ناضر وسلطانه قوي وعزه اقعس وذروته عالية من تحلى به ظهرت عليه جلالته واستقامت له على عادته ومن تعرى عنه بخست قيمته وبدت عورته



مقابسة اخرى سئل ابا سليمان يوما الطبيب المعروف بفيروز فلان ملأ العين والنفس ما معناه فقال فيروز فلا ادري فان شئت ان تتصدق علينا بغاية فان زكاة العلم اوجب على ربه من زكاة المال على صاحبه فقال ابو سليمان هذا سهل جدا وما احب ان يقال انه يدل منك على عجز قد محاه الله عنك وعلى ملق قد رفع الله عنه قدرك فقال فيروز ما احوجني الى ان املك رضاك باتباع امرك وابلغ ارادتك فيما يشرفني بالطاعة وما امتثال الا للعلم ولا اتملق الا لاهله وليس بعد هذه المراجعة المحمودة الا اسعافي بما في طي المسئلة فقال معنى قولهم فلان ملأ العين والنفس اي يجمع بين المنظر المقبول بالعين اذا نظر اليه وبين المخبر الممدوح باللسان اذا اشرف عليه وكان هذا الموجود من الناس بالفرق بين الشخص والنفس فان اسعدهما اذا لابسه الاخر كمل الانسان بهما واذا اخطاه احدهما كان نقصه من جهته واذا لم يكن من النقص بد ولان يكون من قبيل ما للعين اولى اعني ان يكون الانسان ملأ النفس اذا لم يكن ملأ العين لانه اذا كان ملأ النفس غير ملأ العين كان



روحاكلها لطيفا وربعتوا فاكان ملا العين غير ملا النفس كان بدنا كلها كثافة وغلظا لو كان احدهما نصيبه من العيون الى الكثرة والاخر قسمه من الصورة او فيرفانا أتلفا كان الكمال المطلوب وانما قيل في اللغة العربية هذا ملأ هذا اى ملاؤه ومنه الملاقة ومنه الملأ والملاء والملا والاشتقاق معروف ولا يدفعه الا ضعيف فقال الغيرونى مين الله عليك ايها السيد فوالله ما نجد شفاء لداء الجهل الا عندك ولا نظفر بقوت النفس الا على لسانك ولا نعلم يقينا الا بحسن تعريفك اذا فاتحناك ولا يحمل ظلمنا بانفسنا الا اذا بعدنا عن مجلسك ولو كانت هذه الفائدة عندنا بعينها متى لنا ان ناتى بها على هذه الطراوة والحسن امتع الله الارواح برويتك والعقول بصلاتك فقال ابو سليمان سمع الله منك واجاب مثلها فيك فما اعلقنى بمودتك وما اوثقنى بمروتك جزاك الله خيرا

١٠١ **مقابسة اخرى** قال ابو القسيم عيسى بن على بن عيسى ليس فى الدنيا خصلة يحسن الانسان فيها الى نفسه ويحمد عليها الا العلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والاغضاء فاما الخصال البواقى فان الانسان يحمد بها اذا احسن الى غيره او شكره فى ذلك الاحسان غيره اكرمك الله وابقاك انما يعجبنى على رواية كل ما سمعته من هؤلاء الجلة الا فاضل فى عشقى لهم وحمدى لله تعالى على ما اتاح منهم فلا يقران هذا الفصل ثم يقول ويا قهذا من الفائدة فان درجات الحكمة مختلفة ولكل كلمة قائل ولكل قول واع ولكل عمل عامل ولكل عامل راع وهذا الشيخ من قد اعلا الله كعبه فى علم الاوائل ووفر حظه من الحكمة المبثوثة فى هذا العالم وفيما قال حث على حسن معرفة فضل الحكمة وفى معرفة فضل الانبهاث على اكتسابه والاستكثار منه فان الحكمة سكينة الا لعبة وحلية ملكية وقنية عقلية وقد اطلقها الناموس الحق على الله عز وجل فما اشك بما يبعث رب العالمين وخالق الخلايق اجمعين ثم بيت به بشر خلق من الماء والطين وابرز لعيون الناظرين تبارك الله رب العالمين

١٠٣ **مقابسة اخرى** قال بعض اصحابنا كل شئ اجوزه من اثار النفس فانى اجوزه فى اليقظة وكل شئ اجوزه فى اليقظة اجوزه فى المنام الا التركيبات لان النفس تخترع بها امورا لا تستجيب المواد لها فاما انما اعنى بالجوزه الانذارات الاطلاعات وقوة الكهانة وما اشبه ذلك وهذا الذى قاله هذا الشيخ يحتاج الى شرح ولعمرى للنفس بهذه القوة وهى لها بالحق والواجب ولكن البيان عن كون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز ولعل الزمان يتسهل فيمكن التخلف عليه بما يزيله شرحا ووضوحا ان شاء الله عز وجل وعلى ذلك فانى اقول فى هذه الحال ما تعين من الحق الذى اياه نقصد وفى طلبه نسعى ونجهد وارجوان لا يكون هذا الاعتراف والتبجح يتاقى بعد ذلك الاستعفاء والتلافى وليس ينبغى لنا ان نجترى على العلم متجاهلين فى طلبه ضنين ملا يفى به ولا يحسن بنا ان نتحلى بما وهبه الله تعالى لنا وفتحه علينا فتوهمت انا مقصرون فيه وكما ان اظهار التشجيع مع اخفاء الجود قبيح فكذلك اظهار التفاخر مع كتمان القدرة قبيح الخير ابدا بين الطرفين والوسط مطلوب كل ذى عقل وعين فاذا لا باس ان يكون ذلك العطف على ما سبق من قول هذا الفيلسوف فى هذه المقابسة وهو هذا فيكون هذا اقتدا فدنا بمبلغ علمنا وكذا المستفيد منا فى الزيادة منها الى غيرنا فمن قد وضع الله درجته علينا وجعله المحسن الينا اعلم ان الحال التى قد وضعت لفرق بين النوم واليقظة وهى التى يجد الانسان بقوة احديهما فنشرح لها امورا قد سبقه باعيانها وجواهرها واعراضها وامورا هى مشهورة فى الان على ما هى عليه من حقايقها وزخارفها وامورا هى على الانها فى التالى من اوقاتها وهذا الاجمال والشرح يستفادان من جهتين احديهما هى الهيئة الحاصلة للشخص فى السنخ والاصل الذى يتفقان بالقسمة السماوية والقوى العلوية والاخرى هى الهيئة الحاصلة للشخص فى الفرع والثانى بالروية النفسية والقوى الفكرية وهاتان الهيئتان انما يختلفان فى النظر الطبيعى والا فالاتفاق واقع بالنظر العقلى والاول الالهى فعلى هذا الافرق بين اليقظة والنوم ما دام الحكم يصدر من صاحبها على اطلاع النفس وراحة الليل والقبض لسبب ابق وهذه حال الهامنا

كثيرة الى القوة والضعف والشدة واللين والعمود النصوب وبحسب ذلك يصح الانذار ويصدق الزجر ويحق الكهانة و
انما لم يتلاخ الحال في هذا الموضع لان النظر كان موصولا بالامور المجردة والمباحث الصافية والحقائق المثمرة للسكون والثقة
فاما ما اتصل بالتركيب فان النفس تفعل قوتها بتبلغ اصنافها وضروب الاسباب الى رؤية شيء منها من القوة الى الفعل لسر الهيولى
وعدم اعيانها لان الطبيعة لا تليها ولا تعطف عليها وانما يقف الطبيعة عنها لان النفس لا يأذن لها في توليها ولا تلقي اليها امثلها ورسومها
والنفس ايضا في هذا تتشبه بالعقل فما لم تجد منه لم تحاله وما اخذت عنه لا تحبسه عما تطلبه الهيولى وان كان في الغاية والنهاية فان قال
قايل الهيولى لا يعقل ولا طوره ولا يجوز طوقه ولا تتطاول الى ما ليس له فقد تيسر لان ما تراه من ايضاح ما قاله هذا الشيخ في تجويزه في المنام
جميع ما تجوزه في اليقظة الا التركيب لان التركيب ورث في الطبيعة في قابل وفي اثار النفس ايضا تركيب ولكن لا هي كالتربيع والتحاب
في العدد والتباغض والتكعيب والتثليث انما هو من فنون التركيب ولكن بنوع خارج من اثار الطبيعة في المواد المنقادة حتى
اذا علوت من هذه الربوة الى اللواحق بالعقل وجدت هناك امورا يضيق عنها وصف اللسان ورصف البيان ولهذا الفصل
خصوصية ليس بعدها سعي ولا دونها رضى جعلنا الله واياك من صفوته بجوده وقدرته **مقابسة اخرى** قلت
لعيسى بن زرعة ابي علي وابن عبدان الطبيب حاضر انا شديد الحرص على معرفة شيء قد طال تخالجه في صدري مع مواصلة
مسألتي عنه وحسن استفهامي لما فيه فقال ما هو فقلت اريد ان اعلم ان الاشياء التي نجدها بالحس والعقل كلها اتبعت العلل
والعلل للاشياء فقال لي من اين ثارت عليك هذه المسألة فقلت رايت جالينوس في منافع الاعضاء يذكر امورا يكشف دقائق
ويثير عجائب وينشر حكما جليلة ولعمري ان ما خلا فضل الكتاب وتاله واستنبطه يكاد يكون عن وحي والهام فضلا
عن غير ذلك فمما انتزع الى هذا البحث اني رايته يصف العين ويذكر مكانها من الانسان وانها كالربيئة والطليعة وما اناطه
وجرى معروف ذكر ايضا الاحتياط في العين لكثرة افات هذه الحاسة فقيل لم وجدت احدى العينين في نقرة القفا والاخرى
في وسط الجبهة لامكن ان يقال لجعلنا احدى العينين من خلف ليكون وقاية وحراسة مما يكون هناك ويحدث ويذكر الضرر الذي يعرض
من تلك الجهة فكانك ايها الحكيم لما وجدت هذه الامور على ما نظمت به وعنيت اثرت منها هذه الاعراض من المعاني بفضل عقلك
وقوة بيانك ولطف اشارتك فكان الاشياء تابعة للعلل على هذا والمتبع بمقالتك يقتضي ان العلل تابعة للاشيا ليس الاشياء
تابعة للعلل بدليل ما ضربنا من المثل لانك هكذا وجدتها فعللت ما وجدتها بينتها ولو وجدتها على غير ما هي عليه لكانت
استنباطك على ما كنت تجدها عليه بفضل فحصك واستقرائك فعلى هذا عللك التي شرحتها وحكمك التي استخرجتها تابعة لا موجبة
فقال في جواب ذلك ما احكيه على تصوري عنه وكان ابن عبدان الطبيب ينصر ما يقوله ويرتضيه ولقد اضطرب على كثير مما
قال لا ازعم في اول الجواب ان المسالة غوصا وانها معروفة عند الاوايل ولقد اوسعوا فيها كلاما كثيرا في الكتب معروفة و
اقول في هذا المكان ما يكون مقنعا ان لم يكن كافيا ان الاشياء التي من شانها ان تكون معلولة هي تابعة لا محالة لعللها وان
اختلفت سبلها في اتباعها كما اختلفت احوالها في كونها وفسادها والعلة ما دامت علة فانها تقتضي شيئا خاصا والشيء قضي
ما دام مقتضيا فانه يتبع علته الخاصة به وهي مع ذلك موجودة معا لا على معنى القران ولكن على معنى الوجوب فعلة
العقل مرتبة التابع دون مرتبة المتبوع ودرجة المتبوع فوق درجة التابع والعلل بنظر ما على ضربين علل موضوعة و
علل مصنوعة والصناعة منقلبة للموضوع لان الوضع هو بالطبيعة في الاول فاذا صحت هذه العبرة انكشف ان الاشيا
كلها عللها ومعلولاتها على وتيرة واحدة وسنن واحد في الوجود من العقل وان كانت موسومة بالتركيب بالعقل
فالاشياء تابعة لعللها ما دامت العلل عللا لها والعلة مستتبعة الاشياء ما دامت تابعة لها في الاتصال بين العلل والمعلول

١٠٣

انفصال